

أَجُودُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الخامس

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين
 واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين
 وبعد فقد لاحظت سطرًا من كتاب إجماع البصائر في
 تفسير القرآن لمؤلفه العلامة الشيخ حادى النجفى
 تأسدت به ، فراقنتى جودة بانه وبلاغته أسلوبه
 حيث يبدأ بتوضيح الآيات ونقل الأراء والروايات
 ثم يتطرق إلى ما ورد عن الأئمة عليهم السلام في تفسير الآيات
 فلهذا دره وكثر الله أمثاله فى الحوزات العلمية وإن شاء
 الله وعلى أن يوفقهم الله تعالى لما يحب ويرضى ويصل
 عمره وينفع بوجوده العالم الإسلامى ويحمله عملاً للسلامة
 الله وفى التوفيق يد الله عز وجل



٩٣/١٢/١

تفريظ المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ يدالله الدوزدوزاني التبريزي رحمته الله

صاحب كتاب دروس في تفسير القرآن

نزىل قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخُ إكمالِ المُجلدِ الخَامِسِ مِنْ تَفْسِيرِ آيَةِ اللَّهِ الْفَقِيهِ الْمُحَقِّقِ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ
هَادِي النَّجْفِيِّ رحمته الله الموسوم بِـ (أَجْوَدُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ):

من نظم فضيلة العلامة القدير المحقق الحجة الشاعر المفلح
السيد عبدالستار الحسيني البغدادي رحمته الله

- بَحْرُ الْأَبْيَاتِ مِنَ (السَّرِيحِ) -:

بِـ (أَجْوَدِ الْبَيَانِ) وَافِي الْوَرَى أَلْ هَادِي، وَقَدْ جَدَّ بِتَخْرِيْرِهِ
وَمُهْدِيَاً خَامِسَ أَجْرَائِهِ بِمَنَّةِ اللَّهِ وَتَيْسِيرِهِ
لِذَلِكَ الْأَبْيَاتُ سَاوَتْهُ فِي عَدِّ (سَرِيحِ) بَعْدَ تَحْيِيرِهِ
وَجَاءَ نِعَمَ السَّفَرُ مِنْ وَارِثِ أَلْ يَبْتُ الَّذِي سَادَ وَنَحْرِيْرِهِ
قُلْ (فَارَ) إِنْ بِالنَّصِّ أَرَّخْتَهُ: أَتَّخَفْنَا أَهَادِي بِتَفْسِيرِهِ

(٧٥٧) + (٥١) + (٥٤٠)

(٨٨)

سنة ١٤٣٦ هـ

العبدُ الأَبْقَى
الأقْلُ عَبْدُ السَّتَارِ عَفَا عَنْهُ الْمَلِيْكُ الْغَفَّارُ
قُمُ الْمُقَدَّسَةِ

تاريخ ثانٍ لإكمال الجزء الخامس من تفسير «أجود البيان» لآية الله الفقيه
المحقق الشيخ هادي آل أبي المجد النجفي رحمته الله:

أَبُو عَلِيٍّ شَيْخُنَا (أَهَادِي) أَتَى تَفْسِيرُهُ سَامِي ١ الْمَقَامِ صَرْحُهُ
وَحَامِسُ الْأَجْزَاءِ ذَا فِي طَيْهِ (نَشْرُ) ٢ كَأَشْدَاءِ الرِّيَاضِ نَفْحُهُ
وَأَبْنُ أَبِي الْمَجْدِ، أَخُو الْفَضْلِ بِهِ قَدْ بَانَ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ نُجْحُهُ
وَمَهْنَجُهُ فِي الْفَسْرِ ٣ أَرْخُ: جَدْدُهُ بِأَجُودِ الْبَيَانِ ضَاءَهُ شَرْحُهُ
+ (١١) (١٦) + (٩٤) + (٨٠٢) + (٥١٣)

سنة ١٤٣٦ هـ

الأقلُّ عَبْدُ السَّتَارِ عَفَا عَنْهُ الْمَلِيكُ الْغَفَّارُ
قُمُ الْمُقَدَّسَةِ

١. سُكَنْتِ (الباء) في كلمة (سامي...) لضرورة الوزن.

٢. النَّشْرُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ.

٣. الْفَسْرُ: التفسير وبهذا اللَّفْظِ سَمِيَ أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جَنِّي شَرْحَهُ لِإِدِيَوَانَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي «الْفَسْر»
على ما يُخَطَّرُ بِالْبَالِ.

٤. الْجَدْدُ: الْوَاضِحُ الْمُسْتَقِيمُ.

٥. يُقَالُ: ضَاءَ، وَأَضَاءَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٢﴾

تذكر الآية الشريفة مُحَرَّمًا آخَرَ من محرمات النكاح وتشريع المتعة والنكاح الموقت.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ معطوفة على ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ في الآية السابقة. اسم مفعول من الإحصان وهو المنع، وسمى الحصن حصناً لمنعه من أَرَادَهُ من أعدائه، والحصن الحصين: أي المنيع، والحصان: الفحل من الأفراس لمنعه صاحبه من الهلاك، والحصان: العفيفة من النساء لمنعه فرجها من الفساد، يقال: أَحْصَنَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا عَفَتْ فحفظت نفسها وامتنعت عن الفجور، وقال تعالى ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ١ أي عفت. والمراد بها في الآية الشريفة هي المتزوجات اللاتي لهن البعل والزوج، لا العفيفات فقط

من دون زواج.

﴿ مِنْ أَلْسَاءٍ ﴾ جار ومجرور، متعلّق بحال محذوفة من ﴿ أَلْمُحْصَنَاتُ ﴾، والتقدير: حال كونهنّ من ﴿ أَلْمُحْصَنَاتُ ﴾.

﴿ إِلَّا ﴾ أداة استثناء. استثناء من الحكم السابق بالنسبة إلى الإماء لأنّه يجوز لمولى الأمة المتزوجة أن يحول بينها وبين زوجها واستبرأها ثمّ ينال منها، بلا فرق بين المسيية وغيرها.

﴿ مَا ﴾ اسم مستثنى في محل نصب. ﴿ مَلَكَتْ ﴾ فعل ماضٍ.

﴿ أَيْمَنُكُمْ ﴾ فاعله ومضاف إليه. أي ملكتم رقابهنّ. لا ملك الاستمتاع، لأنّ المعهود من القرآن الكريم الأوّل دون الثاني.

﴿ كَتَبَ ﴾ مفعول به لاسم الفعل ﴿ عَلَيَّكُمْ ﴾ الآتي، أو مصدر مؤكّد منصوب بفعل مقدّر قريب من معنى فعله، أي كتب الله المحرمات المذكورة عليكم فالزموها وارعوها.

﴿ عَلَيَّكُمْ ﴾ اسم الفعل بمعني الزموا: حكم الله المكتوب المحدود عليكم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ أُحِلَّ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ومعطوف على ﴿ حُرِّمَتْ ﴾ في الآية السابقة.

﴿ لَكُمْ ﴾ جار ومجرور. متعلّق بـ ﴿ أُحِلَّ ﴾.

﴿ مَا ﴾ اسم موصول في محل رفع نائب فاعل ﴿ أُحِلَّ ﴾. والمراد به الوطئ.

﴿ وَرَاءَ ﴾ ظرف مكان ومنصوب ومتعلّق بفعل محذوف وهو استقر.

﴿ ذَلِكَكُمْ ﴾ اسم إشارة للبعيد ومضاف إليه. أي ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ﴾

المذكورات من المحارم في هذه الآية والآيتين السابقتين وبلغت عددهنّ إلى خمسة عشر نوعاً.

﴿ أَنْ ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿ تَبَتُّغُوا ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿ أَنْ تَبَتُّغُوا ﴾ بتأويل مصدر في محل

نصب مفعول لأجله. أو بدل أو عطف بيان من قوله تعالى: ﴿ مَا وَرَاءَ ذَلِكَكُمْ ﴾. أي أن تطلبوا مباشرة النساء ونكاحهنّ.

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أعم من النكاح وملك اليمين.
 ﴿مُحْصِنِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تَبَتُّغُوا﴾، والمراد به العفة دون الحرية والتزويج.
 ﴿غَيْرَ﴾ صفة لـ ﴿مُحْصِنِينَ﴾.
 ﴿مُسْفِحِينَ﴾ مضاف إليه. السفاح: الزنا. السفح: هو صب الماء. أي غير
 معتدين إلى الفحشاء والزنا والمحرمات.
 ﴿فَ﴾ استثنائية، وما بعدها تشريع النكاح الموقت والمتعة وأنها غير منسوخة.
 ﴿مَا﴾ اسم موصول، اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، بمعنى النساء. أو
 للتوقيت.
 ﴿أَسْتَمْتَعْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله في محل جزم لأنه فعل الشرط، صلة
 للموصول، الاستمتاع طلب المتعة والتلذذ. والمراد به نكاح المتعة بلا ريب لأنها كانت
 دائرة بين المسلمين في عهد النبي ﷺ وبعده.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور، والضمير يرجع إلى مدلول ﴿أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾
 وهو النيل والمباشرة والوطني. أو يرجع إلى ﴿مَا﴾ موصولة.
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر، بياني.
 ﴿هُنَّ﴾ مجروره. أي من النساء اللاتي ﴿أَجَلَ لَكُمْ﴾ وكن ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾
 المحرمات الخمسة عشر. ﴿مِنْهُنَّ﴾ متعلق بـ ﴿أَسْتَمْتَعْتُمْ﴾. أو بيان للموصول ﴿مَا﴾.
 ومعناه: ومن ﴿أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ﴾ من النساء.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
 ﴿أَتَوْهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به أول. في محل جزم جواب الشرط.
 ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. ﴿أَجُورٌ﴾ جمع أجر يطلق هنا على
 المهر كأنه أجر الاستمتاع.
 ﴿فَرِيضَةً﴾ حال من ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ بمعنى مفروضة. أو يكون مفعول مطلقاً
 لفعل محذوف من جنسه والتقدير: فرض الله ذلك فريضة.
 ﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَا﴾ نافية للجنس.
 ﴿جُنَاحٌ﴾ اسم ﴿لَا﴾، أي لا إثم ولا منع.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾ محذوف.
 ﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جُنَاحَ﴾. ﴿تَرَاضَيْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَرَاضَيْتُمْ﴾. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور.
 ﴿الْفَرِيضَةَ﴾ مضاف إليه، كنى عن المهر بها حيث جعلها ﴿فَرِيضَةً﴾. أي لا منع
 على الزوجين إذا تراضيا على تخفيف المهر جزءاً أو كلاً من بعد تقديره وفرضه، لكن
 بموافقة الطرفين بدلالة ﴿تَرَاضَيْتُمْ﴾.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.
 ﴿عَلِيمًا﴾ خبره، ﴿عَلِيمًا﴾ بصلاح خلقه.
 ﴿حَكِيمًا﴾ صفة. ﴿حَكِيمًا﴾ في ما شرع لهم من المتعة دفعا للسفاح. وجملة ﴿كَانَ
 عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

ذكر بعض العامة بأنها منسوخة واختلفوا في ناسخها:

«فقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْعَادُونَ﴾ ١.

وفيه أولاً: أن آية المتعة متأخرة عن آية المؤمنون^٢ في النزول، فإن الأولى مدنية
 والأخيرة مكية، ولا يصلح أن تكون المكية تنسخ الآية المدنية.

وثانياً: أن المتعة نكاح بمقتضى الآية الشريفة وما ورد في السنة المباركة، فتدخل
 في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾.

والإشكال: بأنه يلزم من ذلك ثبوت التوارث والطلاق وغير ذلك من
 الأحكام المترتبة على النكاح الدائم.

مردود: بأن تلك منفية بدليلها الخاص الوارد في السنة، وسيأتي ما يتعلق
 بذلك.

١. سورة المؤمنون. (٥-٧).

٢. لم يعمل فيها الإعراب، بل بقيت على أصل الرفع مُراعاةً للحكاية.

وقيل: إن آية المتعة منسوخة بالآيات الشريفة الدالة على لزوم العدة، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْمَطَلَّقَتْ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^٢، إذ المتعة لا طلاق فيها ولا عدة، والزوجيه لا تنفصم إلا بهما - كما يزعم القائل بالنسخ - .

ويردّ عليه: أن النسبة بين الآيتين الكريمتين نسبة العام والخاص أو المطلق والمقيّد، لانسبة الناسخ والمنسوخ؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ عام أو مطلق يشمل كلّ النساء في النكاح الدائم والمؤقت، ولكن خصص في الزواج المؤقت بدليل وارد في السنة.

يضاف إلى ذلك أن العدة لا تختص بالنكاح الدائم، بل هي موجودة في النكاح المنقطع أيضاً.

نعم، تختلف العدتان في المدة، ولكن هذا الاختلاف لا يرتبط بأصل الموضوع. وقيل: إن المتعة منسوخة بآية الميراث، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾^٣، ولا إرث في نكاح المتعة.

وفيه: أنه يرد عليه ما ذكرناه آنفاً، فإن النسبة بين الآيتين نسبة العام والخاص، لا نسبة النسخ، فإن آية الميراث تدلّ على عموم الحكم بالنسبة إلى الأزواج الدائم والمنقطع، ولكن السنة خصصت عموم آية الميراث بالزواج المنقطع، فلا إرث فيه حينئذٍ.

وقيل: إن آية المتعة منسوخة بالآية التي تدلّ على تعدد الزوجة وانحصارها في أربع، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

١. سورة الطلاق / ١.

٢. سورة البقرة / ٢٢٨.

٣. سورة النساء / ١٢.

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبُ آلَى تَعُولُوا»^١.

وفيه: أنه لا وجه للنسخ مع دلالة السنة على عدم انحصار المتعة في بالأزبع، فتكون النسبة من العام والخاص كما عرفت.

ودعوى: نسخها بأية التحريم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا»^٢.

هي باطلة كما هو واضح، فإن المتعة نكاح يجري فيها جميع ما شرع في النكاح الدائم إلا ما خصصته السنة الشريفة، مثل الإرث ونحوه، - كما بين في الكتب الفقهية - .

وقيل: - وهو المعروف المشهور بين الجمهور - إنها منسوخة بالسنة، فقد نقل أن رسول الله ﷺ نسخها عام خيبر، وقيل عام الفتح، وقيل في حجة الوداع، وقيل غير ذلك.

ولكن ذلك لم يثبت بدليل معتبر، بل معارض بروايات معتبرة أخرى من الفريقين تدل على عدم النسخ»^٣.

الروايات

روايات الفريقين تدل على مشروعية المتعة، أذكر لك بعض الروايات الواردة من طرق العامة فقط وروايات الخاصة المذكورة في كتب أخبارنا؛ غير خفية على المتتبع

١. سورة النساء / ٣.

٢. سورة النساء ٢٣.

٣. مواهب الرحمن ٨ / (٣٩-٣٦) مع اصلاحات.

٤. راجع الكافي ٧ / ١١ (٤٤٨ / ٥)؛ تفسير العياشي ١ / ٣٨٥؛ نور الثقلين ٢ / ٤٨؛ البرهان في التفسير القرآن ٢ / ٥٨؛ وسائل الشيعة ٢١ / ٥؛ مستدرک الوسائل ١٤ / ٤٤٧؛ جامع أحاديث الشيعة ٢٦ / ٣٤.

لها والمتطلع منها سنداً ودلالة.

روى مسلم في صحيحه بإسناده عن قيس قال: سمعتُ عبد الله يقول كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء فقلنا ألا نستحصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبد الله ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٢.١

وإسناده قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتبراً فجنأه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمئنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر. ٣.

وإسناده عن أبي الزبير قال سمعتُ جابر بن عبد الله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهي عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. ٤.

قال الثعلبي: «روى شعبة عن الحكم قال: سألته عن هذه الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ أمنسوخة هي؟ قال: لا. قال الحكم: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لو لا أن عمر نهي عن المتعة ما زنا إلا شقي^٥» ٦.

ورواها في الدر المنثور^٧ وقال: أخرج عبدالرزاق وأبوداود في ناسخه وابن جرير^٨ عن الحكم وذكره مثله.

وقال أبو رجاء العطاردي عن عمران بن الحصين قال: نزلت هذه الآية (المتعة) في كتاب الله، لم تنزل آية بعدها تنسخها، فأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتعنا مع

١. سورة المائدة / ٨٧.

٢. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ٩ / ١٨٢.

٣. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ٩ / ١٨٣.

٤. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ٩ / ١٨٣.


٥. وفي الرواية المشهورة: «ما زنا إلا شقي» بالفاء أي قليل.

٦. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣ / ٢٨٦.

٧. الدر المنثور ٢ / ١٤٠.

٨. تفسير الطبري ٥ / ١٩.

رسول الله ﷺ ولم ينهنا عنه، وقال رجل بعد برأية ما شاء! ١.
وقد ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء ٢ وأبو هلال العسكري في الأوائل ٣ تحريم
عمر بن الخطاب للمتعة.
ولذا اعترف السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار؛ في ذيل الآية الشريفة بأن
قول الإمامية [في المتعة] أرجح من مذهب جمهور أهل السنة.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ
مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفِجْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ
تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ 

تعرض سبحانه وتعالى في هذه الآية بنكاح الإماء وشروطه.
﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
﴿لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب وفعل مضارع مجزوم وفاعله، في محل
جزم لأنه فعل الشرط.
﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف من ﴿مَنْ﴾ والتقدير: حال كونه
﴿مِنْكُمْ﴾ ومن بياني. والضمير الخطاب يرجع إلى المسلمين.
﴿طَوْلاً﴾ مفعول به أو تمييزاً أو حالاً، والطول: الغنى والزيادة والسعة في المال،

١. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٣/ ٢٨٦.

٢. تاريخ الخلفاء / ١٠٨.

٣. الأوائل / ١ / ٢٤٠.

٤. راجع تفسير المنار ٥/ ٦.

والأول مروئي عن أبي جعفر عليه السلام ١.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَنْكِحَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر. نكاح الدوام أو

الموقت.

﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ مفعول به، المراد بهنّ الحرائر لمقابلتهنّ مع ﴿فَتَيَّبْتِكُمْ﴾ لا

العفائف.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ نعت. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جواب الشرط.

﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ اسم موصول في محلّ جر. جار ومجرور متعلّق بـ﴿يَنْكِحَ﴾.

﴿مَلَكَتِ﴾ فعل ماض. ﴿أَيَّمَنُكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، بيانيّ.

﴿فَتَيَّبْتِكُمْ﴾ مجروره ومضاف إليه. جار ومجرور متعلّق بحال محذوف من اسم

الموصول ﴿مَا﴾. «الفتى: الشاب، والفتاة: الشابة؛ الفتاة: الأمة وإن كانت عجزواً لأنّها

كالصغيرة في أنّها لا توقر توقير الكبيرة» ٢.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ نعت. تدلّ على عدم جواز نكاح الأمة الكتابية أو المشركة. وما

ورد في قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ

قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ ٣ مخصوصة بالحرائر من

الكتابيات لإماتهنّ.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبره.

﴿بِأَيْمَانِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ﴿أَعْلَمُ﴾. يعني أنّه تعالى هو

العالم بإيمان عباده، «وهو كناية عن إثمهم كلّوا الجري على الأسباب الظاهرية الدالة

على الإيثار كالشهادتين والدخول في جماعة المسلمين والالتيان بالوظائف العامة الدينية

١. التبيان ٣/ ١٦٩.

٢. التبيان ٣/ ١٧٠.

٣. سورة المائدة / ٥.

فظاهر الإيذان هو الملاك دون باطنه»^١.

﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه.

﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ. والجملة تدل على أنّ أفراد الإنسان متساوون في الانسانية فالحر انسان كما أنّ الرق انسان من دون تفاوت واختلاف. وجوهر الإنسانية يشترك بينهما من دون أيّ فرق.

﴿فَ﴾ تعليلة.

﴿أَنْكِحُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. وطي بالنكاح لا بملك اليمين

بدلالة قوله: ﴿أَجُورَهُنَّ﴾.

﴿بِإِذْنٍ﴾ جار ومجرور.

﴿أَهْلِهِنَّ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه. ارشاد إلى أن نكاح الإماء مشروط بإذن

مواليهنّ لأنّ زمام أمورهنّ إنّما هو بيد مواليهنّ، عبر عنهم بـ ﴿أَهْلِهِنَّ﴾ لما مرّ من قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾. فلا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكيها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعوله الأوّل. معطوف على ﴿أَنْكِحُوهُنَّ﴾. أي:

أعطوا مواليهنّ لأنّ مهر الأمة لسيدها.

﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. أي مهمورهنّ.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَاتُوهُنَّ﴾. والمعروف: هو ما وقع عليه

العقد والتراضي. «وقد أرشد إلى الإعطاء بالمعروف عن غير بخس ومماثلة وإيذاء»^٢.

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ حال من ضمير الغائبات. والإحصان هنا بمعنى العفة أي

العفيفات.

﴿غَيْرٍ﴾ نعت أو بدل لـ ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾.

﴿مُسْفِحَاتٍ﴾ مضاف إليه. أي غير مزنيات بهنّ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

١. الميزان ٤/ ٢٧٧.

٢. الميزان ٤/ ٢٧٨.

﴿مُتَّخِذَاتٍ﴾ معطوفة على ﴿غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ﴾.

﴿أَخْدَانٍ﴾ مضاف إليه. أخدان: جمع الخدن هو الصديق للمرأة يزني بها سراً. «كذا كان في الجاهلية والسفاح ما ظهر منه، وكان فيهم من يجرم ما ظهر من الزنا ولا يجرم ما خفى منه»^١. ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^٢.

﴿فَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان وأداة شرط غير جازمة، خافض لشرطه متعلق بجوابه. ﴿أُحْصِنَ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله في محل جر فعل الشرط. والمراد بالاحصان هنا هو التزويج. و «كان أخذه في الشرط لمجرد كون مورد الكلام في ما تقدم ازدواجهن»^٣. ولا فرق في إحصائهن وعدمه في ما يأتي من تنصيف حدهن ولعل لأجل التنبيه على أن حدّ الرجم ساقط عنهن مع وجود احصائهن.

﴿فَ﴾ رابطة أو استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَتَيْنَ﴾ فعل ماض وفاعله في محل جزم فعل الشرط.

﴿بِفَنِيحِشَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَتَيْنَ﴾. أي بالزنا.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها جواب الشرط.

﴿عَلَيْهِنَّ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر مقدم. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ حداً لا رجماً، لأنّ الرجم ساقط عن الأمة وتضرب خمسين جلدة في فرض احصائها وعدمه.

﴿نِصْفُ﴾ مبتدأ مؤخر. أي نصف حدّ الحرائر من الجلد يعني خمسين جلدة.

والرجم ساقط عنها لأنه لا ينصف.

﴿مَا﴾ موصولة في محل جرّ بالإضافة.

﴿عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف نحو: يقع. أي على

العفيفات من النساء الحرائر.

١. التبيان ٣/ ١٧٠.

٢. سورة الأنعام / ١٥١.

٣. الميزان ٤/ ٢٧٨.

١٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿ مِنْ أَلْعَابِ ﴾ جار ومجرور. متعلق بحال محذوف من ﴿ نَصَفُ ﴾. أي العذاب
الديني وهو حدّ الجلد للزنا وللأمة ينتصف بالآية الشريفة.
﴿ ذَلِكَ ﴾ اسم اشارة، مبتدأ. اشارة إلى نكاح الجوازي.
﴿ لِمَنْ ﴾ حرف جر ومجروره محلاً لأنه اسم موصول مبني على السكون، متعلّق
بخبر.

﴿ حَشَى ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ مَنْ ﴾.
﴿ أَلَعَنْتَ ﴾ مفعول به. ومعناه: الجهد والمشقة والشدة والهلاك.
﴿ مِنْكُمْ ﴾ جار ومجرور. متعلق بحال محذوف من اسم الموصول ﴿ مَنْ ﴾.
﴿ وَ ﴾ استئنافية.
﴿ أَنْ ﴾ مصدرية ناصية وبانضمام ما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع مبتدأ.
﴿ تَصَبَّرُوا ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي: صبركم عن نكاح الأمة.
﴿ خَيْرٌ ﴾ خبر. ﴿ لَكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ خَيْرٌ ﴾. ﴿ وَ ﴾ استئنافية.
﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ. ﴿ غَفُورٌ ﴾ خبر، ﴿ غَفُورٌ ﴾ بالذنوب.
﴿ رَحِيمٌ ﴾ خبر ثان. ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بالعباد.

تنبيه

قال الشيخ: «والرجم معلوم من دين المسلمين بالتواتر فإنهم لا يختلفون
أنه ﷺ رجم ما عزا بن مالك الأسلمي ورجم يهودياً ويهودية وعليه جميع الفقهاء
من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فخلافاً الخوارج [في انكار الرجم] لا يلتفت إليه»^٢.

الروايات

موثقة ابن بكير، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ
يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْخُرُّ الْمَمْلُوكَةَ الْيَوْمَ، إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

١. ومن طرائف أسجاع العلامة الحنبلي أي الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧) قوله من باب
التجنيس: «ما عزّ عفيفٌ إلا بما ذلّ به ما عز».
٢. التبيان ١٧٢/٣.

مِنْكُمْ طَوْلًا ﴿٢٥﴾ وَالطَّوْلُ الْمَهْرُ، وَمَهْرُ الْحُرَّةِ الْيَوْمَ مَهْرُ الْأُمَّةِ، أَوْ أَقَلُّ ١.
صحيحه مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا
أُحْصِنَ﴾؟

قَالَ: إِحْصَانُهُنَّ أَنْ يُدْخَلَ بَيْنَهُنَّ.
قُلْتُ: إِنْ لَمْ يُدْخَلَ بَيْنَهُنَّ، أَمَا عَلَيْهِنَّ حَدٌّ؟
قَالَ: بَلَى. ٢.

روى نحوها الشيخ بسند صحيح عن أبي بصير. ٣.
معتبرة أَبِي بَكْرٍ الْخَضْرَمِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ قَدَفَ
حُرًّا؟

قَالَ: يُجْلَدُ ثَمَانِينَ، هَذَا مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ ﷻ فَإِنَّهُ
يُضْرَبُ نِصْفَ الْحَدِّ.

قُلْتُ: الَّذِي مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ ﷻ مَا هُوَ؟
قَالَ: إِذَا زَنَى أَوْ شَرِبَ خَمْرًا، فَهَذَا مِنْ الْحُقُوقِ الَّتِي يُضْرَبُ فِيهَا نِصْفَ الْحَدِّ. ٤.
صحيحه مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعَبِيدِ
وَالْإِمَاءِ إِذَا زَنَى أَحَدُهُمْ أَنْ يُجْلَدَ خَمْسِينَ جَلْدَةً إِنْ كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَلَا
يُرْجَمَ وَلَا يُنْفَى. ٥.

رواها الشيخ أيضاً بسند صحيح. ٦.
صحيحه أَبِي الْعَبَّاسِ الْبُقْبَاقُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ الْأُمَّةَ
بِغَيْرِ عِلْمِ أَهْلِهَا؟ قَالَ: هُوَ زَنَاءٌ إِنْ لَمْ يَنْفِقْ يَقُولُ: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾. ٧.

١. الكافي ١٠/١٠٦٦٧، ح ٧ (٥/٣٦٠).

٢. الكافي ١٤/١٧٤، ح ٦ (٧/٢٣٥).

٣. التهذيب ١٠/١٦، ح ٤٣.

٤. الكافي ١٤/١٨٢، ح ١٩ (٧/٢٣٧).

٥. الكافي ١٤/١٨٤، ح ٢٣ (٧/٢٣٨).

٦. التهذيب ١٠/٢٨، ح ٨٩.

٧. الفقيه ٣/٤٥١، ح ٤٥٦٠.

رواها الشيخ أيضاً بسند صحيح.^١

صحيحة أحمد بن محمد بن محمد أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام يتمتع بالأمة بإذن أهلها؟ قال: نعم، إن الله تعالى يقول: ﴿فَأَنكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾.^٢
صحيحة بريد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا زنى العبد ضرب خمسين فان عاد ضرب خمسين فان عاد ضرب خمسين إلى ثمان مائة فإن زنى ثمان مائة قُتل وأدب الإمام قيمته إلى مواليه من بيت المال.^٣
معتبرة بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: تجلد نصف الحد كان لها زوج أو لم يكن لها زوج.^٤

معتبرة الحسن بن اكسرى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا زنى العبد والأمة وهما محصنان فليس عليهما الرجم انما عليهما الضرب خمسين، نصف الحد.^٥
وإنما جعل نصف الحد على العبد - وإن كان مُحصناً وهو الجلد دون الرجم؛ لأن الرجم لا يتصور فيه العذر فعدّل منه إلى الجلد.

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: من ضرب مملوكاً له يحد من الحدود من غير حد وجب لله على المملوك لم يكن لضاربه كفارة إلا عتقه.^٦
وفي تفسير العياشي^٧ تسع روايات لم أذكرها لعدم وجود موضوعها في هذه الأعصار فإن شئت فراجعها.

١. التهذيب ٧/٣٤٨، ح ٥٥.
٢. التهذيب ٧/٢٥٧، ح ٣٥.
٣. التهذيب ١٠/٢٨، ح ٨٧.
٤. التهذيب ١٠/٢٧، ح ٨٢.
٥. التهذيب ١٠/٢٧، ح ٨٣.
٦. التهذيب ١٠/٢٧، ح ٨٥.
٧. تفسير العياشي ١/٣٨٦، ح ٨٩ إلى ٩٧.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ذكر الله تعالى في الآية الشريفة بياناً وإشارة إلى غاية تشريع ما سبق من الأحكام الشرعية الواردة في الآيات الثلاث الماضية والمصالح التي تترتب عليها إذا عمل بها. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار. والمراد بالإرادة هنا الإرادة التشريعية.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿ل﴾ فيها أقوال ثلاثة:

[١] اللام قائمة مقام أن وجاءت للتأكيد، يقال: أردت لتذهب أي أن تذهب ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^١ وبه قال الكسائي والفراء والكوفيون وأنكره الزجاج.

[٢] ومذهب سيبويه وأصحابه أن اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أي لإرادة البيان لكم نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّيَا تَعْبُرُونَ﴾^٢ أي إن كانت عبارتكم للرؤيا.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ﴾^٣ أي رهبتهم لربهم.

[٣] وقال الآخرون بعد تضعيف الوجهين الماضين: تقديره ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ ما يريده للبيان ﴿لَكُمْ﴾، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْرًا لِنُسَلِّمَ﴾^٤ وتقديره: ﴿أَمْرًا﴾ بما امرنا ﴿لِنُسَلِّمَ﴾.

﴿يُبَيِّنَ﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به على القول الأول، ومفعول له على القول الأخير ومفعول به محذوف. و ﴿يُبَيِّنَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن المضمرة

١. سورة الصف / ٨.

٢. سورة يوسف / ٤٣.

٣. سورة الأعراف / ١٥٤.

٤. سورة الأنعام / ٧١.

وفاعله ضمير مستتر ومفعوله محذوف للدلالة على عظم شأنه وهو الحلال والحرام.
﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿يَهْدِيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى ومفعول به.
معطوفة على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾. أي يرشدكم.
﴿سُنَنَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿يُبَيِّنُ﴾ أو ﴿يَهْدِيكُمْ﴾. أي سننهم في الجملة لا
بالتفصيل.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة.
﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بفعل محذوف وهو عاشوا
ووجدوا. والمراد أنه تعالى يهديكم إلى طرق حياة السابقين من الصالحين الذين
يمضون في حياتهم على مرضاة الله تعالى.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَتُوبَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. معطوفة على
﴿لِيُبَيِّنَ﴾. وتوبة الله على عبده رجوعه تعالى إليه بالرحمة والنعمة، وتشريع الشريعة
وبيان أحكامها من مصاديق الرحمة الإلهي والنعمة الرباني.
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتُوبَ﴾.
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ خبران.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا

عَظِيمًا﴾

تأكيد للآية السابقة مع التذكار بأمر جديد يأتي.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. والمراد بالارادة كما مر هي

التشريعية.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبية.

﴿يَتُوبُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ وفاعله ضمير مستتر.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور. كرر التوبة مقابلة لما ورد بعدها من قوله: ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل. ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿الشَّهَوَاتِ﴾ مفعول به، وجمع المحلي باللام يدل على العموم. فهم يتبعون جميع ما يشتهي أنفسهم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَمِيلُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. و﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ بتأويل مصدر مفعول به

لـ﴿يُرِيدُ﴾. أي ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحق. الميل: هو الانحراف وهنا الانحراف عن الحدود والأحكام الشرعية الماضية وغيرها.

﴿مَيْلًا﴾ مصدر مفعول مطلق.

﴿عَظِيمًا﴾ نعته. والميل العظيم: هو هتك حرمت الله وحدوده وأحكامه

وبالخصوص هنا هو استباحة الزنا بالنسبة إلى ما مرّ في الآيات السابقة من محرمات النساء وغيرهنّ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْفَفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

تعليل لما مرّ في الآيتين السابقتين.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله والمراد بالارادة كما مرّ تشريعية.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَخْفَفَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَخْفَفَ﴾. والتخفيف يكون بهذه المحرمات

القليلة ووجود كثير من النساء اللاتي يجلّ نكاحهنّ لقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ

ذَلِكُمْ»^١.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿خُلِقَ﴾ فعل ماضٍ مجهول. حُذِفَ فاعله تعظيماً.

﴿الْإِنْسَانُ﴾ نائب فاعله. «ال» في أوّله «ال» جنس.

﴿صَعِيفًا﴾ حال من ﴿الْإِنْسَانُ﴾. ولذا جعل الحدود والأحكام الشرعية للإنسان يلاحظ فيها حال ضعفه وعدم قدرته، فلا يكون في الأحكام الشرعية أمراً غير مقدور. بل التكليف في الشريعة مشروط بالقدرة عليه ولذا قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^٢ وقال: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^٣.
قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة: ان الله يكلف عباده ما لا يطيقون، لأن ذلك مُنافٍ لارادة التخفيف عنهم في التكليف، من حيث أنه غاية التثقيل»^٤.

روايتان

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ: مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعَلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تَوْلَمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتَلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتَنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ.^٥

مكنون: مستور الشارقة: الغصة بالريق.

وقال عليه السلام: لَقَدْ عَلَّقَ بِنِيَابِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ: وَذَلِكَ الْقَلْبُ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَخَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرَّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّهَ الْجُرْعُ، وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْعَاهُ الْغِنَى، وَإِنْ عَصَبَتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ،

١. سورة النساء / ٢٤.

٢. سورة البقرة / ١٨٥.

٣. سورة الحج / ٧٨.

٤. التبيان / ٣ / ١٧٧.

٥. نهج البلاغة، حكمة ٤٠٧.

وإن أفرط به الشَّبَعُ كظَنَّهُ البَطْنَةَ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ. ١

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾

تَعْرِضُ الآيَةُ الكَرِيمَةُ لِأَحَدِ الْأَصُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي وَهُوَ النِّهْيُ
عَنْ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَرَدْفَهُ بِالنِّهْيِ عَنِ قَتْلِ النَّفْسِ إِيْهَا مَا بَعْظَمَةُ حَرَمَةُ الْأَوَّلِ.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خَطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ
الصَّمَدِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُوَ خَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ ﷺ.

﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ فَعَلٌ نَهْيٍ وَفَاعِلُهُ. وَالْمُرَادُ بِالْأَكْلِ بِقَرِينَةٍ مَا بَعْدَهُ - أَيِ الْأَمْوَالِ -
هُوَ وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْمَالِ وَالتَّصَرُّفُ فِيهِ بِالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْمَلَأَكُ.
﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالْمَالُ: هُوَ مَا يَبْدُلُ بِإِزَائِهِ الْمَالُ.
﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظَرْفٌ مَكَانٌ مَتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحذُوفَةٌ مِنْ ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. أَيِ
بِالتَّدَاوُلِ وَالتَّدَاوُرِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مَتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحذُوفَةٌ. أَيِ بِأَسْبَابٍ بَاطِلَةٍ. وَالبَاطِلُ: هُوَ
الَّذِي لَا وَاقِعَ لَهُ وَلَا حَقِيقَةَ.

﴿إِلَّا﴾ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ. وَمَا بَعْدَهَا اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُوعٌ لَا الْمَتَّصِلُ وَلَكِنْ لَا تَدُلُّ عَلَى
الْحَصْرِ لَوْجُودِ مَصَادِقٍ آخَرَ لِأَكْلِ الْمَالِ بِالْحَقِّ نَحْوِ: الْإِرْثِ وَالْمَهْرِ وَالْهَبَةِ وَالصَّلْحِ
و....

﴿أَنْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ نَاصِبَةٌ.

﴿تَكُونُ﴾ فَعَلٌ مُضَارِعٌ مَنْصُوبٌ نَاقِصٌ وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: التَّجَارَةُ.
وَيُمْكِنُ أَنْ ﴿تَكُونُ﴾ تَامَةٌ وَالْقِرَاءَةُ بِهَا مَوْجُودَةٌ. وَعَلَى الْقَوْلِ بِتَمَامِيَّةِ «الْأَسْبَابِ
الصَّحِيحَةِ لِأَكْلِ الْمَالِ هُنَاكَ شَيْئَانِ هُمَا: التَّجَارَةُ وَالْأَكْلُ عَنْ تَرَاضٍ بِحَيْثُ لَوْ يَنْعَدَمُ

كلاهما معاً - لا كل واحد منهما - ترتفع الحلية»^١.

﴿تَجَرَّةٌ﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾. والتجارة: مصدر التجر يتجر، فتشمل جميع العقود المالية.

﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿تَجَرَّةٌ﴾ أي ﴿تَجَرَّةٌ﴾ صادرة ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾. ويمكن أن يكون خبراً بعد الخبر. والمراد بالرضا هنا طيب النفس والإذن وصحة الانتساب لقوله ﷺ: لا يحل دم امرء مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه. ٢.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَرَاضٍ﴾.

وقد بحثنا حول هذه الآية الشريفة في كتابنا «الآراء الفقهية»^٣ بالتفصيل فلا نعيد.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. بلا فرق بين قتل النفس وقتل الغير لأنه تعالى لاحظ جميع النفوس المحترمة كنفس واحدة ولقوله ﷺ: «المؤمنون كنفس واحدة»^٤.

﴿إِنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر.

﴿بِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿رَحِيمًا﴾ خبر كان. والجملة الفعلية ﴿كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

والجملة الأخيرة تعليل لما ورد في الآية الشريفة بالنسبة إلى حرمة النفوس والأموال.

١. الآراء الفقهية ٥/ ٢٦٣، للمؤلف.

٢. وسائل الشيعة ٥/ ١٢٠، ح ١، الباب ٣ من أبواب مكان المصلي، موثقة سماعاً.

٣. راجع الآراء الفقهية ١/ ١٣، و ٤/ ١٢٢، و ٥/ ١٥٣ و ٢٥٨.

٤. روض الجنان ٥/ ٣٣٣.

الروايات

موثقة سَمَاعَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الرَّجُلُ مِمَّا يَكُونُ عِنْدَهُ الشَّيْءُ يَتَبَلَّغُ بِهِ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، أَيَطْعِمُهُ عِيَالَهُ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِمِيسْرَةٍ، فَيَقْضِي دَيْنَهُ، أَوْ يَسْتَقْرِضُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي حُبِّ الزَّمَانِ وَشِدَّةِ الْمَكَايِبِ، أَوْ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ؟

قَالَ: يَقْضِي بِمَا عِنْدَهُ دَيْنَهُ، وَلَا يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ إِلَّا وَعِنْدَهُ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ وَلَا يَسْتَقْرِضُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَّا وَعِنْدَهُ وَفَاءٌ وَلَوْ طَافَ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ فَرَدَّوهُ بِاللُّقْمَةِ وَاللُّقْمَتَيْنِ وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلِيٌّ يَقْضِي دَيْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ لَيْسَ مِمَّا مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ وَلِيًّا يَقُومُ فِي عِدَّتِهِ وَدَيْنِهِ، فَيَقْضِي عِدَّتَهُ وَدَيْنَهُ. ١.

رواها العياشي في تفسيره ٢ والشيخ في التهذيب ٣.

عن أسباط بن سالم، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه رجلٌ، فقال له: أخبرني عن قول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

قال: عنى بذلك القهار، وأما قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ عنى بذلك الرجل من المسلمين يَشِدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ قَيْتِلُ، فَهَنَاهُمْ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. ٤.

وقال: في رواية أُخْرَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ، رَفَعَهُ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَحْدَهُ حَتَّى يَقْتُلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾. ٥.

عن أسباط، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، قال: هو القهار. ٦.

عن إسحاق بن عبد الله محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، قال: حدَّثني الحسن بن

١. الكافي ٩/ ٥٨٧، ح (٩٥/٥).

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٨٩، ح ١٠١.

٣. التهذيب ٦/ ١٨٥، ح ٣٨٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ٣٨٨، ح ٩٨.

٥. تفسير العياشي ١/ ٣٨٨، ح ٩٩.

٦. تفسير العياشي ١/ ٣٨٩، ح ١٠٠.

زيد، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سألت رسول الله ﷺ عن الجبائر تكون على الكسير، كيف يتوضأ صاحبها، وكيف يغتسل إذا أجنب؟ قال: يُجزيه المسح بالماء عليها في الجنابة والوضوء.

قلت: فإن كان في بردٍ يُخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده؟ فقرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ١.

عن محمد بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، قال: نهي عن القمار، وكانت قريش تُقامر الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عن ذلك.

وقرأ قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، قال: كان المسلمون يدخلون على عدوهم في المغارات، فيتمكن منهم عدوهم، فيقتلهم كيف شاء، فنهاهم الله أن يدخلوا عليهم في المغارات ٢.

صحيحة أبي ولاد الحناط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها ٣.

عن أبي جعفر عليه السلام في معني ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بالربا والقمار والبخس والظلم ٤. روي عن أبي عبد الله عليه السلام في ذيل ﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلون من لا تطيقونه ٥.

ومن طريق المخالفين: ما رواه ابن المغازلي، يرفعه إلى ابن عباس، في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

قال: لا تقتلوا أهل بيت نبيكم، إن الله ﷻ يقول في كتابه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ٦، قال: كان أبناء هذه الأمة الحسن

١. تفسير العياشي ١/٣٨٩، ح ١٠٢.

٢. تفسير العياشي ١/٣٩٠، ح ١٠٣.

٣. الفقيه ٤/٩٥، ح ٥١٦٣؛ وعقاب الأعمال / ٣٢٥؛ ومرسلاً في الفقيه ٣/٥٧١، ح ٤٩٥٣.

٤. التبيان ٣/١٧٨؛ مجمع البيان ٢/٣٧.

٥. التبيان ٣/١٨٠؛ مجمع البيان ٢/٣٧.

٦. سورة آل عمران / ٦١.

والحسين، وكانت نساؤهم فاطمة، وأنفسهم النبي وعليؑ ١.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا﴾

تتميم وتكميل لما ورد في الآية السابقة، والتفات عن خطاب المؤمنين إلى خطاب رسول الله ﷺ تلويحاً إلى أن من فعل ذلك فليس من المؤمنين.
 ﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
 ﴿يَفْعَلْ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط. وفاعله ضمير مستتر.
 ﴿ذَلِكَ﴾ مفعول به، اشارة إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس الواردين في الآية السابقة. أو إلى الآيات السابقة من التزويج بالمحرمات وتحليل ما حرّمه الله تعالى وتحريم ما أحلّه.
 ﴿عُدْوَانًا﴾ مصدر، مفعول مطلق. العدوان: هو التجاوز عن الحدّ.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ظُلْمًا﴾ معطوفة على ﴿عُدْوَانًا﴾.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال للبعيد.
 ﴿نُصَلِّيهِ﴾ فعل مضارع وفاعله مستتر ومفعول به أول. الاصلاء بالنار: الاحراق بها.

﴿نَارًا﴾ مفعول به ثان. ﴿وَ﴾ استثنائية.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿ذَلِكَ﴾ اسمه.
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾ ورد للتعظيم.
 ﴿يَسِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. اليسير: السهل. أي أنه تعالى قادر على انجاز وعيده.
 وفي الجملة الأخيرة إشعار بالتعليل أي وذلك على الله يسير لأنه هو الله القاهر

١. مناقب ابن المغازلي / ٣١٨، ح ٣٦٢؛ شواهد التنزيل / ١/ ١٤٢، ح ١٩٤؛ ونقل عنها في تفسير البرهان / ٢/ ٦٦، ح ١٣.

فوق عباده.

﴿إِنْ مَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا

كَرِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

الآية تدلّ على وجوب الاجتناب عن الكبائر والتكفير عمّا دُوّنَها ووجه ارتباطها بما قبلها تذكير بعض الكبائر، في الآية ترغيب ورجاء ووعد وأمل بالنجاة ودخول الجنة للمؤمنين.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿مَجْتَنِبُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. «أصل الجنب: الجارحة..

وذلك [اجتنبوا] أبلغ من قولهم اتركوه»^١ كما قاله الراغب.

فأصل ﴿مَجْتَنِبُوا﴾ الجنب بمعنى الجارحة بني عنه الفعل على الاستعارة، فإنّ الإنسان إذا أعرض شيئاً تركه جانباً، فالاجتناب: هو الابتعاد عن الشيء وملازمة تركه.

﴿كَبَائِرَ﴾ مفعول به. جمع كبيرة في مقابل الصغيرة وهما إضافيان. ذكر الله

تعالى اجتناب الكبائر ولم يعينها لأنّ في تعينها إغراء بفعل الصغائر.

قال الشيخ: «والمعاصي وإن كانت كلّها عندنا كبائر، من حيث كانت معصية لله تعالى، فإنّنا نقول: إن بعضها أكبر من بعض، ففيها إذاً كبير بالاضافة إلى ما هو أصغر منه»^٢.

قد ذكروا لتعيين الكبائر طرقاتاً، قال عمّن الأكرم آية الله الشيخ محمدعلي النجفي رحمته الله في كتابه بالفارسية ما نصه: «به هر حال در معنای کبیره و صغیره مابین علمای اعلام رحمته الله ده قول است:

١. المفردات / ٩٧.

٢. التبيان / ٣ / ١٨٢.

قول اول: آن است که، هر معصیتی که شارع مقدّس به جهت او حدّ مقرر داشته، مانند زنا و لواط و شرب خمر و قذف محصنه و امثالها، کبیره است و مابقی صغیره. ۱.

قول دویم: آن است که، در هر معصیتی که تشدید عقاب وارد شده، کبیره است و مابقی صغیره. ۲.

قول سیم: آن است که، هر معصیتی که به اجماع یا ضرورت یا دلیل قاطع معلوم شود، کبیره است و آنچه به ادلّه ظنیّه ثابت شود، صغیره است. و هم ارتکاب شبهاتی که واجب الاجتناب است مثل شبهه محصوره، داخل معاصی کبیره است. ۳. چهارم: آن است که، هر چه فعل او موجب تهتک در دین و ظهور تجرّی است و دلیل بر آن است که، فاعل او اعتنا به شرع ندارد، کبیره است و مابقی صغیره.

پنجم: آن است که، هر معصیتی که به خصوص در او وعده عقوبت شده غیر از آن عقوبتی که به طریق عموم در مطلق معاصی وارد شده، کبیره است و مابقی صغیره. ۴.

ششم: آن است که، آنچه به خصوص در او وعده آتش شده، کبیره است و مابقی صغیره. ۵.

و فرق این قول با قول پنجم آن است که، قائل به قول پنجم مدعی است که به وعده هر عقوبتی، معصیت کبیره می شود، و قائل به قول ششم خصوص وعده آتش را موجب کبیره شدن می داند نه هر عقوبتی [را].

هفتم: آن است که، آنچه به خصوص در کتاب عزیز وعده عقوبت در او شده، کبیره است و آنچه در کتاب وعده عقوبت در او نشده اگر چه در اخبار وعده

۱. القواعد والفوائد / ۱ / ۲۲۵.

۲. القواعد والفوائد / ۱ / ۲۲۶.

۳. کنز العرفان / ۲ / ۳۸۴.

۴. التنقیح الرائع / ۴ / ۲۹۱؛ الدروس الشرعية / ۲ / ۱۲۵؛ والروضه البهیة / ۳ / ۱۲۹.

۵. النهایه / ۳۲۵؛ وارشاد الأذهان / ۲ / ۱۵۶.

عقوبت او رسیده باشد، معصیت صغیره است. ۱.

هشتم: آن است که، معاصی کبیره همان معاصی است که در سوره نساء از اوّل تا آنجا که می فرماید: ﴿إِنْ حَتَّيْبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، وارد شده و سایر معاصی که در قرآن یا در اخبار وارد شده صغیره است. ۲.

نهم: آن است که، هر معصیتی که نبی او در کتاب الله وارد شده و [...] کبیره است و مابقی صغیره. ۳.

دهم: آن است که، هر معصیتی که به خصوص در کتاب یا اخبار تصریح شده باشد چون سبعة موبقه و امثالها، کبیره است. ۴.

و مقصود این قائل آن است که، باید وصف کبیره و صغیره نسبت به هر يك از معاصی به خصوص از آیات و اخبار مستفاد شود و به اقتراح نمی توان تشخیص کبیره و صغیره نمود.

و صاحبان این اقوال را هر يك به خصوص دلیل است مخصوص، در محل خود مذکور.

و قول ششم به نظر کثیری از متأخرین خالی از قوت نیست، اگر چه تعیین کبیره و صغیره را از اخبار نمودن چنانچه قائل دهم می گوید هم می شود نمود و منافاتی ندارد.

و اختلافاتی که در اخبار وارد است ممکن است جمع نمود به حمل بر اضافه؛ مثل آنچه به خصوص در سبعة وارد شده حمل نمود بر اکبر کبایر و آنچه در علاوه بر سبعة وارد شده حمل نمود بر این که کبیره است، ولی شدت او دون آن هفت است و عقاب او کمتر. و محامل دیگر در جمع بین الاخبار است؛ والله العالم^۵.

۱. ذخیره المعاد / ۳۰۴.

۲. مجمع البیان ۳/ ۶۱؛ والحدائق الناضرة ۱۰/ ۴۶.

۳. الشیخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسی، التبیان فی تفسیر القرآن ۳/ ۱۸۲.

۴. مستند الشیعة، ۱۸/ ۱۲۶.

۵. معاصی کبیره / (۴۳-۴۰).

ولكن لم يثبت كلها، نعم، يمكن تعيين بعض مصاديق الكبائر بالروايات
المعتبرة الصادرة عن الحجج الإلهية وهم محمد ﷺ وآله الأئمة المعصومون عليهم السلام.
﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر بالاضافة.

﴿تُهَوَّنَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول و «واو» نائب فاعله.

﴿عَنَّهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُهَوَّنَ﴾.

﴿نُكْفِرَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر، جواب الشرط. التكفير:
أصله من الكفر بمعنى الستر والمراد منه هنا: العفو ومحو الذنب وَحَطُّ الْوِزْرِ.

وحاصل المعنى إلى هنا: من اجتنب من المعاصي الكبيرة عفا الله تعالى عنه
وتجاوز عن صغائره. نعم، لا بد من ملاحظة نكتة وهي: أن الإصرار على الصغائر من
الكبائر، ولكن «الإصرار يتحقق بعدم تحلل التوبة بين ارتكاب صغيرة وصغيرة أخرى
وأما مع تحللها فلا موضوع حينئذ للإصرار»^١.

لما ورد في موثقة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا صغيرة مع
الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.^٢

﴿عَنكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُكْفِرَ﴾ والضمير الخطاب يرجع إلى المؤمنين.

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أضاف السيئات إليهم لأنها فعلهم ونُسب
إليهم. والسيئات جمع السيئة والمراد بها هنا بقريئة المقابلة للصغائر من الذنوب أي غير
الكبائر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿نُدْخَلَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿نُكْفِرَ﴾، فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر
ومفعول به.

﴿مُدْخَلًا﴾ مصدر، مفعول مطلق. يراد به المكان، أو اسم مكان منصوب على
الظرفية، وهنا يراد به الجنة. أو مقام القرب إلى الله تعالى.
﴿كَرِيمًا﴾ نعت.

١. مواهب الرحمن / ٨ / ١٣٥.

٢. وسائل الشيعة / ١٥ / ٣٣٧، ح ٣، الباب ٤٨ من أبواب جهاد النفس.

الروايات

قد ذكرتُ عشرين رواية في عنوان الكبائر أكثر من نصفها من صحاحها ومعتبراتها في موسوعي^١ وكذلك مصادرها ومصادر الرجوع إلى أمثالها فراجعها إن شئت والحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما أهدى.

ولكن أحب هنا أن أذكر روايتين وهما:

صحيحة ابن أبي عمير قال: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَا يُخَلِّدُ اللَّهُ فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَأَهْلَ الضَّلَالِ وَالشُّرْكِ؛ وَمَنْ اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُسَأَلْ عَنِ الصَّغَائِرِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ اجْتَنَبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ مِنْهُمْ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ.

قال ابن أبي عمير: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَكَيْفَ تَكُونُ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِيهِ مُشْفِقُونَ﴾^٢ وَمَنْ يَرْتَكِبُ الْكِبَائِرَ لَا يَكُونُ مَرْتَضَى.

فقال: يَا أَبَا أَحْمَدَ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَرْتَكِبُ ذَنْبًا إِلَّا سَاءَهُ ذَلِكَ وَنَدِمَ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً.

وقال عليه السلام: مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. فَمَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى ذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَمْ تَجِبْ لَهُ الشَّفَاعَةُ وَكَانَ ظَالِمًا، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَقُولُ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^٣ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا مَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى ذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا أَحْمَدَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَرْتَكِبُ كَبِيرَةً مِنَ الْمَعَاصِي وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا إِلَّا نَدِمَ عَلَى مَا ارْتَكَبَ وَمَتَى نَدِمَ كَانَ تَائِبًا مُسْتَحِقًّا

١. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٩ / (٢٧٤-٢٦٦).

٢. سورة الأنبياء / ٢٨.

٣. سورة المؤمن / ١٨.

لِلشَّفَاعَةِ، وَمَتَى لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهَا كَانَ مُصِرًّا وَالْمُصِرُّ، لَا يُغْفَرُ لَهُ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِعُقُوبَةِ مَا
 اذْتَكَبَ وَلَوْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْعُقُوبَةِ لَنْدَمَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا كَبِيرَةَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ
 وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِضْرَارِ. وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فَإِنَّهُمْ لَا
 يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى اللَّهُ دِينَهُ، وَالَّذِينَ الْإِقْرَارُ بِالْجَزَاءِ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَمَنْ
 ارْتَضَى اللَّهُ دِينَهُ نَدِمَ عَلَى مَا اذْتَكَبَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لِمَعْرِفَتِهِ بِعَاقِبَتِهِ فِي الْقِيَامَةِ. ١

ومعتبرة ٢ ميسر بن عبدالعزيز قال: قال لي أبو عبدالله جعفر بن محمد ﷺ: ما
 تقول فيمن لا يعصي الله في أمره ونهيه، إلا أنه يبرأ منك ومن أصحابك على هذا
 الأمر؟ قال: قلت: وما عسيت أن أقول وأنا بحضرتك؟ قال: قل! فإنني أنا الذي أمرك
 أن تقول.

قال: قلت: هو في النار.

قال: يا ميسر ما تقول فيمن يدين الله بما تدينه به، وفيه من الذنوب ما في الناس
 إلا أنه مجتنب الكبائر؟ قال: قلت: وما عسيت أن أقول وأنا بحضرتك؟ قال: قل! فإنني
 أنا الذي أمرك أن تقول. قال: قلت: في الجنة.

قال: فلعلك تخرج أن تقول: هو في الجنة؟ قال: قلت: لا، قال: فلا تخرج، فإنه
 في الجنة، إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنْ جَحَنُوا كَبَابِرَ مَا تُهَوَّنَ عَنْهُ نُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾. ٣

١. التوحيد / ٤٠٧، ح ٦.

٢. لأن محمد بن سنان عندنا من الثقات.

٣. أمالي المفيد، المجلس التاسع عشر / ١٥٢، ح ٤.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا
اَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

نبي عن تمني ما للغير وأمر بالسؤال من الله تعالى وبينها ذكر للاكتساب
والجهد والحركة والعمل.

شأن نزولها

قال الطبرسي: «قيل جاءت وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا
رسول الله أليس رب الرجال والنساء، وأنت رسول الله إليهم جميعاً فما بالنا يذكر
الله الرجال ولا يذكرنا نخشى أن لا يكون فينا خير ولا الله فينا حاجة؟ فنزلت هذه
الآية.

وقيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا
نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال، فنزلت الآية عن مجاهد.
وقيل لما نزلت آية الميراث قال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا
في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء
وقالت النساء انا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا
الميراث على النصف عن نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسُّدي^١.
﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَتَمَنَّوْا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. و«التمني: طلب حصول الشيء سواء
كان ممكناً أو ممتنعاً»^٢. وقد يقال: التمني «في علم المعاني طلب أمر محبوب لا يُرجى
حصوله إما لكونه مستحيلاً - والإنسان كثيراً ما يحب المستحيل ويطلبه - وإما لكونه

١. مجمع البيان ٣/ ٤٠.

٢. التعريفات / ٥٣ للشريف الجرجاني، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت عام ١٤٢٤.

ممكناً غير مطموح في نيته^١. نبى الله سبحانه المؤمنين عن التمني نهياً ارشادياً لأنه ربّياً يصل إلى حدّ الحسد والافتنان والكفر. وبين التمني والغبطة عام وخاص مطلق، لأنّ في بعض موارد التمني يريد زوال النعمة من صاحبها ولكن في الغبطة لا يريد زوال النعمة من صاحبها.

﴿ مَا ﴾ اسم موصول. في محل نصب مفعول به. ﴿ فَضَّلَ ﴾ فعل ماض. ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله، والتعبير بـ ﴿ مَا فَضَّلَ اللَّهُ ﴾ تنبيه لصفة الرضا بقضاء الله تعالى وأنّ المفضّل هو الله الواهب.

﴿ بِهِ ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ فَضَّلَ ﴾. ﴿ بَعْضَكُمْ ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿ عَلَى بَعْضٍ ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ فَضَّلَ ﴾. ﴿ لِلرِّجَالِ ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر مقدّم. و«ال» للجنس. ﴿ نَصِيبٌ ﴾ مبتدأ مؤخر. النصيب: الحظّ ممّا أعطاه الله من الخير والنعمة والفضل.

﴿ مِمَّا ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿ نَصِيبٌ ﴾. أو جار ومجرور خبر مقدّم. من في ﴿ مِمَّا ﴾ بيانية. ﴿ آكْتَسَبُوا ﴾ فعل ماض وفاعله. ومفعول به ضمير محذوف يرجع إلى ما في ﴿ مِمَّا ﴾.

قال الراغب: «الكسب ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال وقد يُستعمل فيما يظنّ الإنسان إنّ يجلب منفعة ثمّ استُجلب به مضرّة. والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره ولهذا قد يتعدّى إلى مفعولين فيقال: كسبتُ فلاناً كذا، والاكْتَسَاب لا يقال إلاّ فيما استفدته لنفسك فكل اكتسابٍ كسبٌ وليس كل كسب اكتساباً»^٢.

فالاكْتَسَاب: ما حصل له بعلمه وجهده وتقديره في الأمور الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية.

١. موسوعة النحو الصرف والإعراب / ٢٧٠.

٢. المفردات / ٤٤٧ و ٤٤٨.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ معطوفة على جملة ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ وتعرب إعرابها. ويذكر الله اكتساب النساء في أجواء لا يرى ﴿لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ بل يُراهن نصيباً وحظاً للرجال، فأعلن الله سبحانه هذه الآية الشريفة تساويهن مع الرجال في أشياء كثيرة في الأمور الدنيوية والأخروية والمادية والمعنوية.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿سَأَلُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. أمرهم الله تعالى بالسؤال عنه تعالى والطلب منه سبحانه.

والدعاء منه تعالى.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة للمفعول الثاني

المحذوف. والضمير يرجع إلى الله تعالى.

الفضل: إنعام على الغير بشيء مما عند المنعم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ تعليل لما ورد في الآية الشريفة من فقراتها

الثلاثة من التمني والاكتساب والسؤال.

الروايات

خبر أبي البلاد عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عليها رِزْقَهَا حَلَالًا يَأْتِيهَا فِي عَافِيَةٍ، وَعَرَضَ لَهَا بِالْحَرَامِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، فَإِنْ هِيَ تَنَاوَلَتْ شَيْئًا مِنَ الْحَرَامِ، قَاصَّهَا بِهِ مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي فَرَضَ لَهَا، وَعِنْدَ اللَّهِ سِوَاهُمَا فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ عليه السلام: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ٢.

رجال السنند كلهم ثقات إلا الأخير لم يعرف حاله ورواها العياشي في تفسيره ٣.

عن عبدالرحمن بن أبي نجران، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، قال: لا يتمنى الرجل امرأة الرجل

١. من التقاص.

٢. الكافي ٩/٥٤٨، ح ٢ (٨٠/٥).

٣. تفسير العياشي ١/٣٩٤، ح ١١٩.

ولا ابنته، ولكن يتمنى مثلها. ١.

عن إسماعيل بن كثير، رفع الحديث إلى النبي ﷺ، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: ما هذا الفضل، أيكم يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ قال: فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسأله عن ذلك الفضل ما هو؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حللها، وعرض لهم بالحرام، فمن انتهك حرماً، نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام، وحوسب به. ٢.

عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله رضي الله عنه، قال: إن الله قسم الأرزاق بين عباده، وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسمه بين أحد، قال الله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. ٣.
عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر رضي الله عنه، قال: قلت له: جعلت فداك، إنهم يقولون إن النوم بعد الفجر مكروه، لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت؟
فقال: الأرزاق موطوفة مقسومة، والله فضل يقسمه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر، أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض. ٤.

قال الطبرسي في ذيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي لا يقل أحدكم ليت ما أعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فإن ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول: اللهم أعطني مثله، عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله رضي الله عنه. ٥.

وقال: جاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿سْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فإنه يجب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج. ٦.

١. تفسير العياشي ١/٣٩٣، ح ١١٦.
٢. تفسير العياشي ١/٣٩٣، ح ١١٧.
٣. تفسير العياشي ١/٣٩٤، ح ١١٨.
٤. تفسير العياشي ١/٣٩٤، ح ١٢٠.
٥. مجمع البيان ٣/٤٠.
٦. مجمع البيان ٣/٤٠.

٤٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

وفي المناقب: عن الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^١ من عباده وفي قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^٢ أنهما نزلا فيهم.^٣

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^٤

«الآية الشريفة ترشد الناس إلى إعطاء كل ذي نصيب نصيبه، فقد جعل الله تعالى لكل موالي الإنسان حقاً ونصيباً مما تركه القريب، فهذه الآية المباركة إجمال بعد تفصيل أحكام الميراث، ووصية لتنفيذ تلك الشرائع التي شرعها في الآيات السابقة حسب ما شرعه وأبداه»^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾، وتنوين ﴿لِكُلِّ﴾ لانقطاعه عن الإضافة. أي لكل أحد من النساء والرجال، أو لكل صنف من الرجال والنساء.
﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مَوْلَىٰ﴾ مفعول به، جمع مولى، مولى على وزن مفاعل إما أن يكون مصدرًا ميميًّا فيكون صفة أو اسم مكان أريد به الشخص المتلبس بالصفة لاستقرارها في موصوفها، ويراد به الولي وهو الذي يتولى غيره أو يتولاه غيره كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ مَوْلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^٤ بمعنى: الله وليهم، ويقال للعبد هذا مولى فلان. والمراد بالمولى هنا: الأولى بالميراث أي الورثة.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر للإبتداء أو بيانية و ﴿مَا﴾ الموصولة المدغمة. كأن الولاية

١. سور المائدة / ٥٤، الحديد / ٢١، الجمعة / ٤.

٢. المناقب / ٣ / ١٩٩.

٣. مواهب الرحمن / ٨ / ١٧٠.

٤. سورة محمد ﷺ / ١١.

إبتدأت من مال الميت هنا. ومتعلقان بـ ﴿مَوَالِي﴾. لأنهم الورثة أو متعلقان بمحذف: أي يرثون مما ترك.

﴿تَرَكَ﴾ فعل ماضٍ. أي ﴿مِمَّا﴾ تركه الميت من ميراثه. فما ترك هو المال الذي تركه الميت.

﴿أَلْوَالِدَانِ﴾ فاعله. وهما الأب والأم. ويدخل فيهما الأجداد والجدات في الطبقات الإرث.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَقْرَبُونَ﴾ معطوفة على ﴿أَلْوَالِدَانِ﴾. أي أولوا الأرحام والأقرباء نسباً من الأولاد والإخوة والأعمام والأخوال وأبناؤهم على طبقات الإرث.

﴿وَ﴾ استثنائية أو عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، متضمن معنى الشرط.

﴿عَقَدَتْ﴾ فعل ماضٍ مؤنث، ومعنى العقد في اللغة: مقابل للحل وفي

الاصطلاح يطلق على عقد النكاح وغيره من العقود.

﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. جمع يمين، لأنهم كانوا في معاهداتهم ومعاهداتهم أن يصادفوا بأيمان وجوههم «فكأن أيمانهم التي يصادفون بها هي التي عقدت العقود وأبرمت العهود»^١.

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ الزوج والزوجة. ويدخل فيه غير عقد

النكاح أيضاً من عقود الملك وضمان الجريرة والإسلام التي وردت في طبقات الإرث.

«عقد الزواج معروف، أما عقد الملك فهو أن يملك الحر عبداً، ثم يعتقه تقريباً

إلى الله، لا لقاء شيء، أو كفارة عن شيء، فإذا مات هذا العبد المعتق، ولا وارث له

ورثه الذي كان قد أعتقه. أما عقد ضمان الجريرة، أي الجناية فهو أن يتفق اثنان على أن

يضمن كلٌّ منهما جناية الآخر، أو يضمن أحدهما ما يجنيه الآخر، دون العكس، فإذا تمّ

الاتفاق بينهما حسب الشروط المقررة في كتب الفقه كان على الضامن بدل الجناية، وله

لقاء ذلك ميراث المضمون إذا لم يكن له من وارث إلا الضامن، أما عقد الإسلام فالمراد به العهد العام بين النبي ﷺ ومن آمن به، فإذا مات المسلم، ولا وارث له اطلاقاً فميراثه للنبي ﷺ أو لمن يقوم مقامه، فقد روي عن رسول الله أنه قال: «أنا وارث من لا وارث له». وفي رواية ثانية: «أنا وليُّ مَنْ لا وليَّ له». وفي الثالثة: «أنا مولى من لا مولى له، أرث ماله، وأفك عنه»... وكفى دليلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^١.

وفي كتاب وسائل الشيعة^٢ العديد من الروايات أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «إذا مات الرجل، وترك مالاً، ولا وارث له اعطوا المال أهل بلده». ولا يتنافى هذا مع قول الرسول ﷺ، لأن الرسول قد وهب حقه في هذا الميراث للفقراء من أهل بلد الميت»^٣.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط أو تفرعية أو تزيينية زائدة.

﴿أَتَوْهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى الموالي. جواب شرط في محل جزم أو متفرعة أو تعليلية لا محل لها من الإعراب على فرض تزيينية الفاء.

﴿نَصَبِيهِمْ﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. وقد مرّت نصيب الأبوين والإخوة والزوجين في الآية ١١ و ١٢ من هذه السورة.

وتفصيل الأنصبة يطلب من كتاب الفرائض (الميراث) من الكتب الفقهية.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض واسمه ضمير مستتر فيه. ﴿عَلَى﴾ حرف جر.

﴿كُلِّ﴾ مجروره متعلقان بخبر ﴿كَانَ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿شَهِيدًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ أي شاهداً. وجملة ﴿كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

خبر ﴿إِنَّ﴾. تدلّ الجملة الأخيرة على أنه تعالى شاهداً على إعطائكم هذه الأنصبة على

١. سورة الأحزاب / ٦.

٢. وسائل الشيعة ٢٦ / ٢٥٢، الباب ٤ من أبواب ولاء ضمان الجريرة والإمامة.

٣. التفسير الكاشف ٢ / ٣١٢.

ما فرض الله عليكم.

الروايات

صحيحة الحسن بن محبوب قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قال: إنما عني بذلك الأئمة عليهم السلام بهم عقد الله تعالى أيها نكم. ١.

رواها العياشي في تفسيره. ٢.

موثقة زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ قال: إنما عني بذلك أولى الأرحام في الموارث ولم يعن أولياء النعمة فأولاهم بالميت أقربهم إليه من الرحم التي تجره إليها. ٣.

رواها الشيخ عليه السلام بسنده الموثق أيضاً.

قال الفيض عليه السلام: «أريد بأولياء النعمة المعتقون، وإنما بين ذلك دفعا لما يتوهم من ظاهر لفظ المولى...» ٥.

أقول: ولكن الظاهر المراد بهم الحلفاء الذين كانوا في الجاهلية وتأتي الإشارة إليهم في الروايتين الآتيتين. أو الصحيحة فسرت قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ والموثقة فسرت قوله تعالى: ﴿الْأَقْرَبُونَ﴾ وهذان الجمعان متعينان ظاهراً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة يوم فتح مكة: ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام. ٦.
وقال صلى الله عليه وآله وسلم: شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومتي فما أحب أن لي حمر

١. الكافي ١/٥٣٧، ح ١ (٢١٦/١).

٢. تفسير العياشي ١/٣٩٥، ح ١٢١.

٣.. الكافي ١٣/٥١٨، ح ٢ (٧٦/٧).

٤. التهذيب ٩/٢٦٨، ح ٢.

٥. الوافي ٢٥/٧١٦ ذيل ح ٢٤٨٤٩.

٦. مسند أحمد ٥/٦١؛ سنن الترمذي ٣/٧٣، ح ١٦٣٤؛ الكشف والبيان ٣/٣٠١؛ مجمع البيان ٢/٢٤؛ روض الجنان ٥/٣٤٧.

النعم وإني أنكته. ١

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِبَتْنَ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُنَّ فَإِنَّ أَطْعَمَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٤﴾

الآية الشريفة تهدي إلى ثلاثة أمور: ١- قوام الأسرة والعيال ومسئوليتها على عاتق الرجل ٢- ثم تمدح النساء الصالحات ٣- وفي الختام تعالج قضية نشوز الزوجة بثلاثة تدابير مترتبات وبعدها نهي عن البغي والظلم هُنَّ.

﴿الرِّجَالُ﴾ مبتدأ. هل المراد جنس الرجل أو الزوج فقط؟ الظاهر بقربنة ذيلها أنّ المراد الزوج فقط، ولكن السببين المذكورين في الآية الشريفة عام بحيث يتحققان في كل جنس أو شخص يوجب تغيير القوامية إليه باعتبار أنّها في حكم علّتها والعلّة تعمّم وتخصّص.

﴿قَوَّامُونَ﴾ خبر، جمع قوام على وزن فعّال مبالغة قيام، ومعناه القيام بالأمر، والمراد به هنا الزوج هو الذي يقوم بشؤون الأسرة وهو الذي يدير عائلته.
﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿قَوَّامُونَ﴾. أي على الزوجة في نظام الأسرة. بالسببين الآيتين.

﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية، أو موصولة، والأوّل أظهر.

﴿فَضَّلَ﴾ فعل ماض.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. أي بتفضيل الله على مصدرية ﴿مَا﴾، وبها فضله الله على

موصوليتها.

﴿بَعْضَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى النساء والرجال معاً

وتذكيره من باب التغليب. والمراد بـ ﴿بَعْضِ﴾ الرجال.

﴿عَلَى بَعْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضَّلَ﴾. والمراد بـ ﴿بَعْضِ﴾ النساء. والمراد بتفضيل الزوج على الزوجة: بقواه الجسدية والعقلية والتدبيرية وطاقته على تحمّل الشدائد لأنّ الرجل أقوى من المرأة في عالم التكوين في المذكورات، وهذا هو السبب الأوّل للقوامة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة، والأوّل أظهر. ﴿أَنْفَقُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي بانفاقهم على مصدرية ﴿مَا﴾، وبما أنفقوه على موصوليتها.

﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿مِنْ﴾ للتبعيض. متعلق بـ ﴿أَنْفَقُوا﴾. ويمكن أن يكون ﴿مِنْ﴾ قام مقام مفعول به على أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية. والسبب الثاني للقوامة: هو إنفاق الزوج على زوجته بإعطاء مهرها وأداء نفقاتها من أمواله الخاصة.

وهذان السببان للقوامة ولو فرض في أسرة وجودهما في الزوجة قد تنعكس قوامية وتنتقل إلى الزوجة لأنّ المعلول تابع للعلّة والمسبّب تابع للسبب. فالقرآن الكريم لا يدافع عن تفضيل جنس الرجل على جنس المرأة كما قد يتوهم، بل يذكر سببي القوامية اللذين هما على الأغلب موجودان في جانب الزوج لا الزوجة، وهذا غير التفضيل الجنسي، والشاهد عليه ما ورد بعد هذا من مديح النساء وهو الأمر الثاني، فاقراً.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفرعية. يذكر الله جلّ جلاله ثلاث أوصاف للمرأة في ترفيع الحياة وتحسينها في الأسرة والعائلة.

﴿الصَّالِحَاتُ﴾ مبتدأ، والصلاح: نقيض الطلاح، والمرأة صالحة في نفسها ومُصلحةٌ في أعمالها وأمورها.

﴿قَنِينَتٌ﴾ خبره الأوّل. جمع قانتة: أي المطيعة. القنوت: دوام الطاعة والخضوع لله تعالى والتسليم لأحكامه.

﴿حَفِظَتْ﴾ خبره الثاني. جمع حافظة: وهي المرأة التي تحفظ زوجها في غيابه في

ما يجب حفظه من النفس والعرض والمال.
﴿لَلْغَيْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَفِظْتُمْ﴾. أي في غياب زوجها. الغيب:
خلاف الشهود.

﴿بِ﴾ للسببية. ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿حَفِظَ﴾ فعل ماض.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله. أي بحفظ الله. يعني المرأة الصالحة تحفظ غيبة زوجها بأمر الله أو
كما أمر الله في نفسها وعرضه وماله.

ثم بدأ الله تعالى بأمر ثالث وهو نشوز الزوجة وقال:
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول، مبتدأ.
﴿تُخَافُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ترون علائم النشوز وآياته.
﴿نُشُوزُهُنَّ﴾ مفعول به ومضاف إليه. النشوز: الارتفاع، ونشوز أحد
الزوجين ترفعه واستكباره وعصيانه وخروجه عن القيام بحقوق الزوجية الواجبة.
نشوز الزوجة يتحقق بعدم تمكينها رَوْجَهَا في الأمور الجنسية ونشوز الزوج يتحقق
بعدم إنفاقه على رَوْجِهِ. وهذه الفقرة تتكلم في نشوز الزوجة.
﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿عَظُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، خبر مبتدأ ﴿الَّتِي﴾. ابتداءً الله تعالى
بالموعظة والنصيحة وتذكير الثواب وترهيب العقاب وبيان سوء عاقبة النشوز
وأمثالها، وهذا العلاج الأول للنشوز.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَهْجُرُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. وهذا العلاج الثاني للنشوز وهو
الهجر أي البعد والتباعد.

﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْجُرُوهُنَّ﴾. تقييد الهجران والتباعد
بحفظ المضاجعة يدل على الاستدبار وترك المكالمة والملاعبة في المضجع الواحد كما قال
أبو جعفر عليه السلام: يحول ظهره إليها. ١

كما يمكن أن يفسر صيغة جمع ﴿الْمَضَاجِعِ﴾ بتعدها وافتراق فراش الزوج عنها وهو هجر المضاجعة وهو المروي أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام.^١
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَضْرِبُوهُنَّ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. هذا العلاج الثالث للنشوز وهو جواز الضرب الخفيف بحيث لا يصل إلى حد الإحمرار أو الإسوداد لئلا يجب عليه الدية كالضرب بالسواك كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.^٢
قال الشيخ محمدجواد مُعْنِيَّه رحمته الله: «قد اتفق الفقهاء جميعاً على أن ترك الضرب أولى، وأن الذي يصبر على أذى الزوجة ولا يضربها خير وأفضل عند الله ممن يضربها، كما اتفقوا على أنه كلما حصل الغرض بالطريق الأنف وجب الاكتفاء به، وحرّم الأشدّ»^٣.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
﴿أَطَعْتَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. في محل جزم فعل الشرط.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
﴿لَا تَبْغُوا﴾ فعل نهي وفاعله. جواب الشرط. البغي: الظلم والتجاوز عن الحدّ الشرعي.

﴿عَلَيْهِنَّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا تَبْغُوا﴾.
﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به. من السبل الثلاث أي بعد ارتفاع النشوز لا تكثروا في السبل الثلاث والإفراط فيهن بحيث يصل إلى حدّ البغي والظلم والإيذاء حالكونهنّ مطيعات. فلا تتخذوا النشوز دفعة واحدة سبيلاً لإيذاء المرأة في مدّة طويلة أو طول حياتها.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر.

١. التبيان ٣/ ١٩٠.

٢. التبيان ٣/ ١٩١؛ مجمع البيان ٣/ ٤٤.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٣١٧.

﴿عَلِيًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، ﴿عَلِيًّا﴾ في سلطانه وانتقامه من الظلمة. فلا يظلموهن بالاستعلاء والاستكبار عليهن.

﴿كَبِيرًا﴾ صفة لـ ﴿عَلِيًّا﴾، أو خبر آخر لـ ﴿كَانَ﴾.

وجملة ﴿كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

الروايات

القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قَتَيْتُ﴾، يقول:

المطيعات. ١.

صحيحة أبي مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أ يضرب

أحدكم المرأة ثم يظل معانقها. ٢.

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رسول الله ﷺ: إنَّما المرأة لعبة، من

اتَّخذها فلا يضيِّعها. ٣.

العياشي رفعه عن ابن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في

امرأة تزوّجها رجل، وشَرَطَ عليها وعلى أهلها إن تزوّج عليها امرأة وهجرها، أو أتى عليها سرّيّة، فإنّها طالق.

فقال: شَرَطُ الله قبل شَرَطِكُمْ، إن شاء وفي بشرطه، وإن شاء أمسك امرأته،

ونكح عليها، وتسرى عليها وهجرها، إن أتت سبيل ذلك، قال الله تعالى في كتابه:

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَىٰ وُتِلَتْ وَرُزِعَ﴾، وقال: أحلّ لكم ﴿مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ﴾، وقال: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾. ٦.

الصدوق بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى

١. تفسير القمي ١/١٣٧.

٢. الكافي ١١/١٦٩، ح ١ (٥/٥٠٩).

٣. الكافي ١١/١٦٩، ح ٢ (٥/٥١٠).

٤. سورة النساء/٣.

٥. سورة النساء/٣.

٦. تفسير العياشي ١/٣٩٥، ح ١٢٢.

رسول الله ﷺ - إلى أن قال - قال اليهودي: صدقت يا محمد، فأخبرني بالسابع، ما فضل الرجال على النساء؟

قال النبي: كفضل السماء على الأرض، وكفضل الماء على الأرض، فبالماء تحيا الأرض، وبالرجال تحيا النساء، لو لا الرجال ما خلق النساء، لقول الله ﷻ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قال اليهودي: لأي شيء كان هكذا؟

قال النبي ﷺ: خلق الله ﷻ آدم من طين، ومن فضله وبقية خلقت حواء، وأول من أطاع النساء آدم فأنزله الله من الجنة، وقد بين فضل الرجال على النساء في الدنيا، ألا ترى إلى النساء كيف يحضن ولا يمكنهن العبادة من القدارة، والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث!١

الصدوق بإسناده الصحيح إلى علل محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام: وعلة اعطاء النساء نصف ما يعطي الرجال من الميراث لأن المرأة إذا تزوجت أخذت والرجل يعطي فلذلك وفر على الرجال.

وعلة أخرى في اعطاء الذكر مثلي ما يعطي الأنثى، لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت وعليه أن يعوها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا يؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفر الله تعالى على الرجال لذلك وذلك قول الله ﷻ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.٢

الشيخ بإسناده عن إبراهيم بن محرز قال: سألت أبا جعفر عليه السلام رجل وأنا عنده فقال: رجل قال: لأمراته أمرك بيدك قال: أنى يكون هذا!! والله يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ ليس هذا بشيء.٣

ابن سعد بإسناده عن الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام قال: ما ضرب

١. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثلاثون / ٢٥٩، ح ١، رقم ٢٧٩.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٩٨.

٣. التهذيب ٨ / ٨٨، ح ٢٢١.

رسول الله ﷺ بيده امرأة قطّ ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله. ١
وبإسناده عن القاسم بن محمد: أن رسول الله ﷺ نهى عن ضرب النساء
ف قيل: يا رسول الله إتهنّ قد فسدن، قال: اضربوهنّ، ولا يضرب إلا شراؤكم. ٢
وبإسناده عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة قطّ ولا
خادماً ولا ضرب شيئاً قطّ إلا أن يجاهد في سبيل الله، الحديث. ٣

﴿وإن خفتن شقاق بينهن فابعثوا حكماً من أهلهن وحكماً من أهلها إن يريدن
إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾

أشارت الآية السابقة إلى نشوز الزوجة في فقرتها الأخيرة وهذه الآية أشارت
إلى نشوز الزوجين وامتناع كل منهما عن أداء حقوق الآخر، فأمر الله سبحانه ببعث
الحكمين لغرض المحافظة على الأسرة وإصلاح ذات البين.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إن﴾ حرف شرط جازم.
﴿خَفْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. فعل الشرط في محل جزم. والخوف: خلاف
الأمّن، والمراد به هنا مظنة الشقاق، لا العلم به يقيناً لانتفاء موضوع الحكمين حينئذٍ.
أو ما يأتي في ذيل كلمة ﴿شِقَاقٌ﴾.
﴿شِقَاقٌ﴾ مفعول به. «الشقاق: الخلاف والعداوة. واشتقاقه من الشق وهو
الجزء الباقى»^٤. أي استمرار الشقاق^٥ بحيث يصل إلى حدّ العداوة الحتمية المستمرة.
﴿بَيْنَهُمَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. بين أصلها ظرف مكان ثم استعملت
إسماً للوصال والفراق وأزيلت عنه الظرفية. أو إضافة ﴿شِقَاقٌ﴾ إلى ﴿بَيْنَ﴾ يمكن

١. الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٤.

٢. الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٤.

٣. الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٤.

٤. التبيان ٣/ ١٩٢.

٥. كما عليه العلامة المجلسي في مرآة العقول ٢١/ ٢٤٤.

لإجراء الظرف مجري المفعول أو الفاعل. وأضيف الشقاق إلى بين تجوّزاً، لأنّ الشقاق يضاف حقيقة إلى الزوجين.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَبْعَثُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. والأمر هنا يدلّ على الاستحباب لا الوجوب. والمخاطب به: السلطان الذي يترافعان إليه وهو لظاهر في أخبارنا أو الزوجة والزوج أو أيهما كان.

﴿حَكَمًا﴾ مفعول به. «واختلف الفقهاء في الحكمين هل هما وكيلان، أو هما حكمان، فعندنا أنّهما حكمان، وقال قوم: هما وكيلان، واختلفوا هل للحكمين أن يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا؟ فعندنا لهما ذلك إلا بعد أن يستأمرهما، أو كان اذن لهما في الأصل في ذلك، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد، عن أبيه. ومن قال: هما وكيلان، قال: لهما ذلك، ذهب إليه سعيد بن جبير، والشعبي، والسدي، وإبراهيم، وشريح، ورووه عن علي عليه السلام»^٢.

وبعث الحكم لأجل إصلاح ذات البين لا الفرقة، فيشترط فيه أن يكون أهلاً للإصلاح.

﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّقان بصفة محذوفة من المفعول به الموصوف. والمراد ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ أي من جانب الزوج ولا يعتبر في الحكم أن يكون من الأهل والأقرباء والأرحام فذكر الأهل للأفضلية لا للزوم، والوجه فيه لأنّ الأهل «أعرف ببواطن الحال وأشفق من الغير وأكتم للأسرار ومهمة الحكمين»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ معطوفة على ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾. أي حكماً من جانب الزوجة. ومهمتها إصلاح ذات البين لا الفرقة بين الزوجين إلا بالوكالة من الزوج ولا بذل المهر إلا بالاستئذان من الزوجة.

١. التبيان ٣/١٩٢.

٢. التبيان ٣/١٩٢.

٣. التفسير الكاشف ٢/٣١٨.

﴿إِنْ﴾ حرم شرط جازم.

﴿يُرِيدَا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط. والضمير الفاعلي يرجع إلى الزوجين^١ لا الحكمين^٢ بقريئة ما بعد ﴿بَيْنَهُمَا﴾.

﴿إِصْلَاحًا﴾ مفعول به.

﴿يُوفَّقُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الشرط. «التوفيق: هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعة والتوفيق بين نفسين هو الإصلاح بينهما»^٣. وجمعها في بيت واحد.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. أسند التوفيق إلى الله تعالى لأنه هو السبب الحقيقي من بين الأسباب. والسبب الحقيقي في الجمع بين الزوجين.

﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿يُوفَّقُ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الزوجين لا الحكمين كما مرّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾ عليماً بأحوال العباد ومصالحهم وحقائق أمورهم وخبيراً بضآئيرهم ونياتهم.

إشارة

قال الشيخ مُعْنِيَّة: «وتجدر الإشارة إلى أن الله سبحانه ذكر نشوز الزوجة ثم نشوز الزوجين معاً، ولم يذكر نشوز الزوج فقط... ولكن الفقهاء تعرضوا له، وقالوا: إذا تعدى الزوج، ومنع الزوجة بعض حقوقها الواجبة وعظته، فإن قبل، وإلا فليس لها هجره، ولا ضربه كما له هجرها وضربها إذا نشزت، ليس لها ذلك، حتى ولو علمت أن هجره وضربه يجديانها نفعاً، لأن الهجر والضرب يحتاجان إلى الاذن من الشرع، ولا اذن منه لها بهما... أجل، لها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي، وعلى الحاكم أن يتثبت ويتبين، فإن ثبت لديه تعدي الزوج نهاه، فإن عاد عزّره بما يرى من الشتم أو الضرب أو السجن... وان امتنع عن الإنفاق عليها، مع قدرته عليه جاز

١. كما في الميزان ٤/٤٦٤؛ والتفسير الكاشف ٢/٣١٩.

٢. كما في تفسير الطبري ٥/٩٣؛ والمواهب الرحمن ٨/١٨٣.

٣. التبيان ٣/١٩٢.

للحاكم أن يأخذ من مال الزوج، وينفق عليها، ولو بيع شيء من أملاكه، وان لم يملك شيئاً كان له - على رأي - ان يطلقها قهراً عنه، إن طلبت هي الطلاق^١.

الروايات


خبر علي بن أبي حمزة قال: سألت العبد الصالح عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فقال: يشترط الحكمان إن شاءا فرقاً وإن شاءا جمعاً فرقاً أو جمعاً جازاً^٢.

ونحوها خبره الآخر^٣، وتفريقهما مشروط بالتوكيل وتحمل عليه بقريضة الروايات الآتية. صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال: ليس للحكمين أن يفرقاً حتى يستأمر الرجل والمرأة ويشترطا عليهما إن شئنا جمعنا وإن شئنا فرقنا، فإن جمعاً فجائز فإن فرقاً فجائز^٤. موثقة سماعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أرأيت إن استأذن الحكمان فقالا للرجل والمرأة: أليس قد جعلتما أمركما إلينا في الإصلاح والتفريق، فقال الرجل والمرأة: نعم، فأشهدا بذلك شهوداً عليهما أيجوز تفريقهما عليهما؟ قال: نعم، ولكن لا يكون إلا على طهر من المرأة من غير جماع من الزوج، قيل له: أرأيت إن قال أحد الحكمين: قد فرقت بينهما وقال الآخر: لم أفرق بينهما فقال: لا يكون تفريق حتى يجتمعا جميعاً على التفريق فإذا اجتمعا على التفريق جاز تفريقهما^٥.

موثقة محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال: ليس للحكمين أن يفرقاً حتى يستأمر^٦. عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إذا نشزت المرأة على الرجل فهي الخُلعة،

١. التفسير الكاشف ٢/٣١٩.
٢. الكافي ١١/٦٩٨، ح ١ (١٤٦/٦).
٣. الكافي ١١/٧٠٠، ح ٣ (١٤٦/٦).
٤. الكافي ١١/٦٩٩، ح ٢ (١٤٦/٦).
٥. الكافي ١١/٧٠٠، ح ٤ (٦/١٤٦).
٦. الكافي ١١/٧٠١، ح ٥ (١٤٧/٦).

فليأخذ منها ما قدر عليه، وإذا نَشَزَ الرجل مع نُشُوزِ المرأة فهو الشُّقَاق. ١
 عن زيد الشَّحَّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن قول الله ﴿فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ
 وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾، قال: ليس للحكَّمين أن يُفَرِّقًا حَتَّى يَسْتَأْمِرَا الرجل والمرأة. ٢
 وفي رواية فضالة: فان رَضِيَا وقلداهما الفُرقة ففرِّقا، فهو جائز. ٣
 عن محمَّد بن سيرين، عن عبيدة، قال: أتى علي بن أبي طالب عليه السلام رجل وامرأة، مع كلِّ
 واحدٍ منهما فتام من النَّاس، فقال عليه السلام: ابعثوا حَكَمًا من أهله، وحَكَمًا من أهلها. ٤
 والرواية عامية نقلها الطبري ^٥ والثعلبي ^٦ في تفسيريهما، ولذا يمكن حمل خبر علي بن أبي حمزة
 ونحوه من الروايات على التقيية.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ 

الآية تتضمن معارف إلهية وأحكاماً اجتماعية بحيث قال الطبرسي في شأنها:
 «هذه الآية جامعة تضمنت بيان أركان الإسلام والتنبية على مكارم الأخلاق ومن
 تدبَّرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر أغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته إلى
 جم غفير من علوم العلماء»^٧.

وتكلَّم الشيخ الميرزا حسين النوري حولها في مجلس واحد وكتبه الشيخ

١. تفسير العياشي ١/٣٩٥، ح ١٢٣.

٢. تفسير العياشي ١/٣٩٦، ح ١٢٥.

٣. تفسير العياشي ١/٣٩٦، ح ١٢٧.

٤. تفسير العياشي ١/٣٩٦، ح ١٢٨.

٥. تفسير الطبري ٥/٨٧.

٦. الكشف والبيان ٣/٣٠٣.

٧. مجمع البيان ٣/٤٦.

محمد حسين كاشف الغطاء وسماه: «رسالة في آداب المجاورة»^١.
وقال فيها: «وذلك لأنتها تضمّنت بيان الحقوق اللازم مراعاتها من المخلوق
بقسميها:

ما كان على الخلق للحقّ، وما كان بين الخلق والخلق. وهذان في الحقيقة هما
الإسلام، بل الإيمان لا غير، فأعظم الحقوق أمراً وأرفعها قدراً حقّ الخالق من الخلق،
وهو: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ويدخل في هذا جميع أصول الدين وفروعه.
ثم أردف سبحانه وتعالى على حقه من خلقه، حقّ بعضهم من بعض؛ تنبيهاً على
الاهتمام بهذا الغرض، وأن به يتمّ النظام بين الأنام»^٢.
﴿وَ﴾ استثنافية.

﴿أَعْبُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والمخاطب فيه جميع المكلفين أمرهم بأن يعبدوه
وحده. أمر بعبادة الله وللعبادة مصاديق كثيرة يذكر أهمها في ما بعد.
﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿لَا تُشْرِكُوا﴾ فعل نهي وفاعله، نهي عن الشرك مطلقاً أي نظرياً وعملياً،
اعتقادياً واخلاقياً.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿لَا تُشْرِكُوا﴾.
﴿شَيْئاً﴾ مفعول به، أو مفعول مطلق لأنّ المراد به هنا شيء من الشرك.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلّق بفعل محذوف من جنس المصدر الآتي أي:
أحسنوا، قرن الله توحيدته وعبادته تعالى بالاحسان إليهما وإلى غيرهما.
﴿إِحْسَانًا﴾ مصدر، مفعول مطلق. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِذِي الْقُرْبَى﴾ معطوف على ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾ وكذا الأسماء بعده، جار ومجرور
مضاف إليه. ذوالقربى هم أصحاب القرابة كالأخ والعَمّ ونحوهما. أي الأرحام

١. طبعت بتحقيق محمد محمدحسن الوكيل في ضمن منشورات مكتبة العتبة العباسية المقدسة، عام
١٤٣٣.

٢. رسالة في آداب المجاورة / ٦١.

ولكنّ القريب منهم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْيَتَمَى﴾ معطوف. جمع يتيم وهو في لغة العرب من فقد أباه، سواء بقي جدّه

وأُمّه أم لا.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمَسْكِينِ﴾ معطوف. جمع مسكين وهو الفقير الذي اشتدّ به الفقر والضعف

بحيث يرثى لحاله لأنّه عاجز عن الكسب وإلا «إعانة القادر على العمل ومع ذلك أثر

البطالة والكسل فتشجيع على الرذيلة»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْجَارِ﴾ معطوف. «أصل الجار العدول، جاوره مجاورة وجواراً فهو مجاور له

وجار له لعدوله إلى ناحيته في مسكنه»^٢.

﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ صفة «للجار» ومضاف إليه. قد مرّ المراد من «ذِي الْقُرْبَى»،

والمراد بـ«الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى» هم الجوار من الأرحام والأقرباء. فأكد مراقبتهم إذا كانوا

«أي الأرحام» جواراً. ويمكن أن يكون المراد بهم الجوار القريب. والأوّل أظهر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْجَارِ الْجُنُبِ﴾ معطوف ونعته. والمراد به الجار الأجنبي الذي ليس بينك وبينه

قربة ورَحْمِيَّة، ويمكن أن يكون المراد به الجار البعيد، والأوّل أظهر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الصَّاحِبِ﴾ معطوف. «وَالصَّاحِبِ»: هو الذي يصاحبك أو أنت تصاحبه من

الأفراد والأشياء وحتى الحيوانات.

﴿بِالْجَنُبِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ«الصَّاحِبِ» أو صفة محذوفة منه. «وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنُبِ» هو الذي يصاحبك في السفر والحضر أو في الدرس والعمل، ومن أظهر

١. التفسير الكاشف ٢/ ٣٢١.

٢. التبيان ٣/ ١٩٣.

مصاديقه الزوجة كما عن علي عليه السلام ١.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إنه المنقطع إليك رجاء رفقك ٢.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ حرف عطف ومعطوفه ومضاف إليه. والمراد به المسافر المنقطع عن أهله وماله فليس له مدد وقوة إلا السبيل الذي صار ابناً له.

﴿وَمَا﴾ حرف عطف واسم موصول معطوفه. ﴿مَلَكَتْ﴾ فعل ماض.

﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. ملك اليمين: الرق، العبد والأمة ولا مصداق

له هذا اليوم ظاهراً.

قال الشيخ مُعْنِيَّة: «ولا ينحصر الإحسان بإعطاء المال، بل يشمل الرفق والتواضع والسعي في قضاء الحوائج، والنصح في المشورة، وكتمان السر، وغض الطرف عن العورات، وعدم اشاعة السيئات، واعارة الأدوات، وما إلى هذه... وعلى أية حال، فإن الأمر بالإحسان إلى هؤلاء ندب لا فرض» ٣.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿لَا تُحِبُّ﴾ فعل مضارع منفي بـ ﴿لَا﴾ نافية. خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول بمعنى الذي، مفعول به.

﴿كَانَ﴾ من الأفعال الناقصة. واسمها ضمير مستتر فيه.

﴿مُخْتَالًا﴾ خبره. «أصل المختال من التخييل وهو التصور، فالمختال لأنه يتخيّل بحاله مرح البطر... فالمختال: الصلف التياه والاختيال هو التطاول وإنما ذكره الله ههنا وذمه لأنه أراد بذلك من يختال فيأنف من قراباته وجيرانه إذا كانوا فقراء لكبره وتطاوله» ٤. فـ«المختال: من تمكنت في نفسه ملكة التكبر وسببه الإعجاب بالنفس والجهل المركب» ٥.

١. التبيان ٣/ ١٩٤.

٢. التبيان ٣/ ١٩٤.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٣٢٢.

٤. التبيان ٣/ ١٩٥.

٥. مواهب الرحمن ٨/ ٢١٣.

﴿فَخُورًا﴾ نعته. صيغة المبالغة من الفخر وهو كثير الفخر «الذي يعدد مناقبه كبراً وتطاولاً وأما الذي يعددها اعترافاً بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور»^١.
والجملة الأخيرة تهديد ووعيد لمن يأنف من أقاربه الفقراء وجيرانه الضعفاء.
أو تعليل لما ورد من الوصايا والأحكام في الآيات السابقة وتذكير بأن سبب عدم محبوبيتهم هاتان الصفتان الخيلاء والفخر.

الروايات

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، قال: إنَّ رسول الله ﷺ أحد الوالدين، وعلي عليه السلام الآخر، وذكر أنَّها الآية التي في النساء^٢.
عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾، قال: ذوالقربى ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، قال: الذي ليس بينك وبينه قرابة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾، قال: الصَّاحِبِ فِي السَّفَرِ^٣.
روي عن النبي ﷺ أنه قال: الجيران ثلاثة، جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام. وجار له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام. وجار له حق الجوار، المشرك من أهل الكتاب^٤.
رواها ابن الفَتَّالِ النيسابوري^٥.
روى جابر عن النبي ﷺ: كل معروف صدقة وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك^٦.
وفي مناقب ابن شهر آشوب: «أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. قال: الوالدان رسول الله ﷺ؛ وعلي عليه السلام.
سالم الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام وأبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام: نزلت في

١. التبيان ٣/ ١٩٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ٣٩٧، ح ١٣٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٣٩٧، ح ١٣١.

٤. التبيان ٣/ ١٩٤، مجمع البيان ٣/ ٤٥.

٥. روضة الواعظين / ٣٨٩.

٦. مجمع البيان ٣/ ٤٦.

رسول الله ﷺ وفي عليّ، وروى مثل ذلك في حديث ابن جبلة، روى أبوالمضاض صبيح عن الرضا عليه السلام قال النبي ﷺ: «أنا وعلي الوالدان»، وروى عن بعض الأئمة عليهم السلام في قوله: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدَيْكَ﴾^١ أنه نزل فيهما^٢.

وفي طُرف ابن طاوس عن محمد بن جرير في كتاب المناقب: أن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أخْرَجَ فَنَادَى: أَلَا مَنْ ظَلَمَ أَجِيرًا أَجْرَهُ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَلَا مَنْ تَوَالَى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَلَا مَنْ سَبَّ أَبَوِيهِ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ». فنادى بذلك، فدخل عمر وجماعة على النبي ﷺ، وقالوا: هل من تفسير لما نادى؟ قال: «نعم، إن الله يقول: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^٣ فَمَنْ ظَلَمْنَا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، ويقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^٤. ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، فمن والى غيره وغير ذريته فعليهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وأشهدكم أنا وعليّ أبوالمؤمنين، فمن سبّ أحدنا فعليهِ لَعْنَةُ اللَّهِ». فلما خرجوا قال عمر: يا أصحاب محمد، ما أكد النبي لعليّ الولاية بغدير خم ولا غيره أشد من تأكيده في يومنا هذا.

قال خبّاب بن الأرت: كان ذلك قبل وفاة رسول الله ﷺ بسبعة عشر يوماً^٥. وقد كتبت حول «الجار» أكثر من خمسين رواية في موسوعي^٦ فراجعها.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^٧

بيان لمظاهر الخيلاء والفخر وأفعال الذين تتوفّر فيهم الصّفتان المذكورتان، وكذا الآية اللاحقة.

١. سورة لقمان / ١٤.

٢. المناقب / ٣ / ١٢٦.

٣. سورة الشورى / ٢٣.

٤. سورة الأحزاب / ٦.

٥. الطرف / ١٨٧، ح ٢٥؛ ونقل عنه البحراني في غاية المرام / ١ / ٣٩٣؛ والبرهان / ٢ / ٧٨.

٦. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام / ٢ / (٣٣٦-٣٢٣).

٦٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب بدلاً من ﴿مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ في الآية السابقة.
أو في محل رفع وخبره محذوف تقديره: الذين يبخلون يستحقون المذمة.
﴿يَبْخُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. البخل: أصله مشقة الإعطاء، ومعناه:
«الإمتناع عن أداء ما فرضه الله تعالى على الإنسان وهو يرجع إلى لؤم النفس وشقائها
والسبب في ذلك هو الاستكبار والعجب بالنفس»^١. والتعبير بفعل مضارع يدل على
استمرار صفة البخل فيهم.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَأْمُرُونَ﴾ معطوفة على ﴿يَبْخُلُونَ﴾. وهذه المأمرة يمكن أن يكون بأقوالهم أو
بأفعالهم بحيث يتعلمون الناس بأفعالهم البخل، لـ «أن هذه الطائفة لكونهم أولي ثروة
ومال يتقرب إليهم الناس ويخضعون لهم لما في طباع الناس من الطمع ففعلهم أمر
وزاجر كقولهم»^٢.

﴿النَّاسِ﴾ مفعول به.

﴿بِالْبُخْلِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْمُرُونَ﴾. البخل بالعلم وبالمال وأظهر
مصاديقها اليهود.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَكْتُمُونَ﴾ معطوفة على ﴿يَأْمُرُونَ﴾. «الكتمان: ستر الحديث^٣، وكتمان
الفضل هو كفران النعمة»^٤.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿ءَاتَتْهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ءَاتَتْهُمْ﴾.
ولعل المراد بكتمان فضل الله عليهم «تظاهرهم بظاهر الفاقد المُعْدِم للمال

١. مواهب الرحمن ٨/ ٢١٥.

٢. الميزان ٤/ ٣٥٥.

٣. المفردات / ٤٤٢.

٤. المفردات / ٤٤٣.

لتأذيتهم من سؤال الناس ما في أيديهم وخوفهم على أنفسهم لو منعوا»
وخشيتهم من توجه النفوس إلى أموالهم»^١.
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: أعددناه وجعلناه ثابتاً لهم.
وجزيناهم بما يناسب ذنبهم من العقاب.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾. والمراد بالكافرين: الساترون
لنعمة الله التي أنعم الله بها فالمراد بالكفر هنا كفران النعمة لا الكفر الاصطلاحي وهو
نفي الألوهية.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول به. ﴿مُهِينًا﴾ نعته. أي يهينهم ويذلهم.

الروايات

ذكرت عشرين رواية في عنوان بخل الموسوعة^٢ فراجعها.

وأذكر هنا ثلاث روايات من أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ... وَالْبُخْلُ عَارٌ...^٣
وَقَالَ عليه السلام: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعَجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي
إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ...^٤
وَقَالَ عليه السلام: الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.^٥

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^٦

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الَّذِينَ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ في الآية السابقة.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

١. الميزان ٤/ ٣٥٥.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ (٢٤-١٨).

٣. نهج البلاغة، حكمة ٢.

٤. نهج البلاغة، حكمة ١١٩.

٥. نهج البلاغة، حكمة ٣٦٨.

﴿رِئَاءَ﴾ مفعول لأجله أي لمراءآتهم. أو حال أي حالكونهم مرآئين.
 ﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي. ﴿بِالْيَوْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
 ﴿الْآخِرِ﴾ نعت. وفي الآية دلالة على أنّ المرآئي كافر لأنه ﴿لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ﴾^١ ومشارك لآعماده على ﴿النَّاسِ﴾ ونفوسهم واستحسانهم.
 ﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
 ﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط.
 ﴿الشَّيْطَانِ﴾ اسم ﴿يَكُنْ﴾. والشيطان: رمز لكلّ غوى مضلّ، «يزين فعل
 الغواية ويغري بالفساد والضلال»^٢.
 ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَكُنْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾.
 ﴿قَرِينًا﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾، القرين: الصاحب وأصله الاقتران فالمرآئي قرين
 الشيطان وكذا مَنْ قبل من الشيطان وأطاعه في ما يدعوه إليه.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
 ﴿سَاءَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى القرين في محلّ جزم جواب
 الشرط.
 ﴿قَرِينًا﴾ تمييز.

١. سورة البقرة / ٢٦٤، راجع ما مرّ منا في أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ ٦٧.
 ٢. التفسير الكاشف ٢/ ٣٢٤.

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ

بِهِمْ عَلِيمًا ﴾

في الآية دلالة على أن عدم الإنفاق ناشيء من عدم الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فالإمساك دليل الكفر العملي - لا الاعتقادي - والإنفاق دليل الإيمان العلمي - لا الاعتقادي - . لأن المؤمن يتوكل على الله فينق وأما الكافر فهو لا يتوكل على الله بل يَسْتَمِعُ إلى شيطانه الذي يوعدُه الفقر ويأمره بالإمساك. «ففي الآية تقريع على ترك الإيمان بالله واليوم الآخر، وتوبيخ على الانفاق مما رزقهم الله في غير أبواب البر وسبيل الخير على وجه الاخلاص، دون الرياء»^١.

﴿ وَ ﴾ استثنائية.

﴿ مَاذَا ﴾ اسم استفهام يفيد الذم والتوبيخ. مبتدأ. استفهام تعجب وتأسف وتحسر. ويجوز أن يكون ﴿ مَا ﴾ مبتدأ و ﴿ ذَا ﴾ خبره بمعنى الذي.
﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ جار ومجرور. متعلق بخبر محذوف. وتقديره: ماذا يقع عليهم أو أي وبال عليهم أو أي ضرر يصل إليهم أو ماذا يصيبهم؟!
﴿ لَوْ ﴾ حرف مصدري.

﴿ ءَامَنُوا ﴾ فعل ماض وفاعله. صلة حرف مصدري. ﴿ لَوْ ﴾ ومابعدا بتأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف وتقديره: أي تبعة أو ضرر أو وبال أو خسران عليهم في الإيمان بالله تعالى.

﴿ بِاللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ ءَامَنُوا ﴾ . ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ الْيَوْمِ ﴾ معطوف على ﴿ اللَّهِ ﴾ . ﴿ الْآخِرِ ﴾ نعتة. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ أَنْفَقُوا ﴾ معطوفة على ﴿ ءَامَنُوا ﴾ . فعل ماض وفاعله. وتقدير المصدر:

والانفاق في سبيل الله.

﴿ مِمَّا ﴾ حرف جر ﴿ مِنْ ﴾ للتبويض و ﴿ مَا ﴾ موصولة. جار ومجرور متعلق

بـ ﴿أَنْفُقُوا﴾.

﴿رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ و مفعول به و فاعله. صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. وفي انتساب الرزق إلى الله دلالة على أنه من الله تعالى لا من كد أيانهم فإنه تعالى قادر على نقصانه في فرض الإمساك وعلى زيادته في فرض الإنفاق. وأنه بالإنفاق لا ينقص.

﴿وَ﴾ استئنافية أو حالية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿بِهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلقٌ بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿عَلِيمًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي يجازيهم بما ينفقون من قليل أو كثير فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء. ١. على فرض ﴿وَ﴾ استئنافية، وعلى فرض ﴿وَ﴾ حالية الجملة حال للإيمان بالله واليوم الآخر والانفاق في سبيله وحالكونه انه تعالى ﴿بِهِمْ عَلِيمًا﴾. في «الآية احتجاج على المتخلفين عن الإيمان بالله واليوم الآخر بما عليهم وما لهم، وذلك أنه يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه فيها عليه وله، فإذا ظهر له ما عليه في فعل المعصية من استحقاق العقاب اجتنبها، وما له في تركها من استحقاق الثواب عمل في ذلك من الاختيار له، أو الانصراف عنه. وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في أن الكافر لا يقدر على الإيمان، لأن الآية نزلت على أنه لا عذر للكفار في ترك الإيمان، ولو كانوا غير قادرين لكان فيه أوضح العذر لهم، ولما جاز أن يقال: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ لأنهم لا يقدرون عليه.

رواية

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: مَنْ أَيْقَنَ بِالْحَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ ٢.

١. راجع التبيان ٣/ ١٩٩.

٢. نهج البلاغة، حكمة ١٣٨.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾

تدل الآية على أن أجر العاملين محفوظ لا ينقص منه شيء وأتّم لا يظلمون بل الله يعطيهم أجورهم أضعافاً مضاعفة ولا يمنعهم من ثواب أعمالهم لأنّ منع الثواب ظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والآية الشريفة بمنزلة التعليل للآية السابقة كما في الميزان ١.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف مشبهة بالفعل. جاء للتأكيد.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَظْلِمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾، ﴿لَا يَظْلِمُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. والظلم: معروف ومرتكز في الأذهان وهو الجور ومجاوزة الحدّ وانتقاص الحقّ. ﴿مِثْقَالَ﴾ تمييز، أو قام مقام المفعول المطلق أي لا يظلم ظلماً يعدل مثقال ذرة وزناً مفعال من الثقل وهو في الأصل مقدار من الوزن.

﴿ذَرَّةٍ﴾ مضاف إليه. أي بمقدار وبوزن ﴿ذَرَّةٍ﴾. وأتّم مثال للشيء المتناهي في الصغر أو الجزء الذي لا يتجزى ولذا يقال للطاقة النووية: الطاقة الذريّة. وفي قول ابن عباس وابن زيد: الذرة: النملة الحمراء وهي أصغر النمل. ٢. والجملة النافية تدلّ على نفي الظلم عنه تعالى لمنافاته مع حكمته المتعالية وأنه من الصفات التي تسلب عن الله تعالى.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَكُ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم، بحذف النون في آخره للتخفيف والواو لالتقاء الساكنين لأنّ أصلها «تكون» ويأتي في القرآن بإثبات «النون» أيضاً كقوله تعالى: ﴿إِن يَكُ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾^٣. واسمها محذوف بتقدير: إن يكن ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

١. الميزان ٤/٣٥٦.

٢. نقل عنها الشيخ في التبيان ٣/٢٠٠.

٣. سورة النساء / ١٣٥.

أو تَحَدَّثُ على أن يكون ﴿تَكُ﴾ تاماً.
وتأنيث ﴿تَكُ﴾ إمّا من جهة تأنيث الخبر أو لكسب المثقال التأنيث بالإضافة إلى
الذرة.

﴿حَسَنَةٌ﴾ خبر ﴿تَكُ﴾ وعلى فرض تمامية ﴿تَكُ﴾ تصير فاعله وتقرأ بالرفع.
﴿يُضَعِفُهَا﴾ فعل مضارع مجزوم، جواب الشرط، وفاعله ضمير مستتر ومفعول
به. المضاعفة: هي الزيادة على الشيء بمثله أو أمثاله في المقدار.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُؤْتِ﴾ معطوف. فعل مضارع مجزوم بحذف «الياء» وبقيت الكسرة دالة
عليها. وفاعله. أي يعطي.
﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿لَدُنْهُ﴾ مجرور ومضاف إليه. وهي غير معربة بمعنى «عند». وجرر ومجرور
متعلق بـ ﴿يُؤْتِ﴾. أي يعطي تفضيلاً لا استحقاقاً.
﴿أَجْرًا﴾ مفعول به، وتنوينه للتعظيم.
﴿عَظِيمًا﴾ نعته.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾

تعرف الآية شهداء يوم القيامة وتبين بأن رسول كل قوم شهيد عليهم
والرسول الأعظم ﷺ هو الشهيد على أمته المرحومة.
﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، توبيخي، في محل نصب لأنه حال من صفة مقدمة
محذوفة على شهيد لدلالة الكلام عليها وتقديره: ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حال هؤلاء الكفار
يوم القيامة.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان.
﴿جِئْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محل جر لوقوعه بعد الظرف. أي: إذا

استحضرنا.

﴿ مِنْ كُلِّ جَارٍ وَمَجْرورٍ، متعلق بـ ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ .

﴿ أُمَّةٍ ﴾ مضاف إليه. امة من أمة الأنبياء.

﴿ بِشَهِيدٍ ﴾ جار ومجرور. وحرف جر يكون زائداً. ومجروره يكون محلاً منصوب

لأنه مفعول به لـ ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ . والشهيد هنا بمعنى الشاهد. وتقع الشهادة يوم القيامة من

كُلِّ نَبِيٍّ بَأَنَّهُ أَبْلَغَ حُجْجِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَهُوَ الشَّاهِدُ عَلَيْهِمْ. فالشاهد نبي كل أمة ورسولهم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ معطوف على ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ الأوّل.

﴿ بِكَ ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ . والضمير يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ

خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿ عَلَيَّ ﴾ جار.

﴿ هَتُّوْلَاءٍ ﴾ في محل جر، اسم إشارة مبني على الكسر. والجار ومجروره متعلق

بـ ﴿ جِنَّتْنَا ﴾ . إشارة إلى أمة الرسول الخاتم ﷺ ، أو الأنبياء الماضين كما في الرواية

الآتية.

﴿ شَهِيدًا ﴾ حال، والمراد به الرسول الأعظم ﷺ .

الروايات

خبر سماعه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَيَّ هَتُّوْلَاءٍ شَهِيدًا ﴾ قال: نزلت في أمة محمد ﷺ خاصة، في كل

قرن منهم إماماً منا شاهد عليهم ومحمد ﷺ شاهد علينا. ١

عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى يَوْمَ نَأْتِي ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَيَّ هَتُّوْلَاءٍ شَهِيدًا ﴾، قال: يُؤْتِي النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بشهادته، بوصي نبيها، وأوتي بك يا عليّ شهيداً على أمّتي يوم القيامة. ٢

عن أبي معمر السّعدي، قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام في صفة يوم القيامة:

يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ يُسْتَنْطَقُ فِيهِ جَمِيعَ الْخَلْقِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ أذنٍ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

١. الكافي ١/٤٦٦، ح ١ (١/١٩٠).

٢. تفسير العياشي ١/٣٩٧، ح ١٣٢.

صواباً، فُتِقام الرسل فُتُسأل، فذلك قوله لمحمد ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرُّسل ﷺ. ١.

روي عن ابن مسعود أنه قرأ على النبي ﷺ سورة النساء فإذا بلغ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فاضت عيناه. ٢
خبر زرّ بن حُبَيْش، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال، سمعته يقول: «إنَّ العبد إذا أدخل حفرة أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير، فأول ما يسألانه عن ربّه ثم عن نبيّه، ثم عن وليّه، فإن أجاب نجا، وإن لم يجب عذّباه» فقال له رجل: فما حال من عرف ربّه ونبيّه ولم يعرف وليّه؟ فقال: «مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^٣ فذلك لا سبيل له.

وقد قيل للنبي ﷺ: من الوليّ يا نبيّ الله؟ فقال: وليكم في هذا الزمان عليّ عليه السلام ومن بعده وصيّه، ولكلّ زمان عالم يحتجّ الله به لثلاً يقول كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياءهم ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾^٤ بما كان من ضلالتهم وهي جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء، فأجابهم الله ﷻ: ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾^٥ وإنّما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً، فعيّرهم الله بذلك.

فالأوصياء هم أصحاب الصراط وقوفاً عليه، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذه الموائيق عليهم، ووصفهم في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا

١. تفسير العياشي ١/٣٩٨، ح ١٣٣.

٢. التبيان ٣/٢٠١.

٣. سورة النساء / ٨٨ و ١٤٣.

٤. سورة طه / ١٣٤.

٥. سورة طه / ١٣٥.

بِسْمِهِمْ^١ وهم الشهداء على أوليائهم، والنبي ﷺ الشهيد عليهم، أخذ لهم موثيق العباد بالطاعة، وأخذ النبي ﷺ عليهم الميثاق بالطاعة، فجرت نبوته عليهم، وذلك قول الله ﷻ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^٢.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^{٤٢}

بيان لحال الكفار بعد شهادة الأنبياء وتمامية الحجة عليهم وأنهم يودون ألا يبعثوا أو أنهم كانوا والأرض سواء.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ «يوم» ظرف زمان منصوب ومضاف و ﴿إِذٍ﴾ مضاف إليه. أي بعد شهادة شهداء يوم القيامة إن الذين كفروا بالله وعصوا رسوله في تعاليمه وأحكامه يتمنون.

﴿يَوَدُّ﴾ فعل مضارع. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. فاعل.
 ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. بالكفر الاعتقادي والعملي.
 ﴿وَعَصَوْا﴾ عاطفة. ﴿عَصَوْا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾، فعل ماض وفاعله.
 ﴿الرَّسُولَ﴾ مفعول به. في أوامره الولائية، لأن الأوامر الشرعية داخلة في الكفر بالله تعالى عملاً.

﴿لَوْ﴾ حرف مصدرى، وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول ﴿يَوَدُّ﴾.
 ﴿تُسَوَّى﴾ فعل مضارع مجهول من المساواة.
 ﴿بِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُسَوَّى﴾.
 ﴿الْأَرْضُ﴾ نائب فاعل ﴿تُسَوَّى﴾. المساواة مع الأرض كناية عن الموت والدفن.

١. سورة الأعراف / ٤٦.

٢. مختصر بصائر الدرجات / ٤٠٠، ح ٢٠.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي لا يقدرّون على الكتمان. وفي معنى الكتمان


سبعة أقوال. ١.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به أوّل. ﴿حَدِيثًا﴾ مفعول به ثان.

وعن القمي قال: يتمنى الذين غَضِبُوا أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون الأرض ابتلعتهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غَضَبِهِ وأن لم يَكْتُمُوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله فيه. ٢.

رواية

عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن جدّه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته يصف هول يوم القيامة: ختم على الأفواه فلا تكلم، فتكلمت الأيدي، وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود بما عملوا، ف﴿لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾. ٣.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ 

تذكر الآية أهم شعيرة من شعائر الإسلام وهي الصلاة وما يتعلق بها من الغسل والتيمم.

ثم فليعلم أنه لم يردّ تصريح بحرمة الخمر في صدر الإسلام بل حرمت في طي

١. راجع لتوضيحها التبيان ٣/ ٢٠٣ و ٢٠٤.

٢. تفسير القمي ١/ ١٣٩.

٣. تفسير العياشي ١/ ٣٩٨، ح ١٣٤.

مراحل لكثرة ابتلاء الناس في عصر الجاهلية به، نزلت أولاً في شأنه ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^١.

ونزلت ثانياً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلَيْكُمْ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾^٢. حيث نهى الله عنها نبياً يحتاج إلى تفسير وتوضيح.

ونزلت ثالثاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسَأَلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْاَعْفَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^٣.

ثم نزلت رابعة هذه الآية وبعدها نزلت خامسة الحكم بالتحريم كلياً في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٤.

ويمكن أن يقال في ترتيب هذه الآيات الخمس بما يلي: النحل ثم الأعراف ثم النساء ثم البقرة ثم المائدة.

والآية الشريفة لا ربط لها بما قبلها فتكون من أدلة بطلان القول بالسياق في كرائم القرآن واعترف بها القائل^٥ بالسياق فيها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين في جميع الأعصار والأمصار.
﴿لَا تَقْرُبُوا﴾ فعل نهي وفاعله، أي لا تدخلوا ولا تقربوا، أتى بعبارة «القرب» تعظيماً للصلاة.

﴿الصلوة﴾ مفعول به، العبادة الخاصة المعروفة أو مكانها الخاص بها وهو المسجد ظاهر الكلمة هو الأول، والذيل ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يدل على الثاني، وحيث أن الثاني قائم على وجود السياق في الآية ونحن ننكره فلا يمكن الأخذ به

١. سورة النحل / ٦٧.

٢. سورة الأعراف / ٣٣.

٣. سورة البقرة / ٢١٩.

٤. سورة المائدة / ٩٠.

٥. وهو العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله في الميزان ٤ / ٣٥٩ و ٣٦٠.

والأول هو مختار «أكثر المفسرين»^١.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿سُكْرَى﴾ خبره. جمع سكران على وزن كسالى وكسلان. «والسكر: خلاف الصحو وهو حالة تعتري على الإنسان تفصل بين المرء وعقله»^٢. ثم الظاهر منه سكر الخمر وقد ألحق في الروايات سكر النوم به. وللسكر مصاديق متعددة تخرج من الآية الشريفة نحو سكر الشباب وسكر الهوى وسكر العشق وسكر الجاه و... .
﴿حَتَّى﴾ حرف غاية.

﴿تَعَلَّمُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله. أي ﴿حَتَّى﴾

تفهموا.

﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به.

﴿تَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والآية الشريفة لا تدل على حرمة الصلاة حال السكر الذي لا يعلم ما يقوله، بل تدل على تحريم الخمر بالنسبة إلى الذي يريد أن يقيم صلاته ولا يدل على جوازها في غير هذا الفرد.

ولذا لا تحرم الصلاة في حال السكر، نعم يجب على السكران أداؤها في حال الصحو إن صلاها في حال السكر. فالآية تدل على حرمة الخمر في هذه الحالة لا حرمة الصلاة على السكران لأن عمل المسلمين على خلافه كما في التبيان^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية أو زائدة.

﴿جُنُبًا﴾ معطوفة على ﴿وَأَنْتُمْ سُكْرَى﴾. أي ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ﴾ ﴿جُنُبًا﴾

أو ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾ مكان ﴿الصَّلَاةَ﴾ وهو المسجد ﴿وَأَنْتُمْ﴾ جنب والمستثنى تدل على الثاني. والجنب: هو الذي أصابته الجنابة ويستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء وهنا يدل على الحصر لوجود ﴿لَا﴾ نافية، ويمكن أن يكون

مهمله غير عاملة، لأن المستثنى منه غير مذكور وهو الأحوال ويسمى هذا الاستثناء

١. كما في التفسير الكاشف ٢/ ٣٣١.

٢. مواهب الرحمن ٨/ ٢٤٨.

٣. التبيان ٣/ ٢٠٦.

بالمفرغ.

﴿عَابِرِي﴾ مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾، منصوب، حذف «ن» جمعه للاضافة.
 ﴿سَبِيلٍ﴾ مضاف إليه. والجملة المستثنى حال لـ ﴿جُنُبًا﴾ أو صفة له. أي لا
 تقربوا المسجد في حال الجنابة إلا مجتازين أي عبوراً وهو قول أبي جعفر عليه السلام فلا يجوز
 توقف الجنب في المسجد وفي المسجدين - أي المسجد الحرام والمسجد النبي - لا يجوز
 حتى العبور وهو الأظهر. أو ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ﴾ ﴿جُنُبًا﴾ إلا مسافرين فلكم أن
 تقيموا وهو المروي عن علي عليه السلام.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية. ﴿تَغْتَسِلُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. غسل الجنابة.
 ﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية فيكون ما بعدها حالاً، أو بيان حكم أصحاب الأعدار
 فتكون «واو» استثنافية.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
 ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط. والضمير المتصل اسمه.
 ﴿مَرَضَى﴾ خبر كان. ﴿أَوْ﴾ حرف عطف يفيد التخيير.
 ﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ ﴿كُنْتُمْ﴾. أي ﴿كُنْتُمْ﴾ مسافرين.
 ﴿أَوْ﴾ عاطفة تفيد التخيير. ﴿جَاءَ﴾ فعل ماض.
 ﴿أَحَدٌ﴾ فاعله، وتنكيره للإبهام إيهاء بأن الإنسان يتفرد عند قضاء الحاجة وهذا
 من أدب القرآن حفظاً للحشمة.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدٌ﴾.
 ﴿مِنَ الْغَائِطِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَ﴾. الغائط: المكان المنخفض من
 الأرض وجمعه غيطان ويقصده أهل البوادي لقضاء حاجتهم. ثم استعمل في الشيء
 الخاص المعلوم.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿لَمَسْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بـ «الجماع».
 ﴿الِنِّسَاءِ﴾ مفعول به. ﴿فَ﴾ حرف استئناف.

١. التبيان ٢٠٦/٣.

٢. التبيان ٢٠٦/٣.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب. ﴿تَجِدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.
 ﴿مَاءٍ﴾ مفعول به. ﴿فَ﴾ الواردة في جواب الشرط.
 ﴿تَيَمَّمُوا﴾ فعل امر وفاعله. في محلّ جزم جواب الشرط. التيمم في اللغة القصد
 وفي الشرع الطهارة الترابية الخاصة.
 ﴿صَعِيدًا﴾ مفعول به. الصعيد: وجه الأرض.
 ﴿طَيِّبًا﴾ صفة. الطيب: الطاهر. ﴿فَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَمْسَحُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿تَيَمَّمُوا﴾.
 ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَمْسَحُوا﴾. والباء للتبعية
 كما في قوله تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^١ بالنسبة إلى الوضوء.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ معطوفة على ﴿وُجُوهِكُمْ﴾. أي بعضها.
 ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. ﴿اللَّهِ﴾ اسمه.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر فيه.
 ﴿عَفْوًا غَفُورًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية ﴿كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ في محل رفع
 خبر ﴿إِنَّ﴾. أي ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ كثير الصفح والعمو.
 والجملة الأخيرة تعليل لما ورد من الترخيص والتسهيل.

تنبيهان

الأوّل: «جاء على لسان بعض الرواة [من العامة] أنّ جماعة من الصحابة
 اجتمعوا عند أحدهم، فصنع له طعاماً وشرباً قبل أن يبين الله حكم الخمر، فأكلوا
 وشربوا، فلما ثملوا جاء وقت الصلاة، فقدموا أحدهم ليصلي بهم، فخلط في صلاته،
 وحرّف آية من القرآن.

وقد تتبع الشيخ محمدجواد البلاغي^٢ [طُرُقَ هَذِهِ الرواية] في تفسيره آلاء

١. سورة المائدة/٦.

٢. هو من كبار علماء الإمامية، وكان دؤوباً صبوراً على العلم والبحث والتأليف لا يفتر عنه ليل نهار،
 وأتقن اللغة العبرية، وعرف أسرار اليهودية، ونشر الكثير من معانيها، وله: الهدى إلى دين المصطفى،
 وأعاجيب الأكاذيب، والتوحيد والتثليث، والرحلة المدرسية، وغيرها؛ ومن مظاهر زهده وتقشّفه.

الرحمن^١، وأثبت كذب هذه الروايات بالأرقام، وتتلخص نتيجة بحثه الدقيق بأن الترمذي روى أنّ صاحب الدعوة هو عبدالرحمن بن عوف، وأنّ علياً كان إمام الجماعة... وروى أبو داود أنّ صاحب الدعوة رجل من الأنصار، وكان عبدالرحمن من جملة المدعوين... وابن جرير الطبري قال في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور: ان إمام الجماعة كان عبدالرحمن بن عوف. وفي الدر المنثور أيضاً أنّ الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعليّ وعبدالرحمن وسعد، وأنّ صاحب الدعوة هو عليّ. وفي مسند أحمد والنسائي أنّ عمر قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾.

وكما اضطربت الروايات في الداعي، والإمام والمأموم كذلك تناقضت وتضاربت في الآية التي حصل فيها التحريف، فرواية تقول: إنّ إمام الجماعة قال: أعبد ما تعبدون. وثانية تقول: بل قرأ ليس لي دين. وكذلك اختلفت في زمن النزول وسببه. وفوق ذلك كلّه أثبت صاحب آلاء الرحمن أنّ الراوي الأوّل الذي قال: كان إمام الجماعة علياً، أثبت أنّه خارجي، ومن أعدى أعداء عليّ.

وعلى أية حال، فإنّ صح أنّ جماعة من الصحابة شربوا، وأنّ إمامهم خلط في صلاته فإنّ هؤلاء هم الذين أشركوا بالله، وعبدوا الأوثان، وشربوا الخمر، وأكلوا الحرام في الجاهلية التي نشأوا فيها، وتربوا عليها... وعلي بن أبي طالب ليس منهم، لأنّه نشأ وترعرع في حجر الرسول الأعظم ﷺ، وهو الذي تولى تربيته وتهذيبه منذ نعومة أظفاره، وصاغه كما يشاء ويريد.

وربّ قائل: أنّ قولك هذا من وحي العقيدة، لا من وحي الواقع. وأجيبه بأن الحكم الذي يعتمد على نشأة الشخص وتربيته هو من وحي الحق

أنّه كان لا يضع اسمه على كتاب أنفق في تأليفه زهرة حياته، وحين سئل عن السبب قال: لعليّ أخطأت في بعض ما قلت، فبطعن الذي في قلبه مرض على الطائفة التي أنا منها بسببي تولد ١٢٨٢ وتوفّي سنة ١٣٥٢ هـ. ودفن في الصحن الحيدريّ الشريف.
١. آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٢/ ١٣٠.

والواقع، لا من وحي العاطفة والعقيدة»^١.

الثاني: قال الزمخشري: «أنزل الله تبارك وتعالى في الخمر ثلاث آيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ﴾^٢ فكان المسلمون بين شاربٍ وتاركٍ، إلى أن شربها^٣ رجلٌ ودخل في صلاته؛ فهَجَرَ، فنزل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فَشَرِبَهَا من شَرِبَهَا من المسلمين، حَتَّى شَرِبَهَا عُمر فأخذ لَحْيَهُ بعيرٍ، فشَجَّ رأسَ عبدالرحمن بن عوف، ثمَّ قعد ينوحُ على قَتْلَى بَدْرٍ بِشَعْرِ الأَسود بن يَعْفُرٍ^٤:

وكائن بالقليبِ قليبِ بَدْرٍ	من الفتیانِ والشربِ الكرامِ ^٥
أَبُو عَدْنَا ابْنُ كُبَشَّةٍ أَنْ سَنَحِيَا	وكيف يَحْيَا أَصْدَاءَ وَهَامٍ؟!
أَيَعْجَزُ أَنْ يَرُدَّ الْمَوْتَ عَنِّي	وَيَنْشُرَنِي إِذَا بَلَيْتَ عَظَامِي؟!
أَلَا مَنْ مَبْلُغُ الرَّحْمَنِ عَنِّي	بِأَنِّي تَارِكٌ شَهْرَ الصَّيَامِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي	وقلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فخرج مُغَضِباً يَجْرُ رِدَاءَهُ، فرفع شيئاً كان في يده لِيَضْرِبَهُ، فقال: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^٨ فقال عمر: انتهينا^٩.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٣٣١ و ٣٣٢.

٢. سورة البقرة / ٢١٩.

٣. في المصدر: شرب.

٤. في المصدر: الصلاة.

٥. اللحي: كفلس: عظم الحنك. «مجمع البحرين - لحا - ١/ ٣٧٣».

٦. في المصدر: الأسود بن عبد يغوث.

٧. في المصدر بعد هذا البيت:

وكائن بالقليبِ قليبِ بَدْرٍ من الشيزى المكلل بالسنام

٨. سورة المائدة / ٩١.

٩. ربيع الأبرار ٤ / ٥١؛ ونقل عنه في البرهان ٢ / ٨١، ح ٧.

الروايات

صحيحة زرارة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنها يحسب لك منها ما أقبلت عليه ولا تعبت فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك ولا تحدث نفسك ولا تتشاءب ولا تتمط ولا تكفر فإنها يفعل ذلك المجوس ولا تلم ولا تحتفز [ولا] تفرج كما يفرج البعير ولا تقع على قدميك ولا تفرش ذراعيك ولا تفرقع أصابعك فإن ذلك كله نقصان من الصلاة ولا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلال النفاق فإن الله سبحانه نهي المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني سكر النوم وقال للمنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢.١

موثقة أبي أسامة زيد الشحام قال: قلت بأبي عبدالله عليه السلام: قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾؟ فقال: سكر النوم. ٣

صحيحة جميل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجنب يجلس في المساجد؟ قال: لا ولكن يمر فيها كلها إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ. ٤
عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً، فإنها من خلل النفاق، وإن الله نهي المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى، يعني من النوم. ٥

عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، قال: هذا قبل أن يحرم الخمر. ٦
وعن الحلبي عنه عليه السلام، قال: يعني سكر النوم. ٧

١. سورة النساء / ١٤٢.

٢. الكافي ١٠٦/٦، ح ١ (٢٩٩/٣).

٣. الكافي ٣١٦/٦، ح ١٥ (٣٧١/٣).

٤. الكافي ١٥٣/٥، ح ٤ (٥٠/٣).

٥. تفسير العياشي ١/٣٩٨، ح ١٣٥.

٦. تفسير العياشي ١/٣٩٨، ح ١٣٦.

٧. تفسير العياشي ١/٣٩٨، ح ١٣٧.

وعن الحلبي، قال: سألتُه عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.

قال: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾، يعني سُكْرُ النَوْمِ، يقول: وبكم نُعَاسٌ يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في رُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ وَتَكْبِيرِكُمْ، وليس كما يَصِفُ كثيرٌ من الناس، يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَسْكُرُونَ مِنَ الشَّرَابِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَشْرَبُ مُسْكِرًا وَلَا يَسْكُرُ. ١

عن زُرَّارَةَ، عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال: قلتُ له: الحائِضُ وَالْجُنْبُ يَدْخُلَانِ الْمَسْجِدَ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: لَا يَدْخُلَانِ الْمَسْجِدَ إِلَّا مُجْتَازِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ وَيَأْخُذْنَ مِنَ الْمَسْجِدِ الشَّيْءَ وَلَا يَضَعَانِ فِيهِ شَيْئًا. ٢

عن أَبِي مَرْيَمَ، قال: قلتُ لأبي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَدْعُو جَارِيَتَهُ، فَتَأْخُذُ بِيَدِهِ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ مَن عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا الْمُلَامَسَةُ؟
فقال: لَا وَاللَّهِ، مَا بَذَاكَ بِأَسْ، وَرَبِّمَا فَعَلْتَهُ، وَمَا يَعْنِي بِهَذَا - أَيِ ﴿لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ - إِلَّا الْمَوَاقِعَةَ دُونَ الْفَرْجِ. ٣

عن مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قال: اللَّمَسُ الْجَمَاعُ. ٤
عن الْحَلْبِيِّ، عَنْهُ عليه السلام، قال: هُوَ الْجَمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَتِيرٌ يُحِبُّ السَّتْرَ، فَلَمْ يُسَمَّ كَمَا تُسَمُّونَ. ٥

عن الْحَلْبِيِّ، عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قال: سَأَلَهُ قَيْسُ بْنُ رُمَّانَةَ، قال: أَتَوَضَّأُ ثُمَّ أَدْعُو الْجَارِيَةَ فَتَمْسِكُ بِيَدِي، فَأَقُومُ وَأُصَلِّي، أَعْلَىٰ وَضُوءٍ؟ فَقَالَ: لَا. قال: فَاتَّهَمَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّمَسَ؟ قال: لَا وَاللَّهِ، مَا اللَّمَسُ إِلَّا الْوِقَاعُ، يَعْنِي الْجَمَاعُ. ثُمَّ قال: قَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام بَعْدَ مَا كَبُرَ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَدْعُو الْجَارِيَةَ، فَتَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيَقُومُ فَيُصَلِّي. ٦

١. تفسير العياشي ١/٣٩٩، ح ١٣٨.
٢. تفسير العياشي ١/٣٩٩، ح ١٣٩.
٣. تفسير العياشي ١/٣٩٩، ح ١٤٠.
٤. تفسير العياشي ١/٣٩٩، ح ١٤١.
٥. تفسير العياشي ١/٤٠٠، ح ١٤٢.
٦. تفسير العياشي ١/٤٠٠، ح ١٤٣.

عن أبي أيوب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: التيمم بالصَّعِيدِ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ، كَمَنْ تَوَضَّأَ مِنْ غَدِيرٍ مِنْ مَاءٍ، أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾؟
قال: قلتُ: فإن أصاب الماء وهو في آخر الوقت؟ قال: فقال: قد مضت صلاته.
قال: قلت له: فيُصَلِّي بالتيمم صلاةً أُخْرَى؟ قال: إذا رأى الماء، وكان يقدر عليه، انتقض التيمم. ١

عن زُرَّارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمَّار بن ياسر، فقال: يا رسول الله، أجنبت الليلة، ولم يكن معي ماءً، قال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي، ثم قمت على الصَّعِيدِ فَتَمَعَّكَتُ. فقال: هكذا يصنع الحمار، إنَّما قال الله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، قال: فَضَرَبَ يَدَيْهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ مَسَحَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، ثُمَّ مَسَحَ يَدَيْهِ بِجَبِينِهِ، ثُمَّ مَسَحَ كَفَّيْهِ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى الْأُخْرَى. ٢
تمتلك: تمرغ في التراب.

وفي رواية أُخْرَى، عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صنعت كما يصنع الحمار، إنَّ رَبَّ الْمَاءِ هُوَ رَبُّ الصَّعِيدِ، إنَّما يُجْزِيكَ أَنْ تُضْرِبَ بِكَفَيْكَ ثُمَّ تَنْقُضَهُمَا، ثُمَّ تَمْسَحَ بِوَجْهِكَ وَيَدَيْكَ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ. ٣

عن الحسين بن أبي طلحة، قال: سألتُ عبداً صالحاً في قوله: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ما حدُّ ذلك؟ فإن لم تجدوا بشراً أو بغير شراً، إن وجد قدر وضوئه بمائة ألف، أو بألف وكم بلغ؟ قال: ذلك على قدر جدته. ٤
الجلدة: الغنى.

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قالوا: قلنا له الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا؟ قال الحائض والجنب لا يدخلان المسجد إلا مجتازين إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ويأخذان من المسجد

١. تفسير العياشي ١/٤٠٠، ح ١٤٤.

٢. تفسير العياشي ١/٤٠٠، ح ١٤٥.

٣. تفسير العياشي ١/٤٠١، ح ١٤٦.

٤. تفسير العياشي ١/٤٠١، ح ١٤٧.

ولا يضعان فيه شيئاً.

قال زرارة: قلت له فما بالهما يأخذان منه ولا يضعان فيه؟ قال: لأنهما لا يقدران على أخذ ما فيه إلا منه ويقدران على وضع ما بيدهما في غيره.
قلت: فهل يقرآن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم ما شاء إلا السجدة ويذكر ان الله على كلِّ حال. ١.

صحیحة أبي مریم قال قلت: لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الرجل يتوضأ ثم يدعو جاريته فتأخذ بيده حتى ينتهي إلى المسجد فإن من عندنا يزعمون أنها الملامسة، فقال: لا والله ما بذلك بأس وربما فعلته، وما يعني بهذا ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إلا للواقعة دون الفرج. ٢.

موتقة زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التيمم فضرب بيديه الأرض ثم رفعهما ففضها ثم مسح بهما جبهته وكفيه مرة واحدة. ٣.
صحیحة أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا كان الرجل نائماً في المسجد الحرام أو مسجد الرسول ﷺ فاحتلم فاصابته جنابة فليتيمم ولا يمر في المسجد إلا متيمماً ولا بأس أن يمر في سائر المساجد ولا يجلس في شيء من المساجد. ٤.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا

السَّبِيلَ﴾

هذه الآية وما بعدها تتعرض لأحوال أهل الكتاب عامة واليهود منهم خاصة وتبين ضلالتهم وخيانتهم وأخلاقهم الرذيلة وهي في مقام التشنيع عليهم وإظهار مفاسدهم.

١. علل الشرائع / ٢٨٨، ح ١، الباب ٢١٠.

٢. التهذيب / ١، ٢٢، ح ٥٥.

٣. التهذيب / ١، ٢٠٧، ح ٤.

٤. التهذيب / ١، ٤٠٧، ح ١٨.

﴿أ﴾ استفهام تقريرِيٌّ تعجبيٌّ إنكاريٌّ. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
 ﴿تَرَ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة - الألف المقصورة «ى» - وبقيت
 الفتحة على «الراء» دالة عليها. وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت مخاطباً للرسول
 الأعظم ﷺ. معناه: ﴿أَلَمْ﴾ تنظر، ﴿أَلَمْ﴾ تعلم، ﴿أَلَمْ﴾ تخبر، والخطاب لا يختصها
 بالنبى ﷺ وعصر الرسالة بل حالهم في جميع الأعصار وفي صراعهم مع الحق هكذا.
 ﴿إِلَى﴾ حرف جر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، في محل جر بحرفه. جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَرَ﴾.
 ﴿أَوْتُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. أي أعطوا.
 ﴿نَصِيبًا﴾ مفعول به، أي قسماً وحظاً لأنهم لم يحتفظوا بالكتاب ولم يعملوا به بل
 حرّفوه وتركوه وراء ظهورهم.

﴿مَنْ أَلْكَتَبِ﴾ جار ومجرور، متعلق بصفة محذوفة من ﴿نَصِيبًا﴾. «والمراد
 بالكتاب جنسه ليشمل كل من أوتي علماً ينتهي إلى الوحي فيشمل اليهود والنصارى
 والمجوس والمنافقين»^١. ومصداقها البارز هم اليهود في سابقتهم وحالهم. و ﴿مَنْ﴾
 للتبعية.

﴿يَشْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال من نائب فاعل ﴿أَوْتُوا﴾.
 أي يختارون ويعاملون.

﴿الضَّلَالَةَ﴾ مفعول به، في مقابل الهداية. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿يُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف على ﴿يَشْتَرُونَ﴾.
 ﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية وناصبة. ومابعدا بتأويل المصدر مفعول به
 لـ ﴿يُرِيدُونَ﴾.

﴿تَضَلُّوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي ﴿يُرِيدُونَ﴾ ضلالتكم والخطاب
 للمؤمنين.

﴿السَّبِيلَ﴾ مفعول به. «ال» العهد، أي سبيل الله وسبيل الهداية والرشد

والصراط المستقيم الذي هداكم به.
وفي تفسير القمي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ﴾
يعني ضلّوا في أمير المؤمنين عليه السلام ﴿يُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ يعني اخرجوا الناس من
ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو الصراط المستقيم. ١.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر.
﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾. والضمير يرجع إلى
المؤمنين. ساهم الله تعالى بالأعداء تحذيراً منهم وإعلاماً لماهيتهم ولو أنّهم على ظاهر
الصلاح والموادّة مع المؤمنين ولكنّ حقيقة أمرهم على الفساد والعداوة.
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض.
﴿بِ﴾ حرف زائد. يدلّ على كفايته تعالى ليست ككفاية غيره لعظم منزلته تعالى.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله. مجرور بحرف جار ﴿بِ﴾.
﴿وَلِيًّا﴾ حال أو تمييز، على معنى من ولي. لأنّه تعالى قادر على نصره اوليائه
وكفائتهم.
﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ معطوفة على ﴿كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ وتعرب أعرابها. تأكيداً
للكفاية وإيماءً بالعلية.

في تفسير القمي: نزلت في اليهود. ٢.

١. تفسير القمي ١/ ١٣٩.

٢. تفسير القمي ١/ ١٤٠.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا تَحَرَّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَتَأْتِيَ بِلِسَانِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤٦﴾

بيان لأهم وأشد مصاديق الضلالة والعداوة والعداوة وهم اليهود من أهل الكتاب.

﴿مِنَ﴾ حرف جر، بيانية، وما بعدها بيان لـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أو لـ ﴿أَعْدَائِكُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر.

﴿هَادُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ويمكن أن تكون جملة ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ في محل رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: قوم.

والمراد بهم: اليهود، «لأنهم ينسبون إلى مملكة يهودا بعد أن تشتت سائر الأسباط من بني إسرائيل واطمحل وباد ملكهم الوثني باستيلاء الآشوريين عليهم وقتلهم لهم»^١.

﴿تَحَرَّفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والتحريف مادي ومعنوي والأول نحو: الحذف والاضافة وتغيير المواضع بالتقديم والتأخير، والثاني نحو: التفسير والتأويل بمعنى الذي لا يرضى به صاحبه وبمصادق كذلك.

﴿الْكَلِمَ﴾ معقول به. جمع كلمة. والمراد به كلام الله الموجود عندهم وهو التوراة. ويمكن أن تكون جملة ﴿تَحَرَّفُونَ الْكَلِمَ﴾ في محل رفع صفة لمبتدأ محذوف تقديره: قوم ﴿تَحَرَّفُونَ الْكَلِمَ﴾.

﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَحَرَّفُونَ﴾. لأنهم ﴿تَحَرَّفُونَ﴾ ما ورد في التوراة من البشارة للرسول الأعظم ﷺ وأوصافه وأسمائه. كما

ورد في كتاب «بشارات عهدين»^١ فراجعه فإنه حقيق بالمراجعة والتدبر.

﴿وَعَاطِفَةً﴾. ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. معطوف على ﴿سُحْرُفُونَ﴾.

﴿سَمِعْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، أي اليهود ﴿يَقُولُونَ﴾: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك يا

محمد ﷺ علانية.

﴿وَعَاطِفَةً﴾.

﴿عَصَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. معطوف على ﴿سَمِعْنَا﴾ والجملتان في محل نصب

على المفعولية، مقول القول: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي ﴿يَقُولُونَ﴾ سراً ﴿عَصَيْنَا﴾. قولك وأمرك عناداً وعداوةً.

﴿وَحَالِيَةً﴾، ويمكن أن تكون استئنافية.

﴿أَسْمَعُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر أنت. مخاطباً للرسول الأعظم ﷺ،

لأن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة في عصره... يسبون رسول الله ﷺ ويؤذونه بالقبیح من القول»^٢. أي ﴿أَسْمَعُ﴾ منّا.

﴿غَيْرَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَسْمَعُ﴾. ويمكن أن يكون مفعولاً به

لـ ﴿أَسْمَعُ﴾، أو صفة لمفعول به محذوف تقديره: ﴿أَسْمَعُ﴾ كلاماً ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾.

﴿مُسْمَعٍ﴾ مضاف إليه. أي ﴿أَسْمَعُ غَيْرَ﴾ مسموع منك ولا مجاب لك في ما

تدعوننا إليه. استهزاءً منهم لرسول الله ﷺ.

بعبارة أخرى: أنت تسمع منّا ولكن نحن لا نسمع منك ولا نطيعك.

﴿وَعَاطِفَةً﴾.

﴿رَاعِنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. والكسرة على العين

بدلاً من حذف حرف العلة «ياء» في آخر فعل أمر. معطوف على ﴿أَسْمَعُ﴾. كلمة «راع»

في لغتهم هي «بمعنى الشر والقبیح»^٣ فيصير معنى كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ عندهم شريراً

وقبيحاً وهم يسبون الرسول الأعظم ﷺ ويستهزئون به ويسخرون منه مع أن معنا

١. كتاب «بشارات عهدين» للعلامة الدكتور آية الله الشيخ محمد الصادقي الطهراني رحمته الله.

٢. التبيان ٣/٢١٣.

٣. كما في مواهب الرحمن ٨/٢٧٨.

كلمة ﴿رَاعِنًا﴾ في لغة العرب «راقبنا» «من المراعاة التي هي من المراقبة»^١.
 ﴿لِيَأْخُذُوا﴾ مفعول مطلق - مصدر - أو مفعول لأجله والعامل فيه ﴿يَقُولُونَ﴾. «اللي:
 الانحراف والقتل. يقال: ليّ الحبل: أي قتل»^٢.

﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بفعلٍ مقدرٍ. اللسان: اللغة أي
 يظهر الكلام بصورة صحيحة وهم يرويدون معنى خلاف ظاهره ويميلون به إلى
 المعنى الباطل الذي هم قصدوه قدحاً للرسول الأعظم ﷺ وطعناً في دينه، قال
 السيد السبزواري رحمه الله: «وقد عُرفوا بذلك في مرّ الزمن»^٣.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿طَعَنًا﴾ معطوفة على ﴿لِيَأْخُذُوا﴾. وتعرب إعرابها. «الأصل: الطعن بالرّمح ونحوه
 والطعن باللسان كالطعن بالرّمح»^٤.

﴿فِي الَّذِينَ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ ﴿طَعَنًا﴾ بتأويل فعله. أي دين الرسول
 الأعظم ﷺ وهو الإسلام.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿أَنَّهُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى اليهود - خذ لهم
 الله تعالى - .

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محل رفع خبر «ان».
 ﴿سَمِعْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محل نصب مفعول به ومقول قول ﴿قَالُوا﴾.
 أي: ﴿سَمِعْنَا﴾ يا محمد ﷺ قولك.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَطَعْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿سَمِعْنَا﴾ وتعرب إعرابها. أي
 ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك يا محمد ﷺ. بدلاً من ﴿عَصَيْنَا﴾.

١. التبيان ٣/ ٢١٤.

٢. مواهب الرحمن ٨/ ٢٧٩.

٣. مواهب الرحمن ٨/ ٢٧٩.

٤. التبيان ٣/ ٢١٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَسْمَعَ﴾ مرّ إعرابها. أي: ﴿أَسْمَعَ﴾ منّا.
 ﴿وَأَنْظَرْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي: «انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا»^١. أو ﴿أَنْظَرُ﴾ إلينا أو راقبنا وبلاحظ مراعاتنا ومحافظتنا. بدلاً من ﴿رَاعِنَا﴾.
 ﴿لَ﴾ واقعة لجواب ﴿لَوْ﴾.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر «هو» يرجع إلى هذا القول الأخير. أو يعود على مصدر متصيّد من ﴿قَالُوا﴾ تقديره: ﴿لَكَانَ﴾ قولهم ﴿خَيْرًا﴾.
 ﴿خَيْرًا﴾ خبرها. ﴿لَكَانَ خَيْرًا﴾ جواب شرط غير جازم.
 ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَقْوَمَ﴾ معطوف على ﴿خَيْرًا﴾ ولم ينون لأنه غير منصرف. و ﴿أَقْوَمَ﴾ مأخوذ من الاستقامة ومعناه هنا: أعدل وأصوب كما في التبيان^٢.
 ﴿وَ﴾ زائدة. ﴿لَيْكِنَ﴾ استدراك.
 ﴿لَعَنَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به، يعني أبعدهم من رحمته وثوابه.
 ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿لَعَنَهُمْ﴾. و«الباء» للسببية. أي بعلّة كفرهم. بمحمّد ﷺ واستتارهم دين الحق.
 ﴿فَ﴾ تعليلة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر أو استثناء.
 ﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى، من فاعل ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي ﴿قَلِيلًا﴾ منهم آمنوا بمحمّد ﷺ ودينه الحق.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: «قال موسى بن جعفر عليه السلام: كانت هذه اللفظة: ﴿رَاعِنَا﴾ من ألفاظ المسلمين الذين يُحاطبون بها رسول الله ﷺ، يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ أي ازرع أحوالنا، واسمع منّا كما نسمع منك، وكان في لغة اليهود

١. التبيان ٣/٢١٤.

٢. التبيان ٣/٢١٤.

معناه: اسمع لا سمعت. فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها رسول الله ﷺ يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾، ويخاطبون بها، قالوا: كُنَّا نَشْتُمُ مُحَمَّدًا إِلَى الْآنِ سِرًّا، فَتَعَالُوا الْآنَ نَشْتُمُهُ جَهْرًا، وكانوا يخاطبون رسول الله ﷺ ويقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ يريدون شتمه، ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا أعداء الله؛ عليكم لعنة الله، أراكم تريدون سب رسول الله ﷺ جهراً توهموننا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لا أسمعها من أحد منكم إلا ضربت عنقه، ولو لا أني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ولأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام القيم بأمر الأمة نائباً عنه فيها، لضربت عنق من قد سمعته منكم يقول هذا. فأنزل الله: يا محمد ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأنزل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى سب رسول الله ﷺ وسبكم وشتمكم ﴿وَقُولُوا أَنْظُرْنَا﴾ أي سمعنا وأطعنا، قولوا بهذه اللفظة، لا بلفظة ﴿رَاعِنَا﴾، فإنه ليس فيها ما في قولكم: راعنا، ولا يمكنهم أن يتوصلوا إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما قال لكم رسول الله ﷺ قولاً وأطيعوه ﴿وَلَلْكَافِرِينَ﴾ يعني اليهود الشامتين لرسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١ وجيع في الدنيا إن عادوا لشتمهم، وفي الآخرة بالخلود في النار^٢.

١. سورة البقرة / ١٠٤.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٧٨، ح ٣٠٥؛ ونقل عنه في البرهان ٢ / ٨٦، ح ٢.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٤٧)

«هذه الآية خطاب لأهل الكتاب: اليهود، والنصارى أمرهم الله بأن يؤمنوا بالنبى ﷺ وما أنزل عليه من القرآن، وغيره من الأحكام مصدقاً لما معهم من التوراة والإنجيل اللذين تضمننا صفة النبى ﷺ وصحة ما جاء به»^١.

﴿يَا﴾ أداة نداء.

﴿أَيُّهَا﴾ «أَيَّ» منادى مبني على الضم في محل نصب، و«ها» للتنبيه زائدة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول بدل «أَيَّ».

﴿أُوتُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. أي: أعطوا.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به، «ال» للجنس. فيشمل اليهود والنصارى والمجوس بناءً

على أنهم من أهل الكتاب.

﴿ءَامِنُونَ﴾ فعل أمر وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ اسم موصول، في محلِّ جرٍّ، جارٍ ومجرور متعلِّق بـ﴿ءَامِنُونَ﴾.

﴿نَزَّلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. ومفعوله محذوف أي ﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾ ه والمراد به القرآن

الكريم. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ﴿مَا﴾ موصولة. والمصدِّق اسم فاعل والمراد به القرآن

الكريم. لأنّه يصدِّق الكتب السماوية الماضية. ولو لا تصديقه لم يكن لنا طريق إلى أنّه أنزلن من السماء.

﴿لَ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، في محلِّ جرٍّ، جارٍ ومجرور متعلِّق بـ﴿مُصَدِّقًا﴾. والمراد به التوراة

والإنجيل الموجودتان.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدلّ على المصاحبة يتعلّق بفعل محذوف تقديره: وُجِدَ.
 ﴿كُمُ﴾ مضاف إليه. يرجع إلى أهل الكتاب.
 ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ءَامِنُوا﴾. ﴿أَنَّ﴾ حرف مصدرية وناصبية.
 ﴿نَطَمَسَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر. «والطمس هو الدثر، وهو عفو الأثر، والطمس، والدائر، والدارس بمعنى واحد. وطمست أعلام الطريق تطمس طموساً: إذا دثرت»^١. فالطمس يدل على محو أثر الشيء واستئصاله. وهو انذار وتخويف وتهديد لهم.
 ﴿وَجُوهَا﴾ مفعول به. جمع الوجه: وهو ما يستقبل من الشيء ويظهر منه، ومن الإنسان معروف. وتنكيرها تدل على أنّ الطمس لا تعمّ جميعهم بل بعضهم.
 ﴿فَ﴾ للسببية.

﴿نَرَدَّهَا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء. وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. والضمير المفعولي يرجع إلى «الوجه».
 ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. «والأدبار: جمع دُبُر، وأصله من الدبر يقولون دبره يدبره دبراً فهو دابر: إذا صار خلفه. والدبر: خلاف القبل. والدابر: التابع»^٢.

قال الشيخ: «قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنَّ نَطَمَسَ وَجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ قيل في معناه أربعة أقوال:

أحدها: قال ابن عباس وعطية العوفي وقتادة: معناه نمحو آثارها حتىّ تصير كالقفا. نجعل عيونها في قفاها، فتمشي القهقري.

الثاني: قال الحسن، ومجاهد، والضحاك، وابن أبي نجيح، والسدي، ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: أن معناه نظمها عن الهدى، فنردها على أدبارها في ضلالتها ذمّاً لها بأنها لا تصلح أبداً، وهم وإن كانوا في الضلالة في الحال فتوعدهم

١. التبيان ٣/٢١٦.

٢. التبيان ٣/٢١٧.

٩٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

بأنهم متى لم يؤمنوا بالنبى ﷺ ازدادوا بذلك ضلالاً إلى ضلالتهم وإياساً لهم أن يؤمنوا فيما بعد.

الثالث: قال الفراء، واختاره البلخي، والحسين بن علي المغربي: إن معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجه القروء.

الرابع: قال قوم: معناه أن يردهم إلى الشام من الحجاز الذي هو مسكنهم، وهو أضعف الوجوه، لأنه ترك للظاهر، وخلاف أقوال المفسرين^١.

ويمكن أن يقال: «إنَّ الطمس تصرّف إلهي في الإنسان يوجب تغيير طبيعه عن قبول ما يوافق الفطرة والارتداع عن مطاوعة الحق، الذي كان حاصلاً من تغيير البيئة الأصلية للإنسان، وعدم وصوله إلى الكمال اللائق بحاله، وهو يستلزم عدم تحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

والآية المباركة صريحة في عدم تحقق هذا النوع من التصرّف الإلهي، وإنما هو وعيد يكشف عن شدة سخطه بأبلغ وجه»^٢.

﴿أَوْ﴾ عاطفة، قبلها تغيير في باطن انسانيتهم وبعدها تغيير في ظاهر انسانيتهم.
﴿نَلَعْنَهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب لأنه معطوف على ﴿نَطْمِسُ﴾ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

﴿كَمَا﴾ حرف جر للتشبيه و ﴿مَا﴾ مصدرية.
﴿لَعْنًا﴾ فعل ماض وفاعله. و ﴿مَا﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بحرف جر ﴿كَ﴾ والجار والمجرور متعلّق بمفعول مطلق - مصدر - محذوف تقديره: ﴿أَوْ نَلَعْنَهُمْ﴾ لعناً كَلَعْنِنَا، فالمراد باللعن هنا: المسخ.
﴿أَصْحَبَ﴾ مفعول به.

﴿الَسَّبَتْ﴾ مضاف إليه. وهم قوم من اليهود حرفوا الدين وتعدوا حدود الله فجعلهم قرده كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي الَسَّبَتْ فَقُلْنَا لَهُمْ

١. التبيان ٣/ ٢١٥ و ٢١٦.

٢. مواهب الرحمن ٨/ ٢٣٨؛ مأخوذ من الميزان ٤/ ٣٦٩.

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ^١ . وقال ﷺ: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^٢ . وقد بحثنا حول المسوخ وأحكامها الفقهية في كتابنا «الآراء الفقهية»^٣ فراجعها.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه.

﴿مَفْعُولًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ومعنى الجملة الأخيرة: إنَّ الطمس أو المسخ لا محالة

واقع بهم.

الروايات

في خبر مُنْخَلٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ (في علي) ﴿نُورًا مُبِينًا﴾^٤.
عن جابر الجعفي: قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام - في حديث له طويل - : يا جابر، أول أرض المغرب تَحْرَبُ أرض الشام، يختلفون عند ذلك على رايات ثلاث: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السُفْيَانِي، فيلقى السُفْيَانِي الأبقع، فيقتله ومن معه، ويقتل الأصهب، ثم لا يكون له همُّ إلا الإقبال نحو العراق، ومرَّ جيش بقرقيسيا، فيقتلون بها مائة ألف من الجبارين.

ويبعث السُفْيَانِي جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً، فيُصِيبُونَ من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فيبناهم كذلك إذ أقبلت راياتٌ من ناحية خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نَفَرٌ من أصحاب القائم عليه السلام، [ثم] يَخْرُجُ رجلٌ من موالي أهل الكوفة في ضِعْفَاء، فيقتله أمير جيش السُفْيَانِي بين الحيرة والكوفة.

١. سورة البقرة / ٦٥.

٢. سورة الأعراف / ١٦٣.

٣. الآراء الفقهية / ١ (١٢٤-١١٩).

٤. سورة النساء / ١٧٤.

٥. الكافي / ٢ / ٣٧٥، ح ٢٧ (١ / ٤١٧).

٦. قرقيسيا: بلدٌ على نهر الخابور، عندها مصبُّ الخابور في الفرات. معجم البلدان / ٤ / ٣٧٣.

ويبعث السُّفْيَانِي بَعَثًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَقْرُ الْمَهْدِيَّ عليه السلام مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ، فَيُبَلِّغُ أَمِيرَ جَيْشِ السُّفْيَانِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَيَبْعَثُ جَيْشًا عَلَى أَثَرِهِ، فَلَا يُدْرِكُهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

قال: وينزل جيش أمير السُّفْيَانِي الْبَيْدَاءَ، فَيُنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: يَا بَيْدَاءَ أَيْدِي بِالْقَوْمِ؛ فَيُخَسِفُ بِهِمُ الْبَيْدَاءَ، فَلَا يَقْلِبُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ يُحَوِّلُ اللَّهُ وَجُوهَهُمْ فِي أَقْفِيَّتِهِمْ وَهُمْ مِنْ كَلْبٍ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يَعْنِي الْقَائِمَ عليه السلام ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ ١.

رواها النعماني مفصلاً في غيبته / ٢٨٠، ح ٦٧ والمفيد في اختصاصه / ٢٥٦.

وروى عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: نزلت هذه الآية على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هكذا ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَبَهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَفْعُولًا﴾ ٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

إِعْلَانِ عَامٍ بِأَنَّ اللَّهَ ﴿يَغْفِرُ﴾ جَمِيعَ الذُّنُوبِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إِلَّا الشُّرْكَ لِـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وَالْمُرَادُ بِالْغُفْرَانِ هُنَا، الْعَفْوُ مِنْ دُونِ التَّوْبَةِ وَإِلَّا مَعَهَا يَثْبُتُ حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشُّرْكَ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الشُّرْكَ هُوَ الْإِعْتِقَادُ بِالتَّوْحِيدِ. خِلَافًا لِأَصْحَابِ الْوَعِيدِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ ٣.

قال الشيخ: «ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى لا يغفر الشرك أصلاً، لكن أجمعت الأمة على أنه لا يغفره مع عدم التوبة، فأما إذا تاب منه فإنه يغفره، وإن كان

١. تفسير العياشي ١/ ٤٠١، ح ١٤٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٠٢، ح ١٤٩.

٣. كما نقل عنهم الشيخ في التبيان ٣/ ٢٢٠.

عندنا غفران الشرك مع التوبة تفضلاً، وعند المعتزلة هو واجب، وهذه الآية من أكد ما دل على أن الله تعالى يعفو عن المذنبين من غير توبة ووجه الدلالة منها أنه نفى أن يغفر الشرك إلا مع التوبة وأثبت أنه يغفر ما دونه، فيجب أن يكون مع عدم التوبة، لأنه إن كان مادونه، لا يغفره إلا مع التوبة، فقد صار ما دون الشرك مثل الشرك، فلا معنى للنفي، والاثبات. وكان ينبغي أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ﴾ المعاصي إلا بالتوبة»^١.

﴿إِنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
 ﴿لَا يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿لَا يَغْفِرُ﴾: أي لا يعفو.
 ﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية ناصبة.

﴿يُشْرِكُ﴾ فعل مضارع منصوب مبني للمجهول، ﴿أَنْ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به لفعل ﴿لَا يَغْفِرُ﴾. والمراد بالشرك هنا الشرك الاعتقادي والنظري بأن يعتقد تعدد الآلهة أو الخالق أو الرازق، ويلحق به الكفر الاعتقادي والنظري وهو إنكار الله سبحانه ونفيه جلّ جلاله. ولذا قال في الميزان: «المراد بالشرك في الآية ما يعم الكفر لا محالة»^٢.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. أي يعفو.
 ﴿مَا﴾ موصولة، في محل نصب مفعول به.
 ﴿دُونَ﴾ ظرف منصوب. متعلق بفعل محذوف تقديره: ﴿مَا﴾ كان ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾.
 ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة للبعيد. مرجعه إلى الشرك بالله تعالى. أي ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ ﴿يَغْفِرُ﴾
 ﴿مَا﴾ كان ﴿دُونَ﴾ الشرك من المعاصي صغاراً كانت أو كباراً لكن لا للجميع بل:
 ﴿لِ﴾ حرف جر.
 ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل جر، جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾.

١. التبيان ٣/ ٢١٨.

٢. الميزان ٤/ ٣٧١.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾ تعالى. ومفعوله محذوف اختصاراً وتقديره: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مغفرته. وقد ورد في الروايات انهم يعتقدون بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهم شيعته عليه السلام.
 ﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
 ﴿يُشْرِكُ﴾ فعل مضارع مجزوم. فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر. ومفعوله محذوف اختصاراً.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُشْرِكُ﴾. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
 ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق كسر آخره لالتقاء الساكنين.
 ﴿أَفْتَرَى﴾ فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر. والافتراء: الاتهام، والكذب المخلوق.
 ﴿إِثْمًا﴾ مفعول به أو مطلق. ﴿عَظِيمًا﴾ نعته.

الروايات

صحيحة هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: دخلت الكبائر في الاستثناء؟
 قال: نعم. ١.

موثقة سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الكبائر فما سواها قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم. ٢.

موثقة إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الكبائر فيها استثناء أن يغفر لمن يشاء؟ قال: نعم. ٣.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي عليه السلام. وأما قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

١. تفسير القمي ١/ ١٤٠.

٢. الكافي ٣/ ٦٩٩، ح ١٩ (٢/ ٢٨٤).

٣. الكافي ٣/ ٧٠٠، ح ٢٠ (٢/ ٢٨٤).

يعني لمن والى علياً عليه السلام ١.

عن أبي العباس، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الإنسان مُشركاً؟ قال: مَنْ ابتدَعَ رأياً، فأحبَّ عليه، أو أبغض ٢.

عن قتيبة الأعمش، قال: سألتُ الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال: دخل في الاستثناء كلُّ شيء ٣.

وفي رواية أخرى، عنه: دخل الكبائر في الاستثناء ٤.

وسئل الصادق عليه السلام «عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هل تدخل الكبائر في مشيئة الله؟ قال: نعم ذلك إليه تعالى إن شاء عذب عليها وإن شاء عفا» ٥.

خبر عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من مات يوم الخميس بعد زوال الشمس إلى يوم الجمعة وقت الزوال وكان مؤمناً أعاده الله تعالى من ضغطة القبر، وقبل شفاعته في مثل ربيعة ومُضر، ومن مات يوم السبت من المؤمنين لم يجمع الله تعالى بينه وبين اليهود في النار أبداً، ومن مات يوم الأحد من المؤمنين لم يجمع الله تعالى بينه وبين النصارى في النار أبداً ومن مات يوم الاثنين من المؤمنين لم يجمع الله تعالى بينه وبين أعدائنا من بني أمية في النار أبداً، ومن مات يوم الثلاثاء من المؤمنين حشره الله تعالى معنا في الرفيق الأعلى، ومن مات يوم الأربعاء من المؤمنين وقاه الله نحس يوم القيامة وأسعده بمجاورته وأحلّه دار المقامة من فضله لا يمسه فيها نصب ولا يمسه فيها لغوب، ثم قال عليه السلام: المؤمن على أيّ الحالات مات وفي أيّ يوم وساعة قبض فهو صدّيق شهيد ولقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لو أنّ المؤمن

١. تفسير العياشي ١/٤٠٣، ح ١٥٠.

٢. تفسير العياشي ١/٤٠٣، ح ١٥١.

٣. تفسير العياشي ١/٤٠٣، ح ١٥٢.

٤. تفسير العياشي ١/٤٠٣، ح ١٥٣.

٥. الفقيه ٣/٥٧٤، ح ٤٩٦٦.

خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب، ثم قال ﷺ: من قال: لا إله إلا الله باخلاص فهو بريء من الشرك، ومن خرج من الدنيا لا يشرك شيئاً دخل الجنة، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من شيعتك ومحبيك يا علي، قال أمير المؤمنين ﷺ: فقلت: يا رسول الله هذا لشيعتي؟ قال: إي وربي إنه لشيعتك وإتهم ليخرجون يوم القيامة من قبورهم وهم يقولون لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب حجة الله فيؤتون بحلل خضر من الجنة وأكاليل من الجنة وتيجان من الجنة ونجائب من الجنة، فيلبس كل واحد منهم حلة خضراء ويوضع على رأسه تاج الملك وإكليل الكرامة ثم يركبون النجائب فتطير بهم إلى الجنة ﴿لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٢.١

خبر ثوير، عن أبيه أن علياً ﷺ قال: ما في القرآن آية أحب إلي من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ٣.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

نزلت الآية في اليهود؛ وذاكرة مزاعمهم وادعاءاتهم الكاذبة المفترية المنقولة عنهم في كتاب الله تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾^{هـ} و ﴿حَنْ أَبْتَنُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ﴾^٦ و ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾^٧.

١. سورة الأنبياء / ١٠٣.

٢. الفقيه ٤ / ٤١١، ح ٥٨٩٦.

٣. التوحيد / ٤٠٩، ح ٨.

٤. التفسير الكاشف ٢ / ٣٤٥.

٥. سورة البقرة / ٨٠.

٦. سورة المائدة / ١٨.

٧. سورة الجمعة / ٦.

والمروي عن أبي جعفر عليه السلام أنها نزلت في اليهود والنصارى.

﴿أ﴾ حرف استفهام، ورد تقريراً أو تعجباً أو تعجبياً أو إعلماً.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَرَ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة «ي» وفاعله ضمير مستتر

«أنك». ومعناه: ﴿أَلَمْ﴾ تعلم أو تخبر.

﴿إِلَى﴾ حرف جر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر، جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَمْ تَرَ﴾.

قال الشيخ: «وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام: انهم اليهود، والنصارى في قوله: ﴿حَنُّنٌ أَبْتُنُوءٌ لِّلَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾^٢ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾^٣ قال الزجاج: اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ بأولادهم الاطفال، فقالوا يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال ﷺ: لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُرِيكُم مِّنْ شَأْنٍ﴾ وقال: مجاهد، وأبو مالك: كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

الثاني: روي عن عبدالله بن مسعود انه تزكية الناس بعضهم بعضاً لينالوا بذلك مالاً من مال الدنيا، فأخبر الله تعالى أنه الذي ييزكي من يشاء. وتزكيتهم أنفسهم هو أن يقولوا: نحن أزكيا»^٤.

﴿يُزَكُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الزكاة: النمو. التزكية: التطهير والتنمية.

وتزكية الإنسان نفسه: تطهير وتقديس انسان نفسه وهو قسبان:

١. التبيان ٣/ ٢٢٠.

٢. سورة المائدة / ١٨.

٣. سورة البقرة / ١١١.

٤. التبيان ٣/ ٢٢٠ و ٢٢١.

أ: القسم المحمود: وهو التزكية بالفعل ويدل عليها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١.

ب: القسم المذموم: وهو التزكية بالقول وهي تزكية المرء نفسه باللسان فقط بحيث مدح نفسه وهو قبيح عقلاً وشرعاً إلا إذا كان في بيان النعم الإلهية عليه وعدّها والشكر عليها.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿بَلِ﴾ حرف استئناف أو ابتداء واضراب وكسر آخره لالتقاء الساكنين.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿يُزَكِّي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. والمراد بتزكية الله، تزكيته قولاً نحو ما صدر عنه تعالى بالنسبة إلى أنبياء الله كقوله تعالى خطاباً للرسول الأعظم ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٢ وقوله تعالى في إبراهيم وإدريس: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ٣ وقوله تعالى في سليمان وأيوب: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ٤.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول. مفعول به. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿وَ﴾ حالة. ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي مبني للمجهول ونائب فاعله. ﴿فَتِيلاً﴾ تمييز أو صفة لمفعول مطلق محذوف. الفتيل على وزن فاعيل بمعنى المفعول: ما كان في شق النواة. والنقير: النقطة التي في ظهر النواة، والقمطير: القشرة الرقيقة على النواة، وكل واحد من هذه يضرب مثلاً للشيء التافه: الحقير الذي لا يعتد به.

وفي تفسير القمي: هم الذين سَمُّوا أنفسهم بالصديق والفاروق وذي النورين. ٥

١. سورة الأعلى / ١٤.

٢. سورة القلم / ٤.

٣. سورة مريم / ٤١ و ٦٥.

٤. سورة ص / ٣٠ و ٤٤.

٥. تفسير القمي / ١ / ١٤٠.

رواية

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالمتقين: ... لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَاهُمْ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَاهُمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا ذُكِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يَقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ^١.

﴿أَنْظَرَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِتْمَانًا مُبِينًا﴾

هذه الآية وما بعدها تذكر ما يتصف به من يزكي نفسه من الكذب والبخل والحسد، ويظهر منها أن تزكية المرء لنفسه من أهم الرذائل وأقبح المفاسد، ولذا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإعادة النظر إليهم تأكيداً للتعجب أو تقريراً وإعلاماً بما يتصفون به من الكذب وغيره.

﴿أَنْظَرَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». «النظر: هو الاقبال على الشيء بالبصر ومن ذلك النظر بالقلب لأنه اقبال على الشيء بالقلب فكذلك النظر بالرحمة»^٢.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام في محل نصب حال. و «كَيْفَ» وما بعدها في محل نصب مفعول به للفعل «أَنْظَرَ».

﴿يَفْتَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «عَلَى اللَّهِ» جار ومجرور متعلق بـ «يَفْتَرُونَ».

﴿الْكَذِبَ﴾ مفعول به. «وافتراؤهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم

لأنفسهم»^٣.

١. نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.

٢. التبيان ٣/ ٢٢٢.

٣. التبيان ٣/ ٢٢٢.

١٠٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض. ﴿بِ﴾ حرف جر زائد هنا.
﴿مَ﴾ ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر لفظاً وفي محل رفع محلاً على أنه
فاعل ﴿كَفَى﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ تمييز. «الأثم: هو الفعل المذموم الذي يمنع الانسان من نيل الخيرات
ويبطئها»^١.

﴿مُبِينًا﴾ نعته، «أي لو لم يكن في التزكية إلا أنه افتراء ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ لـ ﴿كَفَى﴾ في
كونه ﴿إِنَّمَا مُبِينًا﴾»^٢.

وفي تفسير القمي: «أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» وهم هؤلاء الثلاثة
الذين غاصبوا آل محمد ﷺ حقهم^٣.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّنُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾

تدل الآية الشريفة على أن أهل الكتاب عامة واليهود خاصة يميلون إلى الكفار
والمشركين ويرجحونهم على الموحدين المسلمين قال الشيخ الطبرسي في شأن نزولها:
«إن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد
ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله
فنزل كعب على أبي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة:
انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإن اردت
ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل، فذلك قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّنُوتِ﴾.

١. الميزان ٤/ ٣٧٤.

٢. الميزان ٤/ ٣٧٤.

٣. تفسير القمي ١/ ١٤٠.

ثم قال كعب: يا أهل مكة ليجمع منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا، قال أبو سفيان لكعب: انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق نحن أم محمد؟ قال كعب: اعرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف وتفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث، فقال: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد ﷺ فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ١. فاليهود يتظاهرون بالسجود للأصنام ويرفضون التوحيد لأجل مطامعهم ومقاصدهم وهي ليست إلا السلطة والحكومة على غيرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ مر إعرابه في الآية ما قبل السابق.

﴿أُوتُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿نَصِيْبًا﴾ مفعول به، باعتبار ما بقي من الكتاب السياوي عندهم.

﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُوتُوا﴾ أو صفة محذوفة من ﴿نَصِيْبًا﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل نصب حال من الضمير نائب الفاعلي

﴿أُوتُوا﴾.

﴿بِالْحَبِيتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. الجبت: في اللغة كل ما لا خير فيه

والمراد به هنا كل معبود غير الله تعالى وكل من يطاع بغير إذن الله.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف تفسيري أو خاص بعد عام.

﴿الطَّغُوتِ﴾ معطوفة. مصدر بمعنى الطغيان أو مبالغة فيه يستعمل كثيراً

بمعنى الفاعل ويطلق على كل متجاوز عن الحد في الطغيان والضلال ورؤساء الشرك

والكفر والعناد والنفاق وعلى الأصنام والشياطين. وقيل: هو كل معبود من دون الله.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَقُولُونَ﴾ معطوف على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

١. مجمع البيان ٣/٥٩؛ ونحوها في تفسير الطبري ٥/١٦١؛ والدر المنثور ٢/١٧١؛ والتفسير الكبير ١٠/١٢٨ وقال الطبرسي: «قيل: وهو قول أكثر المفسرين» ثم ذكر ما ذكرته.

١٠٢ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿لَّذِينَ﴾ حرف جر واسم موصول محلاً مجرور، متعلق بـ ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿هَتُؤَلَاءِ﴾ «هـ» للتنبيه، «اولاء»: اسم إشارة يشير إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبني على

الكسر في محل رفع مبتدأ.

﴿أَهْدَى﴾ خبر. وجملة ﴿هَتُؤَلَاءِ أَهْدَى﴾ في محل نصب مفعول به لفعل

﴿يَقُولُونَ﴾. والاتيان بصيغة أفعل التفضيل في كلامهم جاء على سبيل الاستهزاء. ١.

﴿مَنْ الَّذِينَ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ ﴿أَهْدَى﴾.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿سَبِيلًا﴾ تمييز والعامل فيه ﴿أَهْدَى﴾. والمراد به هنا هو الدين «وإنما سمي

سبيلاً لأنه كالسبيل الذي هو الطريق في الاستمرار عليه ليؤدي الغرض المطلوب» ٢.

الروايات

في خبر بُرَيْدِ العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في ذيل الآية: يقولون لأئمة الضلالة

والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً، الحديث ٣.

صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كل راية تُرْفَعُ قبل قيام القائم

فصاحبها طاغوت يُعْبَدُ من دون الله تعالى. ٤.

لعل المراد بكل راية تُرْفَعُ بإدعاء الإمامة والمهدوية التي تختص بالمعصوم عليه السلام والموعود عليه السلام.

وفي صحيحة أبي عبيدة الخذاء عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: الجبت

والطاغوت: فلان وفلان وفلان والعبادة: طاعة الناس لهم، الحديث ٥.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: قد عبر الأئمة عن أعدائهم في كثير من الروايات والزيارات بـ:

الجبت والطاغوت واللات والعزى ٦.

١. كما في مواهب الرحمن ٨ / ٣١٤.

٢. التبيان ٣ / ٢٢٤.

٣. الكافي ١ / ٥٠٩، ح ١ (٢٠٥ / ١).

٤. الكافي ١٥ / ٦٦٦، ح ٤٥٢ (٢٩٥ / ٨).

٥. الكافي ٢ / ٤٠٧، ح ٨٣ (٤٢٩ / ١).

٦. بحار الأنوار ٢٤ / ٨٣.

في هذا المجال راجع كتاب: «الأسرار فيما كني وعُرف به الأشرار»^١ فإنه فريدٌ في موضوعه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ﴿٥٢﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة في محل جر بدل من ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المذكورين في الآية السابقة وهم اليهود الذين نافقوا وصدّقوا بالأصنام تعصباً و عناداً للمسلمين. ويمكن أن يكون محلاً مرفوعاً للابتداء والجملة بعدها ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ خبره.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم. أو ما مرّ في الإحتمال الأخير آنفاً.

﴿لَعَنَهُمُ﴾ فعل ماضٍ و مفعول به. «واللعنة: الإبعاد من رحمة الله عقاباً على معصيته»^٢. أبعدهم الله تعالى عن رحمته لأثمهم بأعدون عن الحقّ وغارون في الضلالة والكفر وخبائثه بواطنهم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿و﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مفعول به مقدم للفعل الآتي.

﴿يَلْعَنِ﴾ فعل مضارع مجزوم. فعل الشرط. والكسرة الظاهرة لالتقاء الساكنين. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿فَ﴾ الواقعة في جواب الشرط، والجملة ما بعدها في محل جزم جواب الشرط.

﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَجِدَ﴾ فعل مضارع منصوب و فاعله ضمير مستتر تقديره: أنت.

﴿لَهُ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ﴿تَجِدَ﴾. والضمير يرجع إلى الملعون.

﴿نَصِيرًا﴾ مفعول به. أي ﴿لَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ينصره من عقاب الله الذي أعدّه

له في الآخرة، ولا يعتد بنصرة ناصر له مع خذلان الله إياه في الدنيا.

١. الأسرار فيما كني وعُرف به الأشرار ٢/ ٩٦.
٢. التبيان ٣/ ٢٢٥.

﴿أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾

يذكر الله تعالى في هذه الآية الشريفة صفةً أخرى لليهود وهي البخل.
﴿أَمْ﴾ استفهام إنكاري توبيخي. و ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة لا تقتضي أن يكون ما قبلها
ومابعدا متصلين وهي كـ «بل» لا يفارقها معنى الإضراب وهي لا تعطف إلا
الجملة.

قال في الميزان: «وقد جوّز بعضهم أن تكون ﴿أَمْ﴾ متصلة، وقال: إن التقدير:
أهم أولى بالنبوة أم لهم نصيب من الملك؟ ورد بأن حذف الهمزة إنّما يجوز في ضرورة
الشعر، ولا ضرورة في القرآن، والظاهر أن أم متصلة وأن الشق المحذوف ما يدل عليه
الآية السابقة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الآية، والتقدير: أهم كل
ما حكموا به من حكم أم لهم نصيب من الملك أم يحسدون الناس؟ وعلى هذا تستقيم
الشقوق وتترتب، ويتصل الكلام في سوقه»^١.

﴿هَمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿نَصِيبٌ﴾ متبداً مؤخر.

﴿مِّنَ الْمُلْكِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَصِيبٌ﴾ ومن بيانية. والملك: الدولة
والسلطنة والقدرة والأموال. وفي حسنة بُريد العجلي^٢ عن الباقر^{عليه السلام} في معنى الملك:
يعني الإمامة والخلافة.

وفي الميزان: «المراد بالملك هو السلطنة على الأمور المادية والمعنوية فيشمل ملك
النبوة والولاية والهداية وملك الرقاب والثروة... فالمراد به الأعم من ملك الماديات
والمعنويات»^٣.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿إِذَا﴾ حرف جواب وجزاء لا عمل له لمجيئ ﴿فَ﴾ قبله.

﴿لَا يُؤْتُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. وهذا أخبار عن بخل اليهود.

١. الميزان ٤/ ٣٧٥.

٢. الكافي ١/ ٥٠٩، ح ١ (٢٠٥/١).

٣. الميزان ٤/ ٣٧٥ و ٣٧٦.

﴿النَّاسَ﴾ مفعول به أول. وفي الحسنة الماضية^١: نحن النَّاس الذين عَنِى اللهُ.
﴿نَقِيرًا﴾ مفعول به ثان. وفي الحسنة^٢: النقيير: النقطة التي في وسط النواة.
وكيف يعطون وديدهم الكذب ودينهم السلب؟
قال الشيخ: «وقيل في معنى النقيير ههنا ثلاثة أقوال:
أحدها: قال ابن عباس، وقتادة، والسدي، وعطاء، والضحاك، وابن زيد: إنه
النقطة التي في ظهر النواة.
وقال مجاهد: هو الحبة التي في بطن النواة.
وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن النقيير ما نقر الرجل باصبعه، كما ينقر
الدرهم.

والنقر: النكت ومنه المنقار، لأنه ينقر به. والناقور: الصور، لأن الملك ينقر فيه
بالنفخ المصوت. والنقرة: حفرة في الأرض أو غيرها، والنقيير: خشبة تنقر وينبذ فيها.
المناقرة: مراجعة الكلام. وانتقروا: اختص كما يختص بالنقر واحداً واحداً. والمنقر:
المقلع عن الشيء، لأنه كما يقلع في النقر، ثم يعود إليه^٣.

تنبية

قال الشيخ محمدجواد مُغْنِيَه: «والمعنى ان اليهود ليس لهم دولة وملك، ولو
كان لهم نصيب من السلطان لاحتكروا جميع الخيرات، ولم يتركوا لأحد شيئاً، حتى
ولو كان مقدار النقيير الحقير... وصدق الله العظيم، ونبوءة القرآن الكريم، فقد كانوا،
وما زالوا لا يطيقون نعمة الله على عبدٍ من عباده، فإن استطاعوا انتزاعها منه بالدس
والمؤامرة، أو بالربا، أو بالأغراء ببناتهم ونسائهم فعلوا، وان كان لهم شيء من القوة
سلبوا ونهبوا وأجروا الدماء نهراً، فمن اليوم الذي اغتصبوا فيه أرض فلسطين عام
١٩٤٨م أخرجوا أهلها من ديارهم بعد أن أقاموا مذابح للنساء والأطفال في أكثر من
مكان... وفي عام ١٩٦٧م قامت إسرائيل بمساندة الاستعمار بعملية الاغتيال لأجزاء

١. الكافي ١/٥٠٩، ح ١ (٢٠٥/١).

٢. الكافي ١/٥٠٩، ح ١ (٢٠٥/١).

٣. التبيان ٣/٢٢٧.

أخرى من البلاد العربية، وكررت فعلتها الأولى من الذبح والتشريد، وليس هذا بغريب على تاريخهم وطبيعتهم.

وقد ملك العرب، وامتد سلطانهم مئات السنين، وانتشر شرقاً وغرباً، وكان اليهود من جملة رعاياهم، فأقاموا العدل بين الجميع، وأحسنوا لليهود وغيرهم من أهل الأديان، حتى قال المنصفون من علماء الغرب كغوستاف لوبون: «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب»^١ وشهد غيره منهم بمثل شهادته... ولا بدع (فكل اناء بالذي فهي ينضح) كما قال ابن الصيفي.

ومن المفيد أن ننقل ما ذكره صاحب المنار عند تفسير هذه الآية منذ ٢٦٠ عاماً حين كانت فلسطين في حكم العثمانيين، قال ما نصه بالحرف:

«وحاصل المعنى: أنّ هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة وشح مطاع يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبي من العرب ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل؟ وهذه الصفة لا تزال غالبية على اليهود ظاهرة فيهم، فإن تمّ لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس، وما حوله فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة ولا يعطونهم نقيراً من نواة أو موضع زرع نخلة، أو نقرة في أرض أو جبل وهم يحاولون الآن وحاولوا قبل الآن ذلك بقطع أسباب الرزق عن غيرهم، فالنجار اليهودي في بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الأجرة التي يرضى بها المسلم أو النصراني وإن كانت أقل من أجرة المثل، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعدهم على ذلك، فالدلائل متوفرة على أنّ القوم يحاولون امتلاك الأرض المقدسة، وحرمان غيرهم من جميع أسباب الرزق فيها، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك، هذا وما كيف لو...»

وهل يعود إليهم الملك كما يبعون؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه، وإنما تبين ما

١. حضاره العرب / ١٢٦؛ ترجمة عادل زعير، طبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.
٢. ومن الآن يقرب: قرناً.

تقتضيه طباعهم فيه لو حصل...»^١.

هذا ما قاله عالم من علماء المسلمين في تفسير هذه الآية: ﴿أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ إِذْ لَأ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾. قاله قبل أربعين عاماً من قيام دولة إسرائيل بفلسطين، وإن دلّ هذا على شيءٍ فإنّما يدل على صدق محمد ﷺ في نبوته ورسالته، حيث أخبر بوحي من السماء قبل أكثر من ألف وثلاثمائة سنناً أنّ اليهود لو ملكوا لكان منهم الذي حدث بالفعل سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٦٧: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^٢.^٣

﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾

بيان لذكر صفة رذيلة أخرى لهم وهي الحسد.

﴿أَمْ﴾ حرف عطف وهي هنا منقطعة كما مرّ ومعناها: بل.

ويمكن أن تكون متصلة كما مرّ في أول الآية السابقة من الميزان.

﴿تَحْسُدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «والحسد تمنّي زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نياله لها، والغبطة: تمنّي مثل النعمة، لأجل السرور بها لصاحبها، ولهذا كان الحسد مذموماً والغبطة غير مذمومة. وقيل: إنّ الحسد من افراط البخل»^٤.

﴿النَّاسَ﴾ معقول به. والمراد به النبي ﷺ وآله ﷺ كما عن أبي جعفر عليه السلام^٥.

وإطلاق ﴿النَّاسَ﴾ على المفرد أو الجمع لا بأس به كنايةً.

ويمكن أن يكون المراد به المؤمنين جميعاً، وما يصل إليهم من المعارف الإلهية

١. تفسير المنار ٤/ ١٢٩ و ١٣٠.

٢. سورة الزمر / ٢٢.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٣٥٠ و ٣٥١.

٤. التبيان ٣/ ٢٢٨.

٥. التبيان ٣/ ٢٢٧؛ ومجمع البيان ٣/ ٦١.

١٠٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

والأحكام الشرعية والكتاب كلها ببركة وجود الرسول الأعظم ﷺ وآله الطيبين الطاهرين ﷺ وبالمآل يرجع إليه ﷺ وآله ﷺ .
﴿ عَلَى ﴾ حرف جر .

﴿ مَا ﴾ اسم موصول في محل جرّ . والجار والمجرور متعلق بـ ﴿ تَحْسُدُونَ ﴾ ، ويمكن أن يكون ﴿ مَا ﴾ ومابعده بياناً للملك في قوله تعالى ﴿ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنْ أَمْلِكِ ﴾ .
﴿ ءَاتَتْهُمْ ﴾ فعل ماض ومفعول به .

﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه . متعلقان بـ ﴿ ءَاتَتْهُمْ ﴾ . والمراد بالفضل في النبي ﷺ النبوة وفي آله ﷺ الإمامة كما في المجمع .
﴿ فَذَ ﴾ زائدة أو تفرعية . ﴿ قَدْ ﴾ حرف تحقيق .

﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ فعل ماض وفاعله . فالإعطاء من الله ولن ينفعهم حسدهم شيئاً .
﴿ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مفعول به أول ومضاف إليه والأخير منصوب لأنه ممنوع من الصرف . والمراد بهم إمّا مطلق ﴿ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أو الرسول الأعظم ﷺ وآله ﷺ فقط . والأخير ورد في الروايات كما تأتي ، فظهر أنّهم المحسودون .
﴿ أَلَكْتَبِ ﴾ مفعول به ثان . والمراد به القرآن الكريم الذي أنزل على الرسول الأعظم ﷺ .

﴿ وَ ﴾ عاطفة .

﴿ الْحِكْمَةَ ﴾ معطوفه . وقد مرّ معناه وأنها الأحكام والمعارف المنطبقة على الواقع والحقيقة . لا توهم الواقعية والحقيقية وتحيلهما .
﴿ وَ ﴾ عاطفة . ﴿ ءَاتَيْنَهُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول .

﴿ مُلْكًا ﴾ مفعول به ثان . وعن أبي جعفر ﷺ أنّ المراد به الخلافة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله .

والخلافة لا تختص بالسلطنة والإمارة المادية فقط بل تجري في الملك والملكوت والتشريع والتكوين والمادية والمعنوية وفي كلّ شيء لأنهم ﷺ خلفاء الرحمن وحججه

١ . مجمع البيان ٣ / ٦١ .

٢ . التبيان ٣ / ٢٢٨ .

ومظاهر أسماؤه تعالى.

﴿عَظِيمًا﴾ نعته.

الروايات

معتبرة أبي جعفر الأَحْوَل مؤمن الطاق، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾؟ قال: «النبوة» قلت: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾؟ قال: «الفهم والقضاء». قلت: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾؟ قال: «الطاعة المفروضة»^١.

معتبرة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: الطاعة المفروضة^٢.

رواها بسنده المعبر في مختصر البصائر^٣.

صحيحة محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: نحن المحسودون^٤.

رواها الكليني بسنده الصحيح^٥.

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يا أبا الصالح، نحن الناس المحسودون، وأشار بيده إلى صدره^٦.

رواها الكليني بسنده الحسن^٧.

صحيحة بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فنحن الناس المحسودون على ما آتانا الله [من] الإمامة، دون خلق الله [جميعاً]^٨.

١. تفسير القمي / ١ / ١٤٠.

٢. بصائر الدرجات / ١ / ٨١، ح ٢.

٣. مختصر البصائر / ١٩٣، ح ١٣؛ و / ١٩٥، ح ١٦.

٤. بصائر الدرجات / ١ / ٨٢، ح ٣.

٥. الكافي / ١ / ٥١٠، ح ٢ (٢٠٦/١).

٦. بصائر الدرجات / ١ / ٨٢، ح ٤.

٧. الكافي / ١ / ٥١١، ح ٤ (٢٠٦/١).

٨. بصائر الدرجات / ١ / ٨٣، ح ٥.

١١٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

صحيحة أخرى له عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد ﷺ؟ قلت: [فما معنى] قوله: ﴿وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾؟

قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم. ١.

رواها الكليني بسنده الصحيح. ٢.

معتبرة حمران قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ فقال: النبوة فقلت، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قال: الفهم والقضاء، قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: الطاعة. ٣.

رواها الكليني بسنده المعتبر. ٤.

عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينا موسى بن عمران عليه السلام يناجي ربه ويكلمه، إذ رأى رجلاً تحت ظل العرش، فقال: يا رب، من هذا الذي قد أظله عرشك، فقال: يا موسى، هذا ممن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله. ٥.

وفي تفسير الحبري بعد الآية الشريفة: نزلت في رسول الله ﷺ وفي علي عليه السلام

بما أعطاه الله من الفضل. ٦.

ونحوها في المناقب. ٧.

ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن جابر بن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿أمر

تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: نحن الناس. ٨.

١. بصائر الدرجات ١/٨٣، ح ٦.

٢. الكافي ١/٥١١، ح ٦ (٢٠٦/١).

٣. بصائر الدرجات ١/٨٣، ح ٧.

٤. الكافي ١/٥١٠، ح ٣ (٢٠٦/١).

٥. تفسير العياشي ١/٤٠٥، ح ١٥٧.

٦. تفسير الحبري / ٢٥٥، ح ١٩.

٧. المناقب ٣/٢٤٦.

٨. المناقب لابن المغازلي / ٢٦٧، ح ٣١٤.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِنَجْمِهِمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾

تذكر الآية أن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالرسول الأعظم ﷺ وبعضهم يصدّون عن دينه.

﴿فَ﴾ استثنائية.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾^١. ويحتمل رجوعه إلى أمة محمد ﷺ وأصحابه خاصة، والأوّل أظهر، والثاني أدق. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مبتدأ مؤخر. بمعنى الذي.

﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿بِهِءٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿ءَامَنَ﴾. والضمير يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ، أو آل إبراهيم من داود وسليمان عليهما السلام، أو الملك العظيم، أو الكتاب والحكمة، أو كلّ نبيّ آتاه الله الكتاب والحكمة، والأوّل أظهر والباقي يرجع إليه بالمال لأنّ أفضل أفراد آل إبراهيم هو ﷺ والملك العظيم له ﷺ وآتاه ﷺ الله الكتاب والحكمة والرسول الخاتم ﷺ هو فالضمير يرجع إليه ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة. تعطف الجملتين الاسميّتين.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مبتدأ مؤخر.

﴿صَدَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «الصد: الصّرف وقد قوبل الإيمان بالصد لأن اليهود ما كانوا ليفنعوا على مجرد عدم الإيمان بما أنزل على النبي ﷺ دون أن يبذلوا مبلغ جهدهم في صدّ النَّاس عن سبيل الله والإيمان بما نزله من الكتاب، وربما كان الصد بمعنى الإعراض وحيثنذ يتمّ التقابل من غير عناية زائدة»^٢. ﴿عَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿صَدَّ﴾.

١. سورة النساء / ٤٧.

٢. الميزان / ٤ / ٣٧٧.

١١٢ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿وَ﴾ استثنائية، والجمله بعدها «تهديد لهم بسعير جهنم في مقابل ما صدوا عن الإيمان بالكتاب وسعروا نار الفتنة على النبي ﷺ والذين آمنوا معه»^١.
﴿كَفَى﴾ فعل ماضٍ. ﴿بِ﴾ حرف جر زائد جاء للتأكيد.
﴿جَهَنَّمَ﴾ مجرور واقعاً بحرف جر ومنصوب ظاهراً لأنه ممنوع من الصرف ومرفوع محلاً لأنه فاعل ﴿كَفَى﴾.
﴿سَعِيرًا﴾ تمييز. السعير: ايقاد النار، سعير: المسعورة، أي ناراً كثيرة ملتتهبة مشتعلة.

قال علي بن إبراهيم القمي في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾: يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وهم سلمان وأبوذر والمقداد وعمار رضي الله عنهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [وهم غاصبوا آل محمد ﷺ حقهم ومن تبعهم] قال: فيهم نزلت ﴿وَكَفَىٰ بِنَجْمِ سَعِيرًا﴾^٢.

رواية

عن داود بن فرقد، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام وعنده إسماعيل ابنه عليه السلام يقول: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية، قال: فقال: الملك العظيم: افتراض الطاعة.

قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ قال: فقلت: أستغفر الله. فقال لي إسماعيل: لم يا داود؟ قلت: لأنني كثيراً قرأتها (ومِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ). قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما هو، فمن هؤلاء - ولد إبراهيم - من آمن بهذا، ومنهم من صد عنه^٣.

١. الميزان ٤/ ٣٧٧.

٢. تفسير القمي ١/ ١٤٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٠٦، ج ١٦٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

في الآية الشريفة تبين لكيفية كفاية جهنم للذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.
في صورة التعليل.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلقان بـ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال.

﴿نُصَلِّيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به أوّل.

﴿نُصَلِّيهِمْ﴾: أي نشويهم.

﴿نَارًا﴾ مفعول به ثان. أو منصوب بنزع الخافض أي ﴿نُصَلِّيهِمْ﴾ بالنار. ومعنى

نصليه ناراً: نلزمه إياها تقول: أصليته النار: إذا القيته فيها، وصليته صلياً: إذا شويته:

وشاة مصلية أي مشويه. والصلاء: الشواء. وصلى فلان بشر فلان. وصلى برجل

سوء»^١.

﴿كُلِّ﴾ اسم منصوب على نياية الظرفية الزمانية متعلق بشبه جواب الشرط وهو

مضاف ٢.

﴿مَا﴾ مصدرية، ومابعدا بتأويل مصدر في محل جر بالإضافة.

﴿نَضِجَتْ﴾ فعل ماض مؤنث. ﴿نَضِجَتْ﴾: أي احترقت وتلاشت

﴿جُلُودُهُمْ﴾ فاعل و مضاف إليه. ﴿بَدَّلْنَاهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به.

﴿جُلُودًا﴾ تمييز، ويمكن أن يكون بدلاً من الضمير المفعولي (هم).

١. التبيان ٣/ ٢٣٠.

٢. إعراب القرآن الكريم ٢/ ٣٦٨.

﴿غَيْرَهَا﴾ نعت ومضاف إليه. ﴿لِ﴾ حرف جرّ للتعليل.
 ﴿يَذُوقُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿لِ﴾ وفاعله.
 ﴿الْعَذَابِ﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.
 ﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر.
 ﴿عَزِيزًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.
 ﴿حَكِيمًا﴾ خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾، أو صفة ﴿عَزِيزًا﴾. وجملة ﴿كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

الروايات

في تفسير علي بن إبراهيم القمي مقطوعة قال: الآيات: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام. ١.

وفيه: قيل لأبي عبدالله عليه السلام كيف تُبدّل جلوداً غيرها؟ قال: أرأيت لو أخذت لينةً فكسرتها وصيرتها تراباً، ثم ضربتها في القاب التي كانت، أهي التي كانت، إنّا هي تلك وحدث تغييرٌ آخر والأصل واحدٌ. ٢.

خبر حفص بن غياث النخعي^٣ القاضي قال: كنت عند سيّد الجعافرة جعفر بن محمد عليه السلام لما أقدمه المنصور، فأتاه ابن أبي العوجاء، وكان ملحداً، فقال له: ما تقول في هذه الآية ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، هب هذه الجلود عصيت فعذبت، فما بال الغيرية؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: ويحك هي هي، وهي غيرها.
 قال: أعقلني هذا القول. فقال له: أرأيت لو أنّ رجلاً عمداً إلى لينةً فكسرها، ثم صب عليها الماء وجبلها، ثم ردّها إلى هيئتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرها؟ فقال: بلى، أمتع الله بك. ٤.

هي هي ، وهي غيرها أي: هي هي في مادتها، وهي غيرها في صورتها. أو «أنّ وحدة المادة

١. تفسير القمي ١/ ١٤١.

٢. تفسير القمي ١/ ١٤١.

٣. وهو من العامة إلا أنّه من الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤. أمالي الطوسي، المجلس الرابع والعشرون ح ٩/ ٥٨١، رقم ١٢٠٤.

محفوظة بوحدة الصورة فبدن الإنسان كأجزاء بدنه باق على وحدته مادام الإنسان هو الإنسان وإن
تغيّر البدن بأيّ تغيّر حدث فيه^١.
روى أبو منصور الطبرسي نحوها مرسلًا في الاحتجاج^٢.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾^٣

تقابل بين هذه الآية وسابقتها بين الطائفتين ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾
والآية تذكر سعادة المؤمنين في النشأة الأخرى.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ معطوفة على ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة وتعرب إعرابها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿الصَّالِحَاتِ﴾ مفعول به. ﴿سَدَّ﴾ حرف استقبال.

﴿نُدْخِلُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أول.

﴿جَنَّاتٍ﴾ مفعول به ثان.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مرّت في الآية ١٥

من سورة آل عمران فراجع ما حررناه هناك^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿نُدْخِلُهُمْ﴾ معطوفة على ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾.

﴿ظِلًّا﴾ مفعول به ثان. الظل: أصله الستر من الشمس.

﴿ظَلِيلًا﴾ نعت. الظليل: الكنين لأنه لا يدخله شمس ولا حرّ ولا سموم.

وفي تفسير القمي: ثم ذكر المؤمنين المقربين بولاية آل محمد ﷺ فقال: ثم ذكر

١. الميزان ٤/ ٣٨٥.

٢. الاحتجاج ٢/ ٣٥٤.

٣. أجود البيان ٣/ (٢١٣-٢١٠).

الآية ١.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٥٨)

بيان إلهي ودستور رباني لآحاد البشر ينتظم به نظام معاشهم ومعادهم، ومدلوله مما يحكم به العقل السليم والفطرة الطاهرة.

قال الشيخان الطوسي والطبرسي واللفظ للثاني: «قيل: في المعنى بهذه الآية أقوال:

أحدها: أئمة في كل من أؤتمن أمانة من الأمانات وأمانات الله وأمره ونواهيه وأمانات عباده فيما يأتهم بعضهم بعضاً من المال وغيره عن ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.
وثانيها: أن المراد به ولاة الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن أسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائي ورواه أصحابنا عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق قالا: أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده، ويعضده انه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الأمر، وروي عنهم أنهم قالوا: آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية وقال: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^٢ الآية وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما اتتمن الله عليه الأئمة الصادقين ولذلك قال أبو جعفر عليه السلام: إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصادقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظم الله سبحانه

١. تفسير القمي ١/ ١٤١.

٢. سورة النساء/ ٥٩.

أمر الأمانة بقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ ١ وقوله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ٢ وقوله: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْأَكْتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ٣ الآية.

وثالثها: أنه خطاب للنبي ﷺ برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة وأراد أن يدفعه إلى العباس لتكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول على ما تقدم، وإن صح القول الأخير والرواية فيه فقد دلّ الدليل على أن الأمر إذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه^٤.
﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به، في محل رفع خبر
﴿إِنَّ﴾.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدرى ناصب.

﴿تُؤَدُّوْا﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ وفاعله. ﴿أَنْ﴾ وما بعدها بتأويل مصدر أي: بتأدية. «أديت الشيء أؤديه تأدية وهو المصدر الحقيقي، ولو قلت: أديت أداءً كان جائزاً يقام الاسم مقام المصدر»^٥.

﴿الْأَمْنَتِ﴾ مفعول به الجمع المحلى باللام يفيد العموم فيشمل جميع الأمانات الإلهية والانسانية، والفردية والاجتماعية، والشخصية والنوعية، والعينية المادية أو السرية المعنوية، والعملية أو الفكرية.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلقان بـ﴿تُؤَدُّوْا﴾.

والأهلية على أقسام: الأولى: الأهلية الحقيقية الذاتية وهي مختصة بذات الله تعالى وتنحل إلى الإيمان به تعالى وبأنه إلهٌ واحدٌ فردٌ صمدٌ متفرد بالألوهية وله الحاكمية المطلقة والربوبية وتنحصر الطاعة الحقيقية له ﷻ.

١. سورة غافر / ١٩.

٢. سورة الأنفال / ٢٧.

٣. سورة آل عمران / ٧٥.

٤. مجمع البيان ٣ / ٦٣؛ ونحوها مختصراً في التبيان ٣ / ٢٣٤.

٥. التبيان ٣ / ٢٣٤.

الثانية: الأهلية الإفاضية من الله تعالى وهي مختصة بالأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام الذين أفاض الله عليهم الولاية وجعلهم أنبياءً وأوصياءً لتأدية الأمانة الملقاة على عاتقهم وهي الأحكام الإلهية والمعارف الربوبية وتأدية الأمانة إليهم إنما تكون بالإيمان والعمل بما أنزل عليهم.

الثالثة: الأهلية المكتسبة بين الناس التي يقوم عليها نظام الاجتماع والمدنية الكاملة الهادئة.

﴿وَ﴾ استثنافية. وما بعدها بيان لبعض مصاديق الأمانة.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط.

﴿حَكَمْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محل جر بالإضافة لوقوعه بعد الظرف. والحكومة تطلق على القضاء في لسان الروايات وأما في القرآن الكريم لها معنى عام يشمل القضاة والحكم المصطلح أي القدرة والسلطة على الناس.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿حَكَمْتُمْ﴾. ﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدري ناصب. ﴿تَحْكُمُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْكُمُوا﴾. ﴿أَنْ﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر لخبر مقدم محذوف تقديره «فعليكم الحكم بالعدل» وهذه الجملة جواب شرط غير جازم.

ومعناه: «أمر الله تعالى الحكام بين الناس أن يحكموا بالعدل لا بالجور»^١.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهِ﴾ اسمه.

﴿نِعْمًا﴾ مشتمل على «نِعْمَ» فعل ماضٍ لإنشاء المدح، و«ما» معرفة تامة بمعنى

«الشيء» في محل رفع فاعل «نعم». وتقديره: نعم الشيء شيئاً أو وعظماً، والمخصوص بالمدح محذوف وجملة ﴿نِعْمًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَعْظُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.

﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿يَعْظُمُ﴾. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر.
 ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. إنه تعالى
 سميع بجميع المسموعات وبصير بجميع المبصرات، فهو جل شأنه عالم بأقوالكم
 وأفعالكم.

الروايات

حسنة بُرَيْدِ الْعِجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ قَالَ: إِيَّانَاعِنِي، أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَوَّلُ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَهُ الْكُتُبَ وَالْعِلْمَ وَالسَّلَاحَ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^١ إِيَّانَاعِنِي خَاصَّةً، أَمْرَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا، فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازَعًا فِي أَمْرٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، كَذَا نَزَلَتْ وَكَيْفَ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ ﷻ بِطَاعَةِ وَلَاةِ الْأَمْرِ وَيُرَخِّصُ فِي مَنَازِعَتِهِمْ؟! إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.^٢
 حَسَنَةُ أَحْمَدَ بْنَ عَمْرِو [الْحَلَالِ] قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِمَامُ الْأَمَانَاتِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَلَا يَخْصُ بِهَا غَيْرَهُ وَلَا يَزْوِيهَا عَنْهُ.^٣
 صَحِيحَةُ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ يُؤَدِّي الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَخْصُ بِهَا غَيْرَهُ وَلَا يَزْوِيهَا عَنْهُ.^٤

مَعْتَبَرَةُ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قَالَ: أَمْرُ اللَّهِ الْإِمَامِ الْأَوَّلِ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي

١. سورة آل عمران / ٥٩.

٢. الكافي / ١ / ٦٨٨، ح ١ (٢٧٦/١).

٣. الكافي / ١ / ٦٩٠، ح ٢ (٢٧٦/١).

٤. الكافي / ١ / ٦٩٠، ح ٣ (٢٧٦/١).

بعده كل شيء عنده. ١.

عن زُرارة، ومُهران، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، قال: الإمام يُعَرَفُ بثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ بِالَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ عِنْدَهُ سِلَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده الوصية، وهي التي قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

وقال: إِنَّ السِّلَاحَ فِينَا بِمَنْزِلَةِ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَدُورُ الْمَلِكُ حَيْثُ دَارَ السِّلَاحِ، كَمَا كَانَ يَدُورُ حَيْثُ دَارَ التَّابُوتِ. ٢.

عن الحبي، عن زُرارة ﴿أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ يقول: أُدُّوا الْوِلَايَةَ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، قال: هم آل محمد عليه وآله السلام. ٣.
أبو جعفر عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْبًا يَعْظُمُ بِهِ﴾، قال: فِينَا نَزَلَتْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. ٤.
وفي رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ قال: أَمَرَ اللَّهُ الْإِمَامَ أَنْ يُدْفِعَ مَا عِنْدَهُ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَأَمَرَ الْأُمَّةَ أَنْ يَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ. ٥.

صحيححة يونس بن عبد الرحمن قال: سألت موسى بن جعفر عليه السلام عن قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ فقال: هذه مخاطبة لنا خاصة أمر الله تبارك وتعالى كل إمام منا أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه ثم هي جارية في سائر الأمانات. ولقد حدثني أبي، عن أبيه أن علي بن الحسين عليهما السلام قال لأصحابه: عليكم بأداء الأمانة فلو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليهما السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه. ٦.

١. الكافي ١/٦٩٠، ح ٤ (٢٧٦/١).

٢. تفسير العياشي ١/٤٠٦، ح ١٦٤.

٣. تفسير العياشي ١/٤٠٧، ح ١٦٥.

٤. تفسير العياشي ١/٤٠٧، ح ١٦٧.

٥. تفسير العياشي ١/٤٠٧، ح ١٦٨.

٦. معاني الأخبار / ١٠٧.

معتبرة أخرى لمعلي بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ قال: على الإمام ان يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده وأمرت الأئمة بالعدل وأمر الناس ان يتبعوهم. ١

رُوي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: سَوِّ بين الخصمين في لحظلك ولفظلك. ٢
قال الطبرسي: ورد في الآثار أن الصبيين ارتفعاً إلى الحسن بن علي في خط كتبه وحكماء في ذلك ليحكم أي الخطين أجود فبصر به عليٌّ فقال: يا بني انظر كيف تحكم فإن هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة. ٣

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

الآية الشريفة هي في مقابل الآية السابقة حيث قال فيها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ويقول هنا بإطاعة الله والرسول وأولى الأمر و... .
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين، لعدم الموضوع في حق غيرهم.
﴿أَطِيعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. الطاعة: امتثال الأمر.
﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. طاعة الله: امتثال أوامره والانتهاة عن نواهيه.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به و «ال» للعهد الذهني. وتكرار فعل الأمر ليس للتأكيد، بل لأن إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله في ما يتعلّق بالتشريع ووحى

١. التهذيب ٦/ ٢٢٣، ح ٢٥.

٢. مجمع البيان ٣/ ٦٣.

٣. مجمع البيان ٣/ ٦٤.

الله تعالى وأوامره ونواهيه فهي في الحقيقة اطاعة الله تعالى، ولكن كرّر فعل الأمر لأجل الإطاعة عن الرسول ﷺ في أوامره الحكومية والشخصية والولائية والقضائية ونحوها. واطاعته يكون على الاطلاق كإطاعة الله تعالى لأن الرسول لا يأمر شيء ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله وإلا يكون طاعته ناقضاً لطاعة الله وذلك لا يتم إلا بالعصمة.

﴿وَ عَاطِفَةٌ﴾

﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ معطوف ومضاف إليه. وحيث لم يكرر فعل الأمر فيستفاد عصمة اولى الأمر وإلا إطاعتهم تناقض اطاعة الله تعالى ويصير بين اطاعة الله واطاعة اولى الأمر مناقضة. ومن المعلوم انتفاء التناقض في صدر الآية وذيلها.

فحينئذ لا يمكن أن يطلق ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ إلا على الأئمة المعصومين عليهم السلام، لأقل في هذه الآية الشريفة يكونون هم المراد.

ولذا «روى أصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام أنهم الأئمة من آل محمد عليهم السلام»^١.

وقال الشيخ: «لا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصوماً مأموناً منه السهو والغلط، وليس ذلك بحاصل في الامراء، ولا العلماء، وإنما هو واجب في الأئمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم وطهارتهم، فأما من قال المراد به العلماء، فان قالوا: يجب علينا طاعتهم إذا كانوا محققين، فإذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا. قلنا: هذا تخصيص لعموم إيجاب الطاعة لم يدل عليه دليل. وحمل الآية على العموم، فيمن يصح ذلك فيه أولى من تخصيص الطاعة بشيء دون شيء كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول وطاعة الله في شيء دون شيء»^٢.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ وتقديره: حال كونهم ﴿مِنْكُمْ﴾. ومن هنا بياني.

﴿فَ﴾ تفريع على الحصر المستفاد من معنى الآية وهو: اطيعوا الله ولا تطيعوا

١. التبيان ٣/٢٣٦.

٢. التبيان ٣/٢٣٦.

الطاغوت.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَنْزَعُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محل جزم لأنه فعل الشرط. وتوجه الخطاب إلى المؤمنين يدل على أن المراد من التنازع هو تنازع المؤمنين بينهم. ﴿فِي شَيْءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَنْزَعُمْ﴾. ولفظ الشيء وإن كان عاماً يشمل كل شيء ولكن مابعداً يدل على أنه غير الأحكام الشرعية القطعية الواضحة لأن فيها لا بد من طاعة الله ورسوله ﷺ بلا خلاف.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿رُدُّوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. في محل جزم لأنه جواب الشرط.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿رُدُّوهُ﴾. معنى الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى

كتابه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الرُّسُولِ﴾ معطوفه، ومعنى الرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته ﷺ.

«والرد إلى الأئمة يجري مجرى الرد إلى الله والرسول ولذلك قال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^١ ولأنه إذا كان قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول في هذا الباب»^٢.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جزم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماضٍ ناقص والضمير اسمه. في محل جزم لأنه فعل الشرط.

﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ معطوفه ونعته.

وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه وتقديره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

١. سورة النساء / ٨٣.

٢. التبيان / ٣ / ٢٣٦.

الْآخِرِ ﴿ فَرَدُّوا نَزَاعَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالْأُمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ ﴾ .

﴿ ذَلِكْ ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى الرد.

﴿ حَيْرٌ ﴾ خبره، أي خير لكم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ أَحْسَنُ ﴾ معطوفه.

﴿ تَأْوِيلًا ﴾ تمييز. « والتأويل: هو المصلحة الواقعية التي تنشأ منها الحكم ثم

تترتب على العمل»^١.

الروايات

صحیحة حریز عن أبي عبد الله ﷺ قال: نزلت: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

فارجعوه ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ وإلى ﴿ الرَّسُولِ ﴾ وإلى أولى الأمر منكم^٢.

تأويل وتوضيح للآية الشريفة وكونها لا تدل على التحريف كما لا يخفى.

صحیحة الحسين بن أبي العلاء قال ذكرت لأبي عبد الله ﷺ قولنا في الأوصياء

أَنَّ طَاعَتَهُمْ مَفْتَرُضَةٌ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، هُمَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا ﴾^٣.

ورواها الكليني بسنده المعتبر أيضاً^٥.

صحیحة أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن

والحسين ﷺ: فقلت له: إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: فَمَا لَهُ لَمْ يَسْمَعْ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

كِتَابِ ﷻ؟ قَالَ: فَقَالَ: قَوْلُوا لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَلَمْ يَسْمَعْ اللَّهُ

لَهُمْ ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا، حَتَّى كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ

الزَّكَاةُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دَرَاهِمًا دَرَاهِمًا، حَتَّى كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي

١. الميزان ٤/٤٠٢.

٢. تفسير القمي ١/٢٠٧، ح ١٥، طبعه مؤسسة الإمام المهدي ﷺ عام ١٤٣٥ بقم المقدسة.

٣. سورة المائدة / ٥٥.

٤. الكافي ١/٤٥٧، ح ٧ (١/١٨٧).

٥. الكافي ١/٤٦٥، ح ١٦ (١/١٨٩).

فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ - ونزلت في عليّ والحسن والحسين - فقال رسول الله ﷺ: في عليّ: من كنت مولاه، فعليّ مولاه؛ وقال ﷺ: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله ﷻ أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك. وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم؛ وقال: إنهم لم يخرجوكم من باب هدى، ولم يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول الله ﷺ فلم يبين من أهل بيته، لادّعاها آل فلان وآل فلان، لكن الله ﷻ أنزله في كتابه تصديقاً لنبيه ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة ؑ، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أم سلمة: أأنت من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي، فلما قبض رسول الله ﷺ كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله ﷺ وإقامته للناس وأخذه بيده، فلما مضى عليّ لم يكن يستطيع عليّ ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن عليّ ولا العباس بن عليّ ولا واحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين: إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله ﷺ كما بلغ فيك وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك، فلما مضى عليّ ؑ كان الحسن ؑ أولى بها لكبره، فلما توفي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك والله ﷻ يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^١ فيجعلها في ولده إذا لقال الحسين أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك وبلغ في رسول الله ﷺ كما بلغ فيك وفي أبيك وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك، فلما صارت إلى الحسين ؑ لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه وعلى أبيه، لو أراد أن يصرفا الأمر عنه ولم يكونا ليفعلوا ثم صارت حين أفضت إلى الحسين ؑ فجرى تأويل هذه الآية

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ثمَّ صارت من بعد الحسين لعليّ بن الحسين، ثمَّ صارت من بعد عليّ بن الحسين إلى محمّد بن عليّ عليه السلام. وقال: الرّجس هو الشكُّ، والله لا نشكُّ في ربّنا أبداً. ١

صحيحة عيسى بن السري أبي اليسع قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد دينه ولم يقبل [الله] منه عمله ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ولم يضق به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان بأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء به من عند الله وحقّ في الأموال الزكاة؛ والولاية التي أمر الله صلى الله عليه وآله بها: ولاية آل محمّد عليهم السلام، قال: فقلت له: هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به؟ قال: نعم قال الله صلى الله عليه وآله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عليّاً عليه السلام وقال الآخرون: كان معاوية، ثمَّ كان الحسن عليه السلام ثمَّ كان الحسين عليه السلام وقال الآخرون: يزيد ابن معاوية وحسين بن عليّ ولا سواء ولا سواء قال: ثمَّ سكت ثمَّ كان محمّد بن عليّ أباجعفر وكانت الشيعة قبل أن يكون أبوجعفر وهم لا يعرفون مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم حتّى كان أبوجعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم حتّى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس وهكذا يكون الأمر والأرض لا تكون إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة وأحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذ بلغت نفسك هذه - وأهوى بيده إلى حلقة - وانقطعت عنك الدّنيا تقول: لقد كنتُ على أمر حسن. ٢

صحيحة أخرى له قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكى عملي ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء به من عند الله وحقّ في

١. الكافي ٧/٢، ح ١ (٢٨٦/١).

٢. الكافي ٥٧/٣، ح ٦ (١٩/٢).

الأموال من الزكاة؛ والولاية التي أمر الله ﷻ بها ولاية آل محمد ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله ﷻ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فكان عليٌّ ؑ، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده عليٌّ بن الحسين، ثم من بعده محمد بن عليٍّ، ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال: وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذٍ: لقد كنتُ على أمر حسن. ١.

صحيحة بريد بن معاوية قال: تلا أبو جعفر ؑ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإن خفتُم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم ثم قال: كيف يأمر بطاعتهم ويرخص في منازعتهم إنَّما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. ٢.

صحيحة أبي بصير، عن أبي جعفر ؑ في قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: الأئمة من ولد عليٍّ وفاطمة ؑ إلى أن تقوم الساعة. ٣.

معتبرة سليم بن قيس الهلالي في حديث: فأقبل القوم عليه [أي على أمير المؤمنين علي ؑ] فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟ فقال: ما من الحيين إلا وقد ذكر فضلاً وقال حقاً، وأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار بمن أعطاكم الله ﷻ هذا الفضل؟ أبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أو بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومن علينا بمحمد ﷺ وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرننا ولا بأهل بيوتاتنا، قال: صدقتُم يا معشر قريش والأنصار، أستم تعلمون أن الذي نلتُم به من خير الدنيا والآخرة منَّا أهل البيت خاصة دون غيرهم، وأن ابن عمي رسول الله ﷺ قال: «إني وأهل بيتي كنا نوراً يسعى بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله ﷻ آدم ؑ بأربعة عشر ألف

١. الكافي ٣/٦١، ح ٩ (٢/٢١).

٢. الكافي ١٥/٤٣٧، ح ٢١٢ (٨/١٨٤).

٣. كمال الدين وتمام النعمة ١/٢٢٢، ح ٨.

سنة فلما خلق آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمّله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثم لم يزل الله تعالى ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأمّهات لم يلتق واحد منهم على سفاح قطّ؟ فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله تعالى فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية وإنّي لم يسبقني إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ من هذه الأمة؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ١ و ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَسْبِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢ سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أنزلها الله تعالى في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله تعالى أتعلمون حيث نزلت ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وحيث نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ٣ وحيث نزلت ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ ٤ قال الناس: يا رسول الله أهذه خاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم؟ فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلمهم ولادة أمرهم وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجّهم فنصّبي للناس بغدير خمّ، ثمّ خطب فقال: «أيها الناس إنّ الله تعالى أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أنّ الناس مكذّبي، فأوعدني لأبلغّها أو ليعذبني» ثمّ أمر فنودي الصلاة

١. سورة التوبة / ١٠٠.

٢. سورة الواقعة / ١٠ و ١١.

٣. سورة المائدة / ٥٥.

٤. سورة التوبة / ١٦.

جامعة، ثم خطب الناس فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله ﷻ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قم يا علي فقمتم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ولاؤه كما ذا؟ فقال عليه السلام: ولاؤه كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^١ فكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر بتمام النعمة وكمال نبوتي ودين الله ﷻ وولاية علي بعددي، فقام أبو بكر وعمر فقالوا: يا رسول الله بينهم لنا، قال: علي أخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أممي وولي كل مؤمن بعددي، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا علي حوضي»؟

فقالوا: كلهم اللهم نعم قد سمعنا ذلك كله وشهدنا كما قلت سواء، وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت، ولم نحفظه كله وهؤلاء الذين حفظوا أحياننا وأفاضلنا، فقال علي عليه السلام: صدقتم ليس كل الناس يستون في الحفظ، أنشدكم الله من حفظ ذلك من رسول الله ﷺ لما قال فأخبر به؟ فقام زيد بن أرقم والبراء بن عازب وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: «أيها الناس إن الله أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعددي ووصيي وخليفتي والذي فرض الله ﷻ على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي، فأمركم بولايتي وولايته فإنني راجعت ربي ﷻ خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني ربي لأبلغنّها أو ليعذبني، أيها الناس إن الله ﷻ أمركم في كتابة بالصلاة فقد بينتها أنّها لهذا خاصة - ووضع يده على كتف علي بن أبي طالب - ثم لابنيه من بعده، ثم للأوصياء من بعدهم من ولدهم لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتى يردوا علي حوضي، أيها الناس قد بينت

لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي بن أبي طالب وهو فيكم بمنزلة فيكم فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم فإن عنده جميع ما علمني الله تبارك وتعالى وحكمته فسلوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تخلّفوا عنهم فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزالونه ولا يزالهم ثم جلسوا الحديث. ١

في خبر آخر لسليم قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ وكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله ﷻ لي أن أعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته، وما ترك شيئاً علمه الله ﷻ من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا أعلمني وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله ﷻ أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً، لم أنس من ذلك شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه، فقلت: يا رسول الله أتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال ﷺ: لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً وقد أخبرني ربي جل جلاله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرّنه الله ﷻ بنفسه وبّي، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ الآية فقلت: يا رسول الله ومن هم؟ قال: الأوصياء مني إلى أن يردوا عليّ الحوض كلهم هاد مهتد، لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمّتي وبهم يمطرون وبهم يدفع عنهم البلاء ويستجاب دعاؤهم. قلت: يا رسول الله سمّهم لي فقال: ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن - ثم ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام - ثم ابن له يقال له عليّ وسيولد في حياتك فأقرئه مني السلام، ثم تكمله اثني عشر، فقلت: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله سمّهم لي [رجلاً فرجلاً] فسّمهم رجلاً رجلاً، فيهم والله يا أخابني هلال مهديّ أمّتي محمد

الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ ظُلْمًا وَجورًا، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْرِفَ مِنْ بِيَاعِهِ
بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَأَعْرِفُ أَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ. ١.
الروايات في هذا المجال كثيرة فراجع تفسير العياشي^٢، وفي تفسير البرهان^٣ أكثر من ثلاثين
رواية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦﴾

يذكر الله في هذه الآية الكريمة المنافقين واليهود، وَيَصِفُ أفعالهم وهي التحاكم
إلى الطاغوت الذي ﴿أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ والآية بمنزلة دفع دخل مقدر كأنه قيل: ما
وجه ذكر قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟
فقيل: ألم تر إلى تخلفهم من الطاعة حيث يريدون التحاكم إلى الطاغوت؟
قال الطبرسي في شأن نزول الآية: «كان بين رجل من اليهود ورجل من
المنافقين خصومة فقال اليهودي: أحاكم إلى محمد لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ولا
يجوز في الحكم، فقال المنافق: لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ
الرشوة، فنزلت الآية عن أكثر المفسرين»^٤.
وفي تفسير القمي: «فإنها نزلت في «الزبير بن العوام» فإنه نازع رجلاً من اليهود
في حديقته، فقال الزبير: ترضى بإبن شيبه اليهودي؟ فقال اليهودي: ترضى بمحمد؟
فأنزل الله، الآية»^٥.

١. كمال الدين وتمام النعمة / ١ / ٢٨٤، ح ٣٧.

٢. تفسير العياشي / ١ / (٤١٤-٤٠٧).

٣. تفسير البرهان / ٢ / (١١٥-١٠٣).

٤. مجمع البيان / ٣ / ٦٦؛ ونحوها في التبيان / ٣ / ٢٣٨.

٥. تفسير القمي / ١ / ٢٠٨ من الطبعة الحديثة.

﴿أ﴾ استفهام انكاريّ تعجيبيّ مِّنْ يدعي الإيمان بالقرآن أو بالكتب السماوية الماضية.

﴿لَمْ﴾ اداة نفي وجزم وقلب.

﴿تَرَ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة وبقيت الفتحة دالة عليها وفاعله ضمير مستتر أنت. خطاباً للنبي الأعظم ﷺ .

﴿إِلَى﴾ حرف جر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جرّ، جار ومجرور متعلّق بـ﴿لَمْ تَرَ﴾.

﴿يَزْعُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الزعم: هو الاعتقاد سواء طابق الواقع أم لا؟ وكثيراً ما يُستعمل في الاعتقاد الذي كان مخالفاً للواقع.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل جاء للتأكيد واسمه.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله، في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. و﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿يَزْعُمُونَ﴾.

﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر. والجار والمجرور متعلّق بـ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿أُنزِلَ﴾، والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول

الأعظم ﷺ . وما أنزل الله تعالى إليه ﷺ من كتابه ووحيه وأحكامه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا أُنزِلَ﴾ الجملة معطوفة بـ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وتعرب إعرابها.

﴿مِنْ﴾ حرف جرياني.

﴿قَبْلِكَ﴾ مجروره ومضاف إليه. جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة من اسم

موصول ﴿مَا﴾ تقديره: حال كونه من قبلك. والمراد بـ﴿مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا رسول الله ﷺ من الكتب السماوية الماضية وأحكام الله النازلة على الأنبياء السالفة.

بالجملة: المنافقون يدعون الإيمان بالقرآن وأحكام الله واليهود يدعون الإيمان

بالتوراة وأحكام الله النازلة على نبيهم ﷺ وكلاهما كاذبان في ادعائهم، لأنهما

طائفتان: المنافقون واليهود:

﴿يُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية وناصبية.
 ﴿يَتَحَاكَمُونَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿يُرِيدُونَ﴾. التحاكم: حضور الخصمين عند القاضي لأجل المحاكمة وصدور الحكم منه.

﴿إِلَى الطَّغُوتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَحَاكَمُوا﴾. «ومعنى الطاغوت: ذوالطغيان - على جهة المبالغة في الصفة - فكُلُّ من يُعبد من دون الله فهو طاغوت وقد تسمى به الاوثان... ويوصف به كل من طغى»^١.

قال في الميزان: «الطاغوت مصدر بمعنى الطغيان.. غير أنه ربّما يطلق ويراد به اسم الفاعل مبالغة... وكان استعماله في الإنسان أولاً على نحو الاستعارة ثم ابتدل فلحق بالحقيقة وهو خروج الإنسان عن طوره الذي حدّه له العقل أو الشرع، فالطاغوت هو الظالم الجبار والمتمرد عن وظائف عبودية الله استعلاء عليه تعالى وهكذا، وإليه يعود ما قيل: إنّ الطاغوت كلّ معبود من دون الله»^٢.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أُمْرًا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. «والأمر وارد في الكتب السماوية والوحي النازل على الأنبياء ﷺ»^٣.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية وناصبية. ﴿يَكْفُرُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَكْفُرُوا﴾. ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ بتأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف بتقدير: ﴿أُمْرًا﴾ بالكفر به. والضمير يرجع إلى الطاغوت.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع.

﴿الشَّيْطَانِ﴾ فاعله، أي التحاكم إلى الطاغوت إنّما هو بإلقاء الشيطان وإغوائه.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدرية ناصبة.

١. التبيان ٣/ ٢٣٨.

٢. الميزان ٤/ ٤٠٢.

٣. الميزان ٢/ ٤٠٢.

﴿يُضِلُّهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. الضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ والضمير المفعولي يرجع إلى الذين يتحاكمون إلى الطاغوت.

«وأصل الضلال: الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي إلى البغية، لأنه ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي إلى البغية»^١.

﴿ضَلَّلًا﴾ مصدر، مفعول مطلق. ﴿بَعِيدًا﴾ نعته.

قال الشيخ: «قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يدل على بطلان قول المجبرة: إن الله تعالى يفعل المعاصي ويريدها، لأن الله تعالى نسب إضلالهم إلى أنه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم، فلو أراد تعالى أن يضلهم يخلق الضلال فيهم، لكان ذلك أوكد وجوه الذم في إضلالهم»^٢.

الروايات

مقبولة عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنها تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنها يأخذ سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾.

قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإننا استخف بحكم الله وعلينا ردٌّ والرادُّ علينا الرادُّ على الله وهو على حدِّ الشرك بالله؛

قلت: فإن كان كلُّ رجل اختار رجلاً من أصحابنا فرضياً أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم؟

قال: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا

١. التبيان ٣/ ٢٣٩.

٢. التبيان ٣/ ٢٣٩.

يلتفت إلى ما يحكم به الآخر.

قال: قلت: فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يُفَضَّلُ واحد منهما على الآخر؟ قال: فقال: ينظر إلى ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكما ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه؛ وإنما الأمور ثلاثة: أمرٌ بين رشده فيتبع، وأمرٌ بين غيّه فيجتنب، وأمرٌ مشكل يردُّ علمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: حلالٌ بينٌ وحرامٌ بينٌ وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات وهلك من حيث لا يعلم.

قلت: فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟

قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة؛

قلت: جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم بأيّ الخبرين يؤخذ؟ قال: ما خالف العامة ففيه الرّشاد.

فقلت: جعلت فداك فإن وافقها الخبران جميعاً.

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل؛ حكاهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر.

قلت: فإن وافق حكاهم الخبرين جميعاً؟

قال: إذا كان ذلك فارجه حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير

من الاقتحام في الهلكات. ١

خبر أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبِطْلِ وَتُدْלוּا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ ٢ فقال: يا أبا بصير إن الله ﷻ قد علم أن في الأمة حكاماً يجورون أما إنّه لم يعن حكام أهل العدل ولكنّه عني حكام أهل الجور، يا أبا محمّد إنّه لو كان لك على رجل حقٌّ فدعوته إلى حكام أهل العدل فأبى عليك إلاّ

١. الكافي ١/١٦٧، ح ١٠ (٦٧/١)؛ ومختصراً في الكافي ١٤/٦٥١، ح ٥ (٧/٤١٢).

٢. سورة البقرة / ١٨٨.

أن يرافحك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له لكان ممن حاكم إلى الطاغوت وهو قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ ١.

روى نحوها العياشي والشيخ في تفسيره^٢ والتهذيب^٣.

خبر عبدالأعلى مولى آل سام قال: حدثني أبو عبد الله ﷺ بحديث، فقلت له: جعلت فداك أليس زعمت لي الساعة كذا وكذا؟ فقال: لا، فعظم ذلك عليّ، فقلت: بلى والله زعمت، فقال: لا والله ما زعمته، قال: فعظم عليّ فقلت: جعلت فداك بلى والله قد قلته، قال: نعم قد قلته أما علمت أن كلّ زعم في القرآن كذب. ٤

خبر زكريّا النقّاض، عن أبي جعفر ﷺ قال: سمعته يقول: الناس صاروا بعد رسول الله ﷺ بمنزلة من أتبع هارون ﷺ ومن أتبع العجل وإنّ أبابكر دعا فأبي عليّ ﷺ إلّا القرآن وإنّ عمر دعا فأبي عليّ ﷺ إلّا القرآن وإنّ عثمان دعا فأبي عليّ ﷺ إلّا القرآن وإنّه ليس من أحد يدعو إلى أن يخرج الدجال إلّا سيجد من يبايعه ومن رفع راية ضلالة [فصاحبها طاغوت]. ٥

قال العلامة المجلسي ﷺ: أي [دعا] عليّاً ﷺ إلى موافقته أو جميع الناس إلى بيعته ومتابعته وموافقته، فلم يعمل أمير المؤمنين في زمانه إلّا بالقرآن، لم يوافق في بدعه. ٦
صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: أيما رجل كان بينه وبين أخ له ممارسة في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى هؤلاء كان بمنزلة الذين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ الآية. ٧

١. الكافي ١٤/٦٤٩، ح ٣ (٤١١/٧).

٢. تفسير العياشي ١/٤١٤، ح ١٨٢.

٣. التهذيب ٦/٢١٩، ح ٩.

٤. الكافي ٤/٤٩، ح ٢٠ (٣٤٢/٢).

٥. الكافي ١٥/٦٦٨، ح ٤٥٦ (٢٩٦/٨).

٦. مرآة العقول ٢٦/٣٤٧.

٧. التهذيب ٦/٢١٩، ح ٩.

يونس مولى علي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من كانت بينه وبين أخيه منازعة، فدعاه إلى رجل من أصحابه يحكم بينهما، فأبى إلا أن يرافعه إلى السلطان، فهو كمن حاكم إلى الحب والطنغوت، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ﴾ إلى قوله ﴿بَعِيدًا﴾ ١.

روى أصحابنا عن السيدين الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: إن المعني به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق ٢.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ

عَنكَ صُدُودًا﴾

بَيَّنَّتْ الآيَةُ بعض علامات المنافقين ومن جملتها في حال السلم والأمن إذا دعوا إلى الإيمان بما أنزل الله تعالى يظهر الإعراض والصدود. ﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه. وشرطه الجملة الفعلية بعده: ﴿قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا﴾ في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف. ﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. وقائله: «الداعي إلى حكم الرسول هو المسلم الذي يدعو المنافق إلى حكم الرسول ﷺ وقال قتادة: هو يهودي دعا المنافق إلى حكم الرسول، لعلمه أنه لا يجوز في الحكم» ٣.

﴿هُم﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قِيلَ﴾. والضمير يرجع إلى المنافقين. ﴿تَعَالَوْا﴾ فعل أمر وفاعله. في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾. من باب التفاعل وأصله من العلو والتعالى وهو الارتفاع. «فإذا قلت لغيرك: تعال، فمعناه ارتفع عليّ

١. تفسير العياشي ١/ ٤١٤، ح ١٨١.

٢. التبيان ٣/ ٢٣٨؛ مجمع البيان ٣/ ٦٦.

٣. التبيان ٣/ ٢٣٩.

١٣٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

- وإن كان في انخفاض من الأرض - لأنه جعله كالرفيع بكونه فيه، ويجوز أن يكون أصله للمكان العالي حتى صار لكل مكان^١.

﴿إِلَى﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر. والجار والمجرور متعلقان بـ﴿تَعَالَوْا﴾.

﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ومفعوله محذوف وتقديره: ما أنزله الله. وهو

كتابه الكريم والقرآن المجيد وحكم الله تعالى.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَعَالَوْا﴾، معطوف على ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. و

«ال» للعهد الذكري أي الرسول الأعظم ﷺ وهو الذي يحكم بها في كتاب الله.

﴿رَأَيْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. جواب شرط غير جازم.

﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ مفعول به، وهم المقصودون في هذه الآية وما قبلها والآيتين ما

بعدها. وهم الذين يظهرون الإيمان ويسترون الكفر.

﴿يَصُدُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الصد: هو الإعراض.

قيل في سبب إعراض المنافقين عن الرسول الأعظم ﷺ قولان:

«أحدهما: لعلمهم بأنه لا يأخذ الرشا على الحكم وأنه يحكم بمرّ الحق.

والثاني: لعداوتهم للدين»^٢.

﴿عَنْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَصُدُّونَ﴾ والضمير يرجع إلى الرسول

الأعظم ﷺ.

﴿صُدُّوْا﴾ مفعول مطلق. أي ﴿صُدُّوْا﴾ عظيماً.

«ومن هنا يظهر أن الفرق بين الله ورسوله ﷺ بتسليم حكم الله والتوقف في

حكم الرسول ﷺ نفاق البتة»^٣.

١. التبيان ٣/ ٢٣٩.

٢. التبيان ٣/ ٢٣٩.

٣. الميزان ٤/ ٤٠٣.

وفي تفسير القمي: وهم أعداء آل محمد ﷺ كلهم جرت فيهم هذه الآية ١.

﴿كَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿٦٢﴾

بيّنت هذه الآية الشريفة بعضاً آخر من علامات المنافقين وهو أنّهم إذا
﴿أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ تمسكوا بالمعاذير ويحلفوا بالله كاذباً ويدعوا أنّهم أرادوا الإحسان.
ثمّ يظهر من الآية الشريفة أنّ الإعراض عن حكم الله تعالى والرسول ﷺ
يوجب المصيبة والنكبة للمعرض.

«وقال الحسين بن علي المغربي [الوزير]: الآية نزلت في عبدالله بن أبي وما أصابه
من الذل عند مرجعهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة
المنافقين، فاضطر إلى الخشوع والاعتذار، وذلك مذكور في تفسير سورة المنافقين أو
مصيبة الموت لما تضرع إلى رسول الله ﷺ في الإفالة والاستغفار واستوهبه ثوبه،
ليتقي به النار يقولون: ما أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً أي بكلامه بين الفريقين المتنازعين
في غزوة بني المصطلق» ٢.

﴿فَ﴾ استثنائية أو تفرعية على الصّد والإعراض.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام. في محل نصب حال. والعامل فيه محذوف تقديره:

﴿كَيْفَ﴾ يصنعون. أو في محل رفع على الابتداء وتقديره: كيف صنعهم إذا... .

﴿إِذَا﴾ ظرف، مرّ في الآية السابقة.

﴿أَصَبْتَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدّم. أي ﴿إِذَا أَصَبْتَهُمْ﴾ بصددهم

وإعراضهم وفعالهم.

﴿مُصِيبَةٌ﴾ فاعله. أي النعمة والنكبة والهلاك ونحوها.

١. تفسير القمي ١/ ٢٠٨.

٢. التبيان ٣/ ٢٤١.

١٤٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَصَبْتَهُمْ﴾. ﴿بِ﴾ للسببية و ﴿مَا﴾ موصولة.
﴿قَدَمْتُ﴾ فعل ماض.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. ومفعوله محذوف أي ﴿بِمَا قَدَمْتُ﴾ أي أيديهم
بسبب إعراضهم وأفعالهم الخاطئة.
﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب.

﴿جَاءُوكَ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. والضمير الخطاب يرجع إلى
رسول الله ﷺ.

﴿تَحْلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الحلف: القسم. والجملة الفعلية في محل نصب
حال من الضمير الفاعلي في ﴿جَاءُوكَ﴾. وهذا التحالف هو مخادعتهم.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْلِفُونَ﴾.

﴿إِنْ﴾ بمعنى «ما» النافية جاءت في جواب القسم.

﴿أَرَدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿إِحْسَنًا﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَوَفِيْقًا﴾ معطوف.

رواية

وفي تفسير القمي: «فهذا مما تأويله بعد تنزيهه، في القيامة، إذا بعثهم الله حلفوا
لرسول الله، إنما أردنا بما فعلنا من إزالة الخلافة عن موضعها إلا إحساناً وتوفيقاً!
والدليل على أن ذلك في القيامة ما حدثني به أبي عن ابن أبي عمير عن منصور
عن أبي عبد الله عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام قالاً: المصيبة هي الخسف - والله - بالمنافقين
عند الحوض، قول الله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوَفِيْقًا﴾»^١.

الرواية صحيحة الإسناد ورواها العياشي^٢ عن منصور بن بزرج وعن جابر.

١. تفسير القمي ١/ ٢٠٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ٤١٥، ح ١٨٣.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ﴿١٣﴾

كذب الله المنافقين وأقوالهم.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة أشار به إلى المنافقين، مبتدأ.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هم الذين» في محل رفع خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَا﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بفعل محذوف «استقر».

﴿فَ﴾ تفريعية. ﴿أَعْرِضْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْرِضْ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عِظْهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ ومفعول به. قال الشيخ:

«جمع بين معنى الإعراض والإقبال»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت».

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قُلْ﴾.

﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوفة أي: خالياً

بهم، والحال هو للضمير الفاعلي في ﴿قُلْ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر في موضع مفعول به.

﴿بَلِيغًا﴾ صفته. قال الشيخ: «وأصل البلاغة البلوغ، تقول: بلغ الرجل بالقول

يبلى بلاغة، فهو بليغ: إذا كان بعبارته يبلغ كثير ما في قلبه. ويقال: أحقق بليغ، وبلغ

ومعناه: أنه أحقق ببلغ حيث يريد. وقيل: معناه قد بلغ في الحماسة. وفي الآية دلالة على

فضل البلاغة، وأنها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى

التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب»^١.

وقال القمي: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» يعني من العداوة لعليّ عليه السلام في الدنيا «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقُلَّ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» أي أبلغهم في الحجّة عليهم، وأخر أمرهم إلى يوم القيامة»^٢.

روايتان

خبر أبي جنادة السلولي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، عن أبي الحسن الأول عليه السلام في قول الله صلى الله عليه وآله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب «وَقُلَّ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا»^٣. رواها العياشي في تفسيره^٤.

وفي حسنة عبدالله بن النجاشي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله صلى الله عليه وآله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقُلَّ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» يعني والله فلاناً وفلاناً، الحديث^٥. رواها سعد بن عبدالله القمي في بصائر^٦ بسند حسن، والعياشي في تفسيره^٧.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ٦٤

هذه الآية «ردّ مطلق لجميع ما تقدمت حكايته من هؤلاء المنافقين من التحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن الرسول، والحلف والاعتذار بالإحسان والتوفيق.

١. التبيان ٣/٢٤٢.

٢. تفسير القمي ١/٢٠٩.

٣. الكافي ١٥/٤٣٦، ح ٢١١ (١٨٤/٨).

٤. تفسير العياشي ١/٤١٥، ح ١٨٥.

٥. الكافي ١٥/٧٧٣، ح ٥٢٦ (٣٣٥/٨).

٦. مختصر بصائر الدرجات / ٢٢٠، ح ٢٠٩.

٧. تفسير العياشي ١/٤١٥، ح ١٨٤.

فكّل ذلك مخالفة للرسول بوجه سواء كانت مصاحبة لعذر يعتذر به أم لا، وقد أوجب الله طاعته من غير قيد وشرط فإنّه لم يرسله إلّا ليطاع بإذن الله، وليس لأحد أن يتخيل أن المتبع من الطاعة طاعة الله، وإنّما الرسول بشر ممّن خلق إنّما يطاع لحيازة الصلاح فإذا أحرز صلاح من دون طاعته فلا بأس بالاستبداد في إحرازه، وترك الرسول في جانب، وإلّا كان إشرافاً بالله، وعبادة لرسوله معه، وربما كان يلوح ذلك في امور يكلمون فيها رسول الله ﷺ يقول قائلهم له إذا عزم عليهم في مهمة: بأمر من الله أم منك؟

فذكر الله سبحانه أن وجوب طاعة النبي ﷺ وجوب مطلق، وليست إلّا طاعة الله فإنّها بإذنه نظير ما يفيد قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ الآية. ثمّ ذكر أنّهم لو رجعوا إلى الله ورسوله بالتوبة حين ما خالفوا الرسول بالإعراض لكان خيراً لهم من أن يجلفوا بالله، ويلفقوا أعذاراً غير موجهة لا تنفع ولا ترضي رسول الله ﷺ لأنّ الله سبحانه يخبره بحقيقة الأمر، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ إلى آخر الآية» ٢.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِنْ﴾ حرف جر زائد للتأكيد ٣ لأنّها لا تزداد في الإيجاب ٤.

﴿رَسُولٍ﴾ مجروره محلاً منصوب لأنّه مفعول به، استغراق النفي يدلّ على أنّ كل رسول تجب طاعته.

﴿إِلَّا﴾ حرف تحقيق بعد النفي يدلّ على الحصر.

﴿لِي﴾ حرف جر للتعليل والغرض و «معناه: إلّا وأراد من المبعوث إليهم أن

يطيعوا» ٥.

١. سورة النساء / ٨٠.

٢. الميزان ٤ / ٤٠٤.

٣. كما في اعراب القرآن ١ / ٢٢٩ للنحاس المتوفى عام ٣٣٨ هـ.

٤. كما في التبيان ٣ / ٢٤٣.

٥. التبيان ٣ / ٢٤٤.

﴿يُطَاعَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن ناصبة مضمرة بعد ﴿إِ﴾
ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿إِذْبَ﴾ مجروره، الجار والمجرور متعلقان بـ﴿يُطَاعَ﴾.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بأمر الله. ١. وهو الإيجاب في الإرادة التشريعية.

«بيّن الله ﷻ في هذه الآية الشريفة أنّ الغاية من بعث الرّسل هي طاعتهم مطلقاً من غير قيد ولا شرط، وأنّ طاعتهم من طاعة الله تعالى، فأمرهم أمره ﷻ، وليست الطاعة فقط هي طاعته ﷻ كما زعمه هؤلاء المنافقون، وأنّ شأن الرّسل لم يكن الوعظ والإرشاد فقط فيأخذ به من يأخذ ويتركه من يترك، أو أنّ أتباع الرّسل إنّما هو لأجل الصّلاح، فإذا أحرز أحد في نفسه ذلك ليس له مع الرسول شأن وله أن يتركه في جانب، بل إذا أطاعه حينئذٍ كان إشراكاً بالله تعالى وعبادة للرسول معه، وهذه الآية الكريمة تدفع هذا التوهّم وتبيّن خطأ معتقدتهم، وتثبت طاعة الرسول وأتمّها من طاعة الله تعالى، وسيأتي في موضع آخر من هذه السورة تأكيد ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ٢.

والآية الشريفة لا تثبت سلطة ظاهرية للرسول، بل إنّ الطاعة هي غاية إرسال الرّسل، وإلا فإنّ كثيراً من الرّسل لم تكن لهم سلطة ظاهرية ولم يكونوا حكاماً - وسواء كانوا أم لم يكونوا - فإنّ ذلك لا يغيّر من الواقع شيئاً، فهم رسل من الله تعالى، أثبت لهم ﷻ الطاعة وأوجب تعالى على النّاس أن يطيعوهم في أوامره تعالى وأحكامه، وأنّ تهذيب النفوس إنّما يكون بطاعتهم وإصلاحها بالعمل، لا بمجرد سماع نصائحهم وترك أوامرهم.

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أنّ طاعة الرّسل لم تكن ذاتية، بل

١. كما في تفسير القمي ١/ ٢٠٩.

٢. سورة النساء / ٨٠.

إفاضية من قبل الله تعالى، فطاعتهم واجبة بإذنه^١.
 ﴿و﴾ استثنائية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.
 ﴿أَنْهُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد واسمه. ﴿أَنْ﴾ في موضع أي:
 لو وقع هذا ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.
 بعبارة أخرى: ﴿أَنْ﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل
 محذوف تقديره: لو ثبت ظلمهم.
 ﴿إِذْ﴾ حرف تعليل أو ظرف. ﴿ظَلَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر ﴿أَنْ﴾.
 ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. بعصيان الله ورسوله ﷺ وبالنفاق
 والتحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن الرسول ﷺ.
 ﴿جَاءُوكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. والضمير المفعولي يرجع إلى الرسول
 الأعظم ﷺ. ﴿جَاءُوكَ﴾ في محل نصب متعلقة بحال محذوفة تقديره: ﴿جَاءُوكَ﴾
 تائبين.
 ﴿فَ﴾ للتفريع على المجيء إلى رسول الله ﷺ أو عاطفة.
 ﴿أَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. أي: طلبوا الغفران من الله.
 قال رسول الله ﷺ: المَصْرُّ على ذنبه المستغفرُ بلسانه كالمُستهزئِ برَّبِّهٖ. ٢.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَسْتَغْفَرَ﴾ فعل ماضٍ، التفات إلى الغياب تعظيماً وإجلالاً لشأن
 الرسول ﷺ.
 ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَغْفَرَ﴾.
 ﴿الرُّسُولُ﴾ فاعله، بعد المجيء إليه ﷺ في حال حياته ﷺ أو بعد زيارته
 والتوسل إليه بعد مماته ﷺ.
 ﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ شرطية. وما بعدها جواب الشرط.
 ﴿وَجَدُوا اللَّهَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. والتعبير بالفعل الماضي يدل على

١. مواهب الرحمن ٨ / ٣٩٤.

٢. روض الجنان ٦ / ٥.

حتمية وقوعه في المستقبل وكذلك التعبير بإداة «وجدان». يدلّ على قطعية وقوعه. وكذا تبديل الضمير بإسم الجلالة يدلّ على عنايته الخاصة لهذه الغفران والعتفو وقبول التوبة.

﴿تَوَابًا﴾ مفعول به ثان. ﴿رَحِيمًا﴾ نعته.

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة؛ من أن الله تعالى يريد أن يعصي الأنبياء قوم ويطيعهم آخرون، لأنّه تعالى بيّن أنه ما أرسلهم إلّا ليطاعوا، واللام لام الغرض ومعناه إلّا، وأراد من المبعوث إليهم أن يطيعوا. وذلك خلاف مذهبهم. وفيها أيضاً دلالة على أن من كان مرتكباً لكبيرة يجب أن يستغفر الله فإنّ الله سيتوب عليه ويقبل توبته، ولا ينبغي لأحد أن يستغفر مع كونه مصراً على المعصية بل ينبغي أن يتوب ويندم على ما فعل ويعزم على أن لا يعود إلى مثله ثمّ يستغفر باللسان ليتوب الله عليه»^١.

وقال: «وذكر الحسن في هذه الآية: أنّ اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق واثتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، وقد دخلوا على رسول الله، فقال رسول الله: إنّ اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، واثتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم، وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقدّم أحد. فقال رسول الله ﷺ: ألا تقومون؟ - مراراً - ثمّ قال: قم يا فلان و أنت يا فلان، فقالوا يا رسول الله نحن نستغفر الله ونتوب إليه، فاشفع لنا، قال الآن أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الاجابة أخرجوا عني، فأخرجوا عنه حتى لم يرههم»^٢.

وذكر الرازيان القصة في تفسيرهما^٣.

أقول: إطلاق الآية الشريفة يدلّ أنّ استغفار الرسول ﷺ للمذنبين لم يختصّ بحياته ﷺ المادية، بل يعمّ حتى بعد ارتحاله ﷺ إلى الملاء الأعلى والشاهد عليه

١. التبيان ٣/ ٢٤٤.

٢. التبيان ٣/ ٢٤٤.

٣. التفسير الكبير ١٠/ ١٦٢؛ روض الجنان ٥/ ٦.

هذه الرواية:

روى الصادق عليه السلام عن علي عليه السلام قال: قدم علينا أمرؤ عندما دفننا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام فرمي بنفسه على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وحثا على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت من الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ فقد ظلمت نفسي فجئتك لتستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك. ١.

والروايات في هذا المجال متعددة فلا يذهب عليك مقالات الفرقة التكفيرية الوهابية لأنها مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأتهم فرقة سياسية ليس عملهم إلا تكفير المسلمين وقتلهم وإيجاد الفرقة بينهم، والتبعية للكفار والصهاينة، وتخريب سُمعة الإسلام والمسلمين.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

ردّ على كل من زعم أنّ الإيمان هو مجرد اعتقاد بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزله الله على رسوله من المعارف والأحكام من دون تسليم تام لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم باطناً وظاهراً وطاعته صلى الله عليه وآله وسلم في أوامره ونواهيه، وقبول أحكامه وقضائه في المرافعات ورفع الدعاوي والخصومات.

فلا يكون مؤمناً من يخالف أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أعماله ولا يقبل قضائه صلى الله عليه وآله وسلم وأحكامه صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاوي والمرافعات ولا يطع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في باطن أمره وظاهره.

قال الشيخ: «قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار تخصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

١. الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثعلبي ٣/٣٣٩؛ تفسير القرطبي ٥/٢٦٥؛ كنز العمال ٢/٣٦٨، ح ٤٣٢٢؛ روض الجنان ٦/٦.

١٤٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

شراج من الحرة^١ كانا يسقيان منه نخلاً لهما، فقال النبي ﷺ اسق يا زبير ثم ارسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله إن كان ابن عمك؟! فتلون وجه رسول الله حتى عرف أن قد ساءه، ثم قال يا زبير احبس الماء إلى الجدد أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء، فنزلت الآية. وقال أبو جعفر عليه السلام كانت الخصومة بين الزبير، وحاطب بن أبي بلتعة، روي ذلك عن الزبير وأم سلمة. وذهب إليه عمر بن شبة، والواقدي.

وقال قوم وهو اختيار الطبري: إنها نزلت في المنافق واليهودي اللذين احتكما إلى الطاغوت. قال: لأن سياق الكلام بهذا أشبه^٢.

ثم قال: «وقال أبو جعفر عليه السلام: لما حكم النبي ﷺ للزبير على خصمه، لوى شدقه وقال لمن سأله عمّن حكم له، فقال: لمن يقضي؟ لابن عمته. فتعجب اليهودي وقال: إنا آما بموسى فأذنبنا ذنباً فأمرنا الله تعالى بأن نقتل أنفسنا، فقتلناها فأجلت عن سبعين ألف قتيل. وهؤلاء يقرون بمحمد ﷺ ويطؤون عقبه ولا يرضون بقضيته، فقال ثابت بن الشماس لو أمرني الله أن أقتل نفسي لقتلتها فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني ابن الشماس ذكره السدي^٣».

﴿ف﴾ استثنائية. ﴿لَا﴾ زائدة موطئة للقسم. ﴿و﴾ للقسم وحرف جرّ. ﴿رَبِّ﴾ مقسم به سبحانه تعالى، ومجرور، جار ومجرور متعلق بفعل القسم المحذوف.

﴿ك﴾ مضاف إليه. والضمير يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ. ﴿لَا﴾ نافية، ﴿لَا﴾ وما بعدها جواب القسم. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وقد ذكر الله تعالى ثلاث علائم للمؤمن الواقعي تفرق بينه وبين المؤمن الادعائي.

١. مسيل ماء.

٢. التبيان ٣/٢٤٥؛ الكشف والبيان ٣/٣٤٠؛ روض الجنان ٦/٧؛ مجمع البيان ٣/٦٩.

٣. التبيان ٣/٢٤٦؛ الكشف والبيان ٣/٣٤٠؛ روض الجنان ٦/٧؛ مجمع البيان ٣/٦٩.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر.

﴿يُحَكِّمُوكَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله ومفعول به. أي: حتى يجعلوك حكماً أو حاكماً وقاضياً ويقبلوا حكمك وقضائك. وهذه هي العلامة الأولى.

﴿فِيمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُحَكِّمُوكَ﴾. و﴿مَا﴾ موصولة.

﴿شَجَرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر. أي اختلف. مأخوذ من الشجر، والشجور هو الاختلاف والتنازع، تشاجروا: تنازعوا وتداخل كلام بعضهم ببعض. وقيل للشجر، الشجر لاختلاط وتداخل وتشابك بعض غصونها مع بعض. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان، ومضاف إليه. أي ﴿فِيمَا﴾ وقع بينهم من الاختلاف والخصومة. أو التبس عليهم من الأحكام الشرعية.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة، جاءت للترتيب وما بعدها هي العلامة الثانية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَجِدُوا﴾ فعل مضارع منصوب لأنه معطوف على ﴿يُحَكِّمُوكَ﴾.

﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ويتعلق الأولان بـ﴿لَا يَجِدُوا﴾. أي في

قلوبهم وضمائرهم وباطنهم.

﴿حَرَجًا﴾ مفعول به. الحرج: الضيق. «وقيل في معنى الحرج قولان:

أحدهما: قال مجاهد هو الشك.

وقال الضحاك: الإثم.

وأصل الحرج الضيق فكأنه قال ضيق شك أو إثم وكلاهما يضيق الصدر.

ومعنى الآية أن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكموا النبي ﷺ فيما وقع بينهم من

الاختلاف، ثم لا يجدوا حرجاً مما قضى به أي لا تضيق صدورهم به»^١.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر و﴿مَا﴾ موصولة. والجار والمجرور يتعلق بالمصدر ﴿حَرَجًا﴾.

﴿قَضَيْتَ﴾ فعل ماض وفاعله. أي حكمت به في قضائك.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها العلامة الثالثة.

﴿يُسَلِّمُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. معطوف على ﴿يُحْكَمُوا﴾، ﴿يُسَلِّمُوا﴾ أي ينقادوا لحكمك ويسقط فيه التخرج والاعتراض والرد من لسان المؤمن وقلبه. ﴿تَسْلِيمًا﴾ مفعول مطلق. تأكيد للفعل، أي إذعاناً لك وخضوعاً لأمرك. قال في الميزان: «ومن هنا يظهر أن قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، وإن كان مقصوداً على التسليم لحكم النبي ﷺ بحسب اللفظ لأن مورد الآيات هو تحاكمهم إلى غير رسول الله ﷺ مع وجوب رجوعهم إليه إلا أن المعنى عام لحكم الله ورسوله جميعاً، ولحكم التشريع والتكوين جميعاً كما عرفت. بل المعنى يعم الحكم بمعنى قضاء رسول الله ﷺ وكل سيرة سار بها أو عمل عمل به لأن الأثر مشترك فكل ما ينسب بوجه إلى الله ورسوله بأي نحو كان لا يتأتى لمؤمن بالله حق إيمانه أن يرده أو يعترض عليه أو يمله أو يسوأه بوجه من وجوه المساءة فكل ذلك شرك على مراتبه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ٢١١.

الروايات

صحيحة أيوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أشد ما يكون عدوكم كراهية لهذا الأمر حين تبلغ نفسه هذه - وأو ما بيده إلى حنجرته - ثم قال: إن رجلاً من آل عثمان كان سبابة لعلي عليه السلام فحدثتني مولاة له كانت تأتينا قالت: لما احتضر قال: مالي ولهم؟ قلت: جعلني الله فداك ماله قال هذا؟ فقال لما أرى (أرى) من العذاب أما (إنما) سمعت قول الله تبارك وتعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هيهات هيهات لا والله حتى يكون ثبات الشيء في القلب وإن صلى وصام. ٣. رواها سعد بن عبد الله في بصائره^٤ بسنده الصحيح ومختصراً في تفسير العياشي^٥.

١. سورة يوسف / ١٠٦.

٢. الميزان / ٤ / ٤٠٥.

٣. كتاب الزهد / ٨٥، ح ٢٢٧، للحسين بن سعيد الأهوازي.

٤. مختصر البصائر / ٢٢٦، ح ٢٢٣.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٤١٦، ح ١٨٩.

صحيحة أبي العباس الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قال: هو التسليم له في الأمور. ١.

صحيحة سعيد بن غزوان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله لو آمنوا بالله وحده، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ولم يسلموا لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ٢.

صحيحة جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قال: التسليم في الأمر. ٣.

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ يا علي ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، هكذا نزلت. ثم قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ يا علي ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني فيما تعاهدوا وتعاقدوا عليه بينهم من خلافك وغصبك ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ عليهم يا محمد على لسانك من ولايته ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لعلي عليه السلام. ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ فإنه محكم. ٤.

خبر أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قال: التسليم: الرضا والقنوع بقضائه. ٥.

صحيحة عبد الله الكاهلي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو أن قوماً عبدوا الله وحده

١. مختصر البصائر / ٢٢١، ح ٢١١.

٢. مختصر البصائر / ٢٢٢، ح ٢١٥.

٣. مختصر البصائر / ٢٢٤، ح ٢١٩.

٤. تفسير القمي / ١، ح ٢٠٩، ح ١٧.

٥. المحاسن / ١، ح ٤٢٢، ح ٣٧٠.

لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى، أو صنعه النبي ﷺ: ألا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وعليكم بالتسليم.^١

رواها وسعد بن عبد الله القمي بسند صحيح في بصائره^٢ والكليني^٣ بسندين الصحيحين والعياشي^٤، مرسلًا.

صحيحة زرارة أو بريد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: لقد خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما تعاقدوا عليه لئن أمات الله محمدًا ألا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.^٥

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ و ﴿لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ بما قضى محمد وآل محمد عليه السلام ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.^٦

قال الزمخشري بعد ما نقله في شأن نزول الآية من التفاسير: وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيثار أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.^٧

١. المحاسن ١/٤٢٢، ح ٣٧١.

٢. مختصر البصائر / ٢٢٠، ح ٢١٠.

٣. الكافي ٢/٣٠٣، ح ٢ (١/٣٩٠)، و ٤/١٦٥، ح ٦ (٢/٣٩٨).

٤. تفسير العياشي ١/٤١٦، ح ١٨٦.

٥. الكافي ٢/٣٠٦، ح ٧ (١/٣٩١).

٦. تفسير العياشي ١/٤١٦، ح ١٨٨.

٧. الكشف ١/٥٣٠؛ الكشف والبيان ٣/٣٤١؛ التفسير الكبير ١٠/١٦٧؛ مجمع البيان ٣/٧٠؛ روض الجنان ٦/١٠.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ ﴿٦٦﴾

الآية الشريفة «متصلة بما تقدم من أمر المنافقين وترغيبهم في الاخلاص وترك النفاق، والمعنى أننا لو شددنا التكليف على الناس، نحو أن نأمرهم بالقتل والخروج عن الأوطان لصعب ذلك عليهم ولما فعله إلا الأقلون، وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم، فلما لم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا بل اكتفينا في الأمور السهلة، فليقبلوها بالإخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا خير الدارين»^١.
أقول: «سياق الكلام وإن كان مع المنافقين ولكن يمكن تعميمه لجميع المكلفين اختباراً للإيمانهم»^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، وامتناعية يعني أنه تعالى لم يكتب ذلك عليهم.
﴿أَنَا﴾ مركبة من ﴿أَنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل وضمير ﴿نَا﴾ اسمه.
﴿كَتَبْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنْ﴾.
والكتابة هنا بمعنى الفرض والوجوب، أي ﴿لَوْ أَنَا﴾ ألزمنهم وأوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

مثل أوجبنا على بن إسرائيل من قتل أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتبوا عبادة العجل.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور. متعلق بـ﴿كَتَبْنَا﴾ والضمير يرجع إلى المسلمين المؤمنين.
﴿أَنْ﴾ المخففة من ﴿أَنَّ﴾ الثقيلة وتعمل عملها في نصب المبتدأ ورفع الخبر ولكن يجب في اسمها أن يكون ضمير الشأن محذوفاً. كسرت نونها هنا لالتقاء الساكنين أو ضمنت لأن التاء في ﴿اقْتُلُوا﴾ مضمومة.

١. التفسير الكبير ١٠/١٦٦.

٢. مواهب الرحمن ٨/٤١٣.

ويمكن أن تكون ﴿أَنْ﴾ المفسرة التي تختص بتفسير الجمل وذلك إذا سبقت بجمله فيها معنى القول دون حروفه والمتأخرة عنها جملة ولم تقترن بحرف جر أي لم يأت بعدها حرف جر.

﴿أَقْتُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. بأن يقتل بعضهم بعضاً لا على وجه الانتهاز أو بتعريضها للجهاد والقتال مع أعداء الله تعالى والأول أظهر كما ورد في قوله تعالى في قصة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١.

لأن المقصود بالخطاب هو الجماعة دون الأفراد فالمراد قتل الجملة الجملة دون قتل كل واحد نفسه وكذلك الخروج والجلاء من الديار جملة واحدة ومجمعة، لا الهجرة الإفرادي.

﴿أَوْ﴾ عاطفة تدل على التخيير.

﴿أَخْرَجُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿أَقْتُلُوا﴾.

﴿مَنْ دَبَّرَكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولون يتعلقان بـ﴿أَخْرَجُوا﴾.

والمراد به الخروج من ديارهم المألوفة واطنانهم العزيزة والهجرة في سبيل الله تعالى، أو على نحو اخراج بني إسرائيل إلى التيه.

﴿مَا﴾ نافية، هي وما بعدها جواب شرط غير جازم.

﴿فَعَلُوا﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء، تفيد الحصر لمضي ﴿مَا﴾ نافية قبلها. والاستثناء منقطع

بناءً على اختصاص الخطاب بالمنافقين، ومتصل بناءً على تعميم الخطاب لجميع المكلفين كما مر.

قال في الميزان: «إن هذا التركيب يدل على أن الحكم للهيئة الاجتماعية من

الأفراد وهو المجتمع، وأن الاستثناء لدفع توهم استغراق الحكم واستيعابه لجميع الأفراد، ولذلك كان هذا الاستثناء أشبه بالمنفصل منه بالمتصل أو هو برزخ بين الاستثنائين: المتصل والمنفصل لكونه ذا جنبتين^١.

﴿قَلِيلٌ﴾ بدل من الضمير الفاعلي في ﴿فَعَلُوهُ﴾ ويمكن قرأته نصباً على الاستثناء كما في إعراب القرآن^٢ للنحاس ولكن قال: «والرفع أجود عند جميع النحويين وإنما صار الرفع أجود لأنّ اللفظ اولى من المعنى وهو يشتمل على المعنى»^٣.

﴿مَنْهُمْ﴾ حرف جر بياني ومجروره. متعلّق بصفة محذوفة من ﴿قَلِيلٌ﴾.

«لم يطع منهم إلا القليل، لأنّ فرض الحكّمين إنّما كان لإظهاره قوّة إيمانهم وثبات عزمهم ومقدار تقبّلهم لأحكام الله تعالى، والطاعة له ﷺ، فلم يفعل ذلك إلا قليلاً منهم، وهم أصحاب العزائم القويّة الذين آثروا رضا الله تعالى على رضى النفس وحبّها.

والآية المباركة تحبر عن امتناعهم عن امتثال الأحكام والتكاليف الحرجيّة والتويخ لهم»^٤.

وبعبارة أخرى: «فالمعنى: ولو أنا كتبنا أي فرضنا عليهم قتل أنفسهم والخروج من ديارهم وأوطانهم المألوفة لهم ما فعلوه أي لم يمتثلوا أمرنا، ثمّ لما استشعر أن قوله: ما فعلوه يوهّم أن ليس فيهم من هو مؤمن حقاً مسلم لحكم الله حقيقة دفع ذلك باستثناء القليل منهم، ولم يكن يشمله الحكم حقيقة لأنّ الإخبار عن حال المجتمع من حيث إنّّه مجتمع ولم تكن الأفراد داخلة فيه إلا بتبع الجملة»^٥.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿أَنْهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

١. الميزان ٤/٤٠٦.

٢. إعراب القرآن ١/٢٣٠، لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسما عيل النحاس المتوفى عام ٣٣٨هـ.

٣. إعراب القرآن ١/٢٣٠، لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسما عيل النحاس المتوفى عام ٣٣٨هـ.

٤. مواهب الرحمن ٨/٤١٣.

٥. الميزان ٤/٤٠٦.

﴿فَعَلُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر ﴿أَنَّ﴾. أي ﴿فَعَلُوا﴾ تكاليفهم.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿يُوعِظُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. في تبديل الكتابة بالوعظ «إشارة إلى أنّ هذه الأحكام الظاهرة في صورة الأمر والفرض ليست إلا إشارات إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم فهي في الحقيقة مواعظ ونصائح يراد بها خيرهم وصلاحهم»^١.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُوعِظُونَ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه ضمير مستتر.
﴿خَيْرًا﴾ خبره. وهذا أول أجور المتعظين.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾، أي ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ في دنياهم وأخراهم وجميع شؤونهم المادية والمعنوية والفردية والاجتماعية.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَشَدَّ﴾ معطوفة على ﴿خَيْرًا﴾.

﴿تَثْبِيثًا﴾ تمييزه. أي يجعل الشيء ثابتاً وراسخاً ويوجب تقوية الإيمان في قلوبهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^٢ وهذا ثانيها.

«والآية المباركة تدلّ على أنّ تنفيذ الأحكام الإلهية وتطبيقها لها الأثر الكبير في تقوية الإيمان، بل هي العلة التامة في رسوخه في النفس»^٣.

الروايات

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام «ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به في عليّ لكان خيراً

لهم»^٤.

١. الميزان ٤/٤٠٦.

٢. سورة إبراهيم / ٢٧.

٣. مواهب الرحمن ٨/٤١٤.

٤. الكافي ٢/٣٧٦، ح ٢٨ (١/٤١٧).

وروا نحوها عن جابر أيضاً في الكافي ١.

خبر أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
 وسلّموا للإمام تسليماً ﴿أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ رضاً له ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ﴾
 أَنَّ أَهْلَ الْخِلاَفِ ﴿فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيْبَةً﴾ وفي هذه الآية ﴿ثُمَّ
 لَا تَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ من أمر الوالي ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ لله الطاعة
 ﴿تَسْلِيمًا﴾ ٣.٢

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
 وسلّموا للإمام تسليماً ﴿أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ رضاً له ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ﴾
 أَنَّ أَهْلَ الْخِلاَفِ ﴿فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني في عليّ. ٤

﴿وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾

والآية متصلة بساقبتها.

﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة.

﴿إِذَا﴾ حرف جواب لسؤال مقدر أو تدل على معنى الجزاء. أي حين تثبتوا

بالإيمان الثابت.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ في الآية السابقة وكررت للتأكيد.

﴿أَتَيْنَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أوّل.

﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. «لذن» مبني على السكون. متعلق

بـ ﴿أَتَيْنَهُمْ﴾ أو بحال من ﴿أَجْرًا﴾. أي ﴿مِّنْ﴾ عندنا. دالاً على الاختصاص وتأكيذاً بأنّه

لا يقدر عليه غيره ولا يبلغ أحد كنهه ولا يعرف منتهاه ولا يدرك قصواه.

١. الكافي ٢/٣٩٣، ح ٦٠ (١/٤٢٤).

٢. سورة النساء / ٦٤.

٣. الكافي ١٥/٤٣٦، ح ٢١٠ (٨/١٨٤).

٤. تفسير العياشي ١/٤١٧، ح ١٩٠.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان. وإبهامه يدل على تعظيمه وتكثيره.
﴿عَظِيمًا﴾ نعته. وهذا ثالث أجور المتعظين بمواعظ الله وأحكامه.

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

والآية متصلة بما قبلها.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ السابقة.
﴿هَدَيْنَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به أول. ولعل هذه الهداية أجل وأعظم من الأجر المتقدم في الآية السابقة.
﴿صِرَاطًا﴾ مفعول به ثان.
﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نعته. في الدنيا والآخرة وبه يدخلون الجنة. وهذا رابع أجور المتعظين والحمد لله وجعلنا وإياكم منهم إن شاء الله تعالى.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

لما مضى في الآيات السابقة ذكر الطاعة والحث عليها، فقى الله تعالى عليها بذكر الوعد عليها في هذه الآية الشريفة وهو مرافقة عباد الله المصطفين الأخيار الذين يأمل كل إنسان ويتمنى مرافقتهم في جميع العوالم.

عن علي عليه السلام قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع فراقك، وإني لأدخل منزلي فأذكرك، فأترك ضيعتي وأقبل حتى أنظر إليك حباً لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة وأدخلت الجنة فرفعت في أعلى عليين، فكيف لي بك يا نبي الله؟ فنزلت ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فدعا النبي صلى الله عليه وآله

الرجل، فقرأها عليه، وبشره بذلك. ١.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبره.

﴿يُطِيعُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الرَّسُولَ﴾ معطوف، «ال» للعهد والمراد به الرسول الأعظم الخاتم ﷺ.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية في محلّ جزم جواب الشرط.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ. أُشير إلى المطيعين لله ورسوله ﷺ.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدلّ على المصاحبة والمرافقة والاجتماع، متعلّق بخبر المبتدأ

وهو ﴿أُولَئِكَ﴾ ومضاف. وهذه المعية في غاية الأهمية وهي مطلوبة لكلّ طالب وتدل على اللحق لا الصيرورة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلّ جرّ بالاضافة.

﴿أَنْعَمَ﴾ فعل ماض، والنعمة الواقعية التي يراها الله النعمة هي هذه.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿أَنْعَمَ﴾.

﴿مَنْ﴾ حرف جرّ بياني. بيان للمنع عليهم وهم طوائف أربعة:

﴿النَّبِيِّنَ﴾ مجروره. جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة من ﴿الَّذِينَ﴾. أي:

حالكونهم ﴿مَنْ النَّبِيِّنَ﴾. و«هم أصحاب الوحي الذين عندهم نبأ الغيب»^٢. فالمطيع لله وللرسول «يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم، والحضور معهم. فلا ينبغي أن يتوهم من أجل أنّهم في أعلى عليين أنّه لا يراهم.

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، ومسروق، وقتادة، والربيع، والسُّدِّي، وعامر:

إنّ سبب نزول هذه الآية أنّ بعض الناس توهم ذلك، فحزن له، وسأل النبي ﷺ عن ذلك، فأنزل الله الآية^٣. وهذه الطائفة الأولى.

١. أمالي الطوسي، المجلس التاسع والعشرون، ح ١٦ / ٦٢١، رقم ١٢٨٠.

٢. الميزان ٤ / ٤٠٧.

٣. التبيان ٣ / ٢٥٠.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الصّٰدِقِيْنَ﴾ معطوفة. وهم الطائفة الثانية، قال في الميزان: «وأما الصديقون فالذي يدلّ عليه لفظه هو أنّه مبالغة من الصدق، ومن الصدق ما هو في القول، ومنه ما هو في الفعل، وصدق الفعل هو مطابقته للقول لأنّه حاك عن الاعتقاد فإذا صدق في حكايته كان حاكياً لما في الضمير من غير تحلف، وصدق القول مطابقته لما في الواقع، وحيث كان القول نفسه من الفعل بوجه كان الصادق في فعله لا يخبر إلاّ عما يعلم صدقه وأنّه حق، ففي قوله الصدق الخبري والمخبري جميعاً.

فالصديق الذي لا يكذب أصلاً هو الذي لا يفعل إلاّ ما يراه حقاً من غير اتباع لهوى النفس، ولا يقول إلاّ ما يرى أنّه حق، ولا يرى شيئاً إلاّ ما هو حق فهو يشاهد حقائق الأشياء، ويقول الحق، ويفعل الحق»^١.

وقال في الكاشف: «والأليق بالواقع أن نفس الصديقين بالأئمة المعصومين الكاملين في أنفسهم المكملين لغيرهم، لأنّ الله سبحانه قد جعلهم في المرتبة الثانية من النبيين بلا فاصل، وهذه المرتبة لن تكون أبداً لمن يجوز عليه الخطأ، لأنّ من جاز عليه الخطأ لا يكون مكتملاً لغيره كما لا حقيقياً، بل يحتاج إلى كامل حقيقي يرده عن خطئه، وهذا الكامل هو المعصوم، وبتعبير ثانٍ أنّ الصادق على نوعين: الأوّل أن لا يتعمد الكذب، ولكن يجوز عليه الخطأ والاشتباه، كمن يخبر بشيء، وهو يؤمّن بصدق ما أخبر، ثمّ يتبين أنّ خبره غير مطابق للواقع، فيكون هو صادقاً في قصده، وخبره كاذباً... وهذا كثيراً ما يحدث.

النوع الثاني: ان لا يتعمد الكذب، ولا يجوز عليه الخطأ، بحيث لا يخالف قوله الواقع بحال، وهذا هو المراد بالصديقين، وبأولي الأمر في الآية ٥٩ من هذه السورة... وعلى هذا يكون المراد بالصديقين في الآية ٦٩، وأولي الأمر في الآية ٥٩ هم أهل البيت»^٢.

ومن هنا يظهر عدم تمامية مقالة الشيخ محمد عبده: «الصديقون هم الذين

١. الميزان ٤/٤٠٧.

٢. التفسير الكاشف ٢/٣٧١ و ٣٧٢.

زكت فطرتهم، واعتدت أمزجتهم وصفت سرائرهم، حتى إنهم يميزون بين الحق والباطل، والخير والشر بمجرد عروضه عليهم»^١.

«وهذا القول قريب من قول الصوفية بأن الإنسان إذا جاهد نفسه وروّضها أدركت الحق تلقائياً من غير تعلم»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الشُّهَدَاءُ﴾ معطوفة. وهم الطائفة الثالثة والمراد بهم - على الظاهر - المقتلون في سبيل الله «وفي تسميته شهيداً قولان:

أحدهما: لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل في سبيل الله.

والآخر: أنه من شهداء الآخرة بما ختم له من القتل في سبيل الله. وليست الشهادة هي القتل»^٣.

فلا ينحصر في شهداء الأعمال كما عليه في الميزان؛ لأنه لا ينحصر بالأشخاص ويشمل الزمان والمكان والأعضاء والجوارح وغيرها، مضافاً إلى أن المقتولين في سبيل الله بعضهم يصل إلى مرتبة شهداء الأعمال.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الصَّالِحِينَ﴾ معطوفة، وهم الطائفة الرابعة و ﴿الصَّالِحِينَ﴾ جمع صالح وهو الذي صلحت حاله واستقامت طريقته. قال الشيخ: «الصالح: من استقامت نفسه بحسن عمله»^٥.

وبالجملة: ﴿الصَّالِحِينَ﴾ «هم الذين صلحت نفوسهم واستقامت أحوالهم وطريقتهم، باتباعهم شريعة الله جل شأنه والدوام على طاعته، فصاروا حججه على خلقه، يخرج بهم على من يخرج عن الصراط المستقيم، وتزكية نفوسهم بصالح

١. المنار ٤/ ١٩٨.

٢. التفسير الكاشف ٢/ ٣٧١.

٣. التبيان ٣/ ٢٥٠.

٤. الميزان ٤/ ٤٠٧.

٥. التبيان ٣/ ٢٥١.

الأعمال، فتأهلوا لفيضه ﷻ وتهيؤوا لنعمه وكرامته»^١.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿حَسَنٌ﴾ فعل ماض. ﴿أَوْلَيْتِكَ﴾ فاعله.

﴿رَفِيقًا﴾ تمييز أي من حيث الرفاقة، أو حال من ﴿أَوْلَيْتِكَ﴾. أي حسن كل واحد منهم ﴿رَفِيقًا﴾.

قال السبزواري: «وإنما وصف رفقتهم بالحسن؛ لاحتياج الإنسان بالرفقة في السفر الطويل الذي يستقبله، فتفيض تلك الطوائف على من يرافقهم مما أنعم الله تعالى عليهم؛ ولأن في رفقة هؤلاء الخير الكثير؛ ولتأثير الرفيق في صاحبه أثراً كبيراً، فإذا كان ممن أنعم الله عليهم، كان أثره في صاحبه حسناً؛ ولارتفاق الأصحاب بعضهم بعضاً.

ولا تختص الآية الكريمة بعالم دون عالم، فتشمل عالم الدنيا والبرزخ والآخرة، فإن في جميعها يحتاج الإنسان إلى رفيق يرافقه في مسيره الاستكمالي، ليدلّه على الطريق الصحيح ويرشده إلى ما هو خير له، ويحجبه عن المخاطر»^٢.

قال في الميزان: «واعلم أن في هذه الآيات الشريفة موارد عديدة من الالتفات الكلامي متشابك بعضها مع بعض فقد أخذ المؤمنون في صدر الآيات مخاطبين ثم في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كما مرّ غائبين، وكذلك أخذ تعالى نفسه في مقام الغيبة في صدر الآيات في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ الآية، ثم في مقام المتكلم مع الغير في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾ الآية، ثم الغيبة في قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية، ثم المتكلم مع الغير في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ الآية، ثم الغيبة في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية.

وكذلك الرسول اخذ غائباً في صدر الآيات في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية، ثم مخاطباً في قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ الآية، ثم غائباً في قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية، ثم مخاطباً في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ الآية، ثم غائباً في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية، ثم مخاطباً في قوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَيْتِكَ﴾ الآية، فهذه عشر موارد من الالتفات

١. مواهب الرحمن ٩/٩.

٢. مواهب الرحمن ٩/١٠.

الكلامي والنكات المختصة بكل مورد مورد ظاهرة للمتدبر^١.

الروايات

خبر الحسن بن العباس بن حريش عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: والله ما يلهم الإقرار بما ترى إلا الصالحون، قلت: والله ما عندي كثير صلاح، قال: لا تكذب على الله، فإن الله قد سمّاك صالحاً، حيث يقول:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ يعني الذين آمنوا بنا وبأمير المؤمنين صلوات الله عليه وملائكته وأبيائه وجميع حججه عليه وعلى محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار الأبرار السلام.^٢

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال: أعينونا بالورع، فإنه من لقي الله تعالى منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، وإن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فمنّا النبي ومنّا الصديق والشهداء والصالحون.^٣

خبر خضر بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفي الله بشروطه التي شرطها عليه، فذلك مع ﴿النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفتته الريح انكفاً وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير.^٤

معتبرة إسماعيل بن جابر في رسالة أبي عبد الله عليه السلام إلى الشيعة: ... من سرّ أن يلقي الله وهو مؤمن حقاً فليتولّ الله ورسوله والذين آمنوا وليبرء إلى الله من عدوهم ويسلّم لما انتهى إليه من فضلهم لأنّ فضلهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل أتباع الأئمة فكيف بهم

١. الميزان ٤/٤٠٨.

٢. بصائر الدرجات ١/٢٤٦، ح ٢.

٣. الكافي ٣/٢٠٠، ح ١٢ (٢/٧٨).

٤. الكافي ٣/٦٢٥، ح ٢ (٢/٢٤٨).

وفضلهم، الحديث ١.

خبر سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له مع أبي بصير قال له: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فرسول الله ﷺ في الآية النبيون ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأنتم الصالحون فتسموا بالصالح كما سماكم الله ﷻ، يا أبا محمد فهل سررتك، الحديث ٢.

رواها العياشي في تفسيره ٣.

عن عبد الله بن جندب عن الرضا عليه السلام، قال: حق على الله أن يجعل ولينا رفيقاً للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ٤.

عن أم سلمة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله سبحانه ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: أنا، ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾: علي بن أبي طالب ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: الحسن والحسين، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ حمزة، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾: الأئمة الإثنا عشر بعدي ٥.

ونحوها في تفسير القمي ٦ إلا أنه طبق رفيقاً على «القائم من آل محمد عليهم السلام».

خبر محمد بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: الصديقون ثلاثة: علي بن أبي طالب، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون ٧.

صحيحة الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله ﷺ: لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وأنه

١. الكافي ١٥/٢٨، ح ١ (١٠/٨).

٢. الكافي ١٥/١٠٤، ح ٦ (٣٥/٨).

٣. تفسير العياشي ١/٤١٧، ح ١٩٢.

٤. تفسير العياشي ١/٤١٧، ح ١٩١.

٥. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر / ٢٨١، ح ٢.

٦. تفسير القمي ١/٢٠٩.

٧. الخصال ١/١٨٤، ح ٢٥٤.

سفينة نجاتها وباب حطتها، وأنه يوشعها وشمعونها، وذوقنيها، معاشر الناس إن علياً خليفة الله وخليفتي عليكم بعدي وأنه لأمير المؤمنين وخير الوصيين، من نازعه فقد ناز عني، ومن ظلمه فقد ظلمني؛ ومن غالبه فقد غالبني، ومن برّه فقد برّني، ومن جفاه فقد جفاني، ومن عاداه فقد عاداني، ومن والاه فقد والاني، وذلك أنه أخي ووزير ومخلوق من طينتي وكنت أنا وهو نوراً واحداً. ١

عن محمد بن ابني زياد و سيار عن العسكري عليه السلام في قول الله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٢ أي قولوا: إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لديك وطاعتك وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ وحكي هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام. ٣

عن مالك بن أنس عن سُمَيِّ عن أبي صالح عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني محمداً، ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ يعني علياً، وكان أول من صدّقه ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ يعني علياً، وجعفرًا، وحمزة، والحسن والحسين عليه السلام. ٤
ونحوها في المناقب أيضاً.

مغالطة

وبما ذكرنا يظهر وجه مغالطة الثعلبي في مقالته حيث يقول: «في هذه الآية دلالة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه الصديق وذلك أن الله تعالى لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم، وهم النبيون فجعل الروضة الأعلى للنبيين فلم يجوز أن يتقدمهم فيها أحد وثني بذكر الصديقين فلا يجوز أن يتقدمهم أحد غير النبيين ولأن يكون من النبي

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٣، ح ٣٠.

٢. سورة الفاتحة / ٧.

٣. معاني الأخبار / ٣٦، ح ٩.

٤. المناقب / ٣، ١٠٨.

٥. المناقب / ٣، ١٠٥.

صديق سرهم، وقد أجمع المسلمون على تسمية أبي بكر صديقاً كما أجمعوا على تسمية محمد رسول الله ولم يجوز أن يكونوا غالطين في تسميتهم محمد الرسول كذلك لا يجوز أن يكونون غالطين في تسمية أبي بكر صديقاً فإذا صح أنه صديق وأنه ثاني رسول الله ﷺ فلم يجوز أن يتقدمه بعده أحد والله أعلم»^١.

ووجهها: ما ذكرته في ذيل كلمة «الصديقين» وما ورد في الروايات من تطبيقها على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام وتسميتهم مخلوق لهم مردود إليهم ولا يرتبط بالكتاب والسنة.

تذكرة

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي: «و در تفسير اهل البيت عليهم السلام چنین آمد از محمد ابن علي الباقر كه: مراد به پیغامبران محمد مصطفی است، و به صدیقان علی ابوطالب است، و به شهیدان حسن و حسین، و به صالحان هشت ۲ از فرزندان حسین از زین العابدین تا به حسن عسکری «وَحَسَنٌ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا»، مهدی اُمّت است»^٣.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى مرافقة الطوائف الأربعة والمعية لهم وأتى اسم اشارة للبعيد لتعظيمها.

﴿الْفَضْلُ﴾ خبره. «ال» في أوله يدل على تعظيم ﴿الْفَضْلُ﴾ وأنه كل الفضل بل هو الفضل لا غيره.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿الْفَضْلُ﴾. أي نفس ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾. ﴿مِنَ﴾ نعم ﴿اللَّهُ﴾.

١. الكشف والبيان ٣/٣٤٢.

٢. في المصدر: «ده»، والصحيح ما ضبطناه.

٣. روض الجنان ٦/١٤.

﴿ وَ ﴾ استثنائية. ﴿ كَفَى ﴾ فعل ماضٍ، أي لا يضيع عنده شيء من جزاء الأعمال.
 ﴿ بِ ﴾ زائدة تدل على التأكيد. ﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله، مجرور لفظاً مرفوع محلاً.
 ﴿ عَلِيمًا ﴾ تمييز، بكنه الجزاء على حقه وتوفير الحظ فيه.
 قال في الميزان: «وختم الآية بالعلم لكون الكلام في درجات الإيمان التي لا
 سبيل إلى تشخيصها إلا العلم الإلهي»^١.
 «وفي الآية الشريفة تحريض المؤمنين المطيعين إلى الثواب العظيم والفضل الكبير
 لا يعلمه إلا الله تعالى؛ ولتطمين نفوسهم فتنشط وتقبل على الله تعالى بالعمل
 بمواعظه، وفيها توعيد المنافقين، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبهم»^٢.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾

هذه الآية وما بعدها بالنسبة إلى الآيات السابقة كذي المقدمة بالنسبة إلى
 مُقَدِّمَتِهِ، قال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «وهي تحث وتستنهض المؤمنين للجهاد في سبيل
 الله، وقد كانت المحنة شديدة على المؤمنين أيام كانت تنزل هذه الآيات، وهي كآتها
 الربع الثاني من زمن إقامة رسول الله صلوات الله عليه بالمدينة كانت العرب هاجت عليهم من
 كل جانب لإطفاء نور الله، وهدم ما ارتفع من بناية الدين يغزو رسول الله صلوات الله عليه
 مشركي مكة وطواغيت قريش، ويسري سرايا إلى أقطار الجزيرة، ويرفع قواعد
 الدين بين المؤمنين، وفي داخلهم جمع المنافقين وهم ذو قوة وشوكة، وقد بان يوم أحد
 أن لهم عدداً لا ينقص من نصف عدة المؤمنين بكثير.

وكانوا يقلبون الامور على رسول الله صلوات الله عليه، ويتربصون به الدوائر، وبثبطون
 المؤمنين وفيهم مرضى القلوب سماعون لهم، وحوهم اليهود يفتنون المؤمنين ويغزونهم
 وكانت عرب المدينة تحترمهم، وتعظم أمرهم من قديم عهدهم فكانوا يلقون إليهم

١. الميزان ٤/٤٠٨.

٢. مواهب الرحمن ٩/١١.

من باطل القول ومضلات الأحاديث ما يبطل به صادق إرادتهم، ويتنقض به مبرم جدهم، ومن جانب آخر كانوا يشجعون المشركين عليهم، ويطيّبون نفوسهم في مقاومتهم، والبقاء والثبات على كفرهم وجحودهم، وتفتين من عندهم من المؤمنين. فالآيات السابقة كالمسوقة لإبطال كيد اليهود للمسلمين، وإحفاء آثار إلقاءاتهم على المؤمنين، وما في هذه الآيات من حديث المنافقين هو كتتميم إرشاد المؤمنين، وتكميل تعريفهم حاضر الحال ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وعلى حذر من الداء المستكن الذي دبّ في داخلهم، ونفذ في جميعهم، وليبطل بذلك كيد أعدائهم الخارجين المحيطين بهم، ويرتد أنفاسهم إلى صدورهم، وليتم نور الدين في سطوعه، والله متم نوره ولو كره المشركون والكافرون»^١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ «خطاب للمؤمنين الذين صدقوا بالله وبرسوله ومعناه أيقنوا بالله ورسوله»^٢.

﴿خُذُوا﴾ فعل أمر وفاعله. «أمرهم الله أن يأخذوا»^٣.

﴿حِذْرَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي إْحَذَرُوا وكونوا على حَذْرٍ. «والْحِذْرُ والحِذْرُ بمعنى واحد وهما مصدران كالأثر والإثر، وقيل: إنّ الأوّل مصدر والثاني ما يحذر به وهو آلة الحذر، ورجلٌ حِذْرٌ أي محترز ومستعد»^٤.

«وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال أبو جعفر عليه السلام وغيره: خُذُوا سلاحكم، فَسَمِيَ السلاح حِذْرًا لأن به يقى الحذر.

الثاني: احذروا عدوكم بأخذ السلاح. كما يقال للإنسان خُذْ حِذْرَكَ. بمعنى احذر. والحِذْرُ والحِذْرُ لغتان. مثل الإِذْنُ والأُذُن. والمِثْلُ المَثَلُ»^٥.

١. الميزان ٤/٤١٥ و ٤١٦.

٢. التبيان ٣/٢٥٢.

٣. التبيان ٣/٢٥٣.

٤. مواهب الرحمن ٩/٢١.

٥. التبيان ٣/٢٥٣.

﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿أَنْفِرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿حُدُوا﴾. أي أخرجوا واذهبوا، النفر: الفرع، «النفر هو السير إلى جهة مقصودة وأصله الفرع، فالنفر من محل السير فرع عنه وإلى محل السير فرع إليه»^١.

«والنفر في الجهاد إنما يكون إلى الحرب لا عنها، وقد يستعمل النفر في الخيرات كلها، والمعروف أنهم كانوا إذا استنفروا الناس للحرب ينادون: النفر النفر، وفي الحديث: «وإذا استنفرتم فانفروا»، أي إذا طلب منكم النصر فأجيبوا خارجين إلى الإعانة»^٢.

﴿ثَبَاتٍ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَنْفِرُوا﴾ ونصبها بالجر الظاهري لأنها ملحقة بجمع المؤنث السالم. «الثبات: جمع ثبة وهي جماعات في تفرقة أي يأتون متفرقين. قال أبو جعفر عليه السلام: الثبات: السرايا والجميع العسكر»^٣. «الثبات: الجماعة بعد الجماعة بحيث تنفصل ثانية عن أولى وثالثة عن الثانية»^٤.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿أَنْفِرُوا﴾ معطوفة على ﴿أَنْفِرُوا﴾ الأولى.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَنْفِرُوا﴾. أي جاهدوا وقاتلوا مجتمعين، لأن الجهاد والحرب قد يحتاج إلى النفر والخروج للجميع أو طائفة معينة ومنه يظهر وجه التردد في الآية.

تنبيه

لنعم ما قال الشيخ مُغْنِيَهُ عليه السلام: «كانت الحرب فيما مضى بالرجال، وتعبئة الجنود والكتائب، أما اليوم فقد أصبح العلم قوة في كل ميدان، وحول السيف والرمح، وغيرهما من أدوات الحرب إلى صواريخ موجهة، وقاذفات القنابل، وغواصات نووية، ودبابات برمائية، وحاملات طائرات، وغازات سامة، ومخترعات للتجسس

١. الميزان ٤/٤١٦.

٢. مواهب الرحمن ٩/٢٣.

٣. التبيان ٣/٢٥٣.

٤. الميزان ٤/٤١٦.

جواً وبراً وبحراً... إلى ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في علم التخریب والتدمير. ولم يكتف تجار الحروب بتوجيه العلم، وعبقرية العلماء إلى اختراع آلات الخراب والدمار، حتى أنشأوا معاهد للتخصص بعمليات التخریب، وتدبير المؤامرات والانقلابات، وإيقاظ الفتن والأحقاد، وإشاعة الفوضى والجرائم، ووضع الخطط لانتشار الخوف والرعب وانهيار الأعصاب، والاستخفاف بالأخلاق والقيم، والإيمان بالأساطير والخرافات... إلى كل ما يمهد لسيطرة القوي على الضعيف، وعبودية المتخلف للمتقدم.

هذا هو نوع السلاح الذي يحاربنا به عدو الدين والانسانية... فبأي شيء نتقي شره وعدوانه؟ أبالسباب والشتم أو بالندب والبكاء، أو بالمشار حنات والخلافات؟ لا شيء - ونحن الآن على ما نحن - إلا أن نعرف من هو عدونا؟ وما هي مقدرته؟ ونحذر منه ومن أساليبه وألعيه، ولا نطمئن إليه في شيء، وأن نتعلم من أخطائنا، ونتحرر من الخونة، ونعمل جاهدين يداً واحدة على تقويتنا في شتى الميادين، وبهذا نستطيع أن تقف في وجه العدو... وعلى الأقل لا يصل بنا الأمر إلى الحد الذي وصلنا إليه الآن.

لقد سحق شعب فيتنام الأعزل رؤوس الأمريكيين، على رغم ما يحشدونه من قوى، وينفقونه من بلايين الدولارات. وقبل فيتنام تحررت كوبا من أمريكا، وهي أقوى دول العالم على الإطلاق... والآن تأسر كوريا الشمالية سفينة التجسس بيبلو، ولا تستطيع أمريكا أن تبدي حراكاً... والسر - فيما نعتقد - أن هذه الشعوب قد وعت مصالحها ونظمت صفوفها، وتلافت أخطاءها، فضربت على أيدي الخونة، وأبعدتهم عن القيادة ومركز القوة، وأمنت بحقها ومبادئها، واستهانت بالحياة في سبيلها. ولا يمكن لقوى العالم مجتمعة أن تقهر شعباً منظماً واعياً فيتنامياً كان، أو عربياً، والفرق في الأوضاع، لا في الطباع، وفي الوعي والصلابة فيما يؤمن ويعتقد^١.

أقول: الله يرحم الشيخ مغنيه، لو كان ويرى الثورة الإسلامية في إيران العزيزة

وقوتها وصلابتها وخضوع الدول الكبرى لها لا سيّما أمريكا فما يقول في مديح شعب
الإيراني الصامد وأبنائه الأبطال الذين يمشون في طريق إمامهم أبي عبدالله الحسين
الشهيد عليه السلام؟!؟

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَ فإِنْ أَصَبْتُمْ مُمْسِبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ

أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾

«المعني بهذه الآية المنافقون»^١ ولكن خاطبهم المؤمنين مع أنّهم في الحقيقة من
الكفار لأنهم معدودون من المؤمنين في الظاهر ويعاملون معاملتهم تماماً.
﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿إِنَّ﴾. في محل رفع. و ﴿مِنْ﴾ للتبعية.
والضمير يرجع إلى المؤمنين لما مرّ من أنّ المنافقين يعدون من المؤمنين في ظاهر الشريعة
وفي الواقع هم كفار وإتّهم من دخلائهم، ويمكن أن يكون من المؤمنين الضعيفين في
الإيمان كما على الثاني صاحب الميزان^٢.

﴿لَ﴾ للابتداء، دخلت على اسم ﴿إِنَّ﴾. ويمكن عدّها للتأكيد أو المرحلة.
﴿مَنْ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. في محل نصب.
﴿لَ﴾ جواب قسم محذوف لدخولها على الخبر وهي جملة فعلية مؤكدة بنون
تأكيد ثقيلة، تقديره: أقسم بالله ﴿لِيُبْتَئِنَ﴾.

﴿يُبْتَئِنَ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر. التبطئة
والإبطاء: «اطالة مدّة العمل لقلة الانبعاث وضده الاسراع وهو قصر مدّة العمل
للتدبير فيه»^٣.

١. التبيان ٣/ ٢٥٥.

٢. الميزان ٤/ ٤١٧.

٣. التبيان ٣/ ٢٥٥.

- ﴿فَ﴾ تفرّيع. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
- ﴿أَصْبَتُكُمْ﴾ فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم لأنّه فعل الشرط والضمير في محل نصب لأنّه مفعول به مقدم.
- ﴿مُصِيبَةٌ﴾ فاعله، والمراد بها القتل أو الجرح أو نحوهما.
- ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر في محل جزم لأنّه جواب شرط.
- ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿أَنْعَمَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
- ﴿عَلَى﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿أَنْعَمَ﴾. والجمله الفعلية ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ في محل نصب مفعول به ﴿قَالَ﴾، مقول القول.
- ﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى حين متعلّق بـ﴿أَنْعَمَ﴾.
- ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
- ﴿أَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم، أصله: أكون. واسمها ضمير مستتر «أنا».
- ﴿مَعَ﴾ ظرف مكان يدل على المصاحبة، متعلّق بخبر ﴿أَكُنْ﴾.
- ﴿هُمْ﴾ مضاف إليه.
- ﴿شَهِدًا﴾ خبر ﴿أَكُنْ﴾. أي شاهداً حاضراً. حتّى ابتلي ما ابتلي به المؤمنون.

الروايات

- قال الصادق عليه السلام: والله لو قال هذه الكلمة أهل الشرق وأهل الغرب، لكانوا بها خارجين من الإيمان ولكن الله قد سبّاهم مؤمنين بإقرارهم. ١
- وقال أبو جعفر عليه السلام: من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين لا يكون إلا كافراً. ٢
- وقال الصادق عليه السلام: لو أنّ أهل السماء والأرض قالوا ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ علينا إذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين. ٣

١. تفسير القمي ١/ ٢١٠، ح ١٨.

٢. التبيان ٣/ ٢٥٤.

٣. مجمع البيان ٣/ ٧٤.

﴿وَلَيْنَ أَصْبِكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي
كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

تتمة للآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَ﴾ موطئة ومؤذنة للقسم ووطئت الجواب له، أي والله ﴿لَيْنَ﴾.
﴿يِنَ﴾ حرف شرط جازم.
﴿أَصْبِكُمْ﴾ فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومفعول به مقدم.
﴿فَضْلٌ﴾ فاعله، الفضل عندهم هو المال وما يشابهه من غنيمة الحرب.
﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضْلٌ﴾. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب القسم.
﴿يَقُولَنَّ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة وفاعله
ضمير مستتر. جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. أو
يكون جواب القسم قد سدَّ مسدَّ الجوابين.
﴿كَأَنَّ﴾ للتشبيه وهي مخففة من الثقيلة «كأن»، واسمها ضمير الشأن محذوف
أي كأنه.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم، أصله تكون. وجملة ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ خبرها.
﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ ومضاف إليه.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَيْنَهُرُ﴾ معطوف على ﴿بَيْنَكُمْ﴾، والضمير في ﴿بَيْنَهُرُ﴾ يرجع إلى القائل للقول.
﴿مَوَدَّةٌ﴾ اسم مؤخر ﴿لَمْ تَكُنْ﴾. والجملة الفعلية ﴿كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُرُ
مَوَدَّةٌ﴾ جملة معترضة بين ﴿لِيَقُولَنَّ﴾ وبين مقول القول: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾. فلا محل
لها من الاعراب.

«تشبيه وتمثيل لحالهم فياتهم مؤمنون، والمسلمون يد واحدة يربط بعضهم ببعض
أقوى الروابط، وهو الإيمان بالله وآياته الذي يحكم على جميع الروابط الأخر من نسب

١٧٤ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

أو ولاية أو بيعة أو مودة لكنهم لضعف إيمانهم لا يرون لأنفسهم أدنى ربط يربطهم بالمؤمنين فيتمنون الكون معهم والحضور في جهادهم كما يتمنى الأجنبي فضلاً ناله أجنبي»^١.

«وإنما أدرج ﴿ك﴾ هذه الجملة بين القول والمقول، لئلا يتوهم أحد أن تمثيهم المعية مع المؤمنين، ليس لأجل النصر والمظاهرة على ما تقتضيه العادات والتقاليد في تلك العصور، بل كان لأجل الحرص على حطام الدنيا»^٢.

﴿يَدٌ﴾ أداة نداء والمنادى محذوف وتقديره: يا هؤلاء. أو حرف تنبيه لآئها بليت. ﴿يَدٌ﴾ وما بعدها في محل نصب مقول القول.

﴿لَيْتَنِي﴾ من الحروف المشبهة بالفعل للتمني ونون الوقاية والضمير اسمه في محل نصب.

﴿كُنْتُ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿مَعَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه متعلق بخبر محذوف ﴿كُنْتُ﴾، والجملة الفعلية ﴿كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ في محل رفع خبر ﴿لَيْتَ﴾.

﴿فَ﴾ للسببية.

﴿أَفُوزَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنَّ﴾ مضمرة بعد فاء السببية. أي: أحوز مالاً وأصيب غنيمة عظيمة وأخذ حظاً وافراً.

﴿فَوَزًا﴾ مفعول مطلق.

﴿عَظِيمًا﴾ نعته. والفوز العظيم عندهم حطام الدنيا وأموالهم والغنائم الحربية. «ومن علائم ضعف إيمانهم إكبارهم أمر هذه الغنائم، وعددهم حيازة الفضل والمال فوزاً عظيماً، وكل مصيبة أصابت المؤمنين في سبيل الله من قتل أو جرح أو تعب نقمة»^٣.


١. الميزان ٤/٤١٨.

٢. مواهب الرحمن ٩/٢٦.

٣. الميزان ٤/٤١٨.

رواية

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فسماهم مؤمنين وليسوا هم بمؤمنين ولا كرامة، قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ إلى قوله: ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ولو أن أهل السماء والأرض قالوا: قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكانوا بذلك مشركين، وإذا أصابهم فضل من الله، قال: يا ليتني كنت معهم فأقاتل في سبيل الله. ١

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ 

«لما أخبر الله تعالى في الآية الأولى [٧٢] أن قوماً من المنافقين يثبطون المؤمنين عن جهاد العدو والقتال في سبيل الله، حث في هذه الآية على الجهاد، بأن قال: لا تلتفتوا إلى تشييط المنافقين، وقاتلوا في سبيل الله بائعين للدنيا بالآخرة، إذ لكم بذلك أعظم الأجر وأكبر الحظ» ٢.

﴿استثنافية. ﴿ل﴾ لام الأمر. ﴿يُقَاتِلْ﴾ فعل أمر الغائب.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.

قال السيد القطب في الجهاد الإسلامي: «لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان... لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات، والأسواق للمنتجات، أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات! إنه لا يقاتل لمجد شخص، ولا لمجد بيت، ولا لمجد طبقة، ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس، إنما يقاتل في سبيل الله. لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه من تصريف الحياة، ولتمتع البشرية بهذا المنهج، وعدله المطلق بين الناس، مع ترك كل

١. تفسير العياشي ١/٤١٧، ح ١٩٣.

٢. التبيان ٣/٢٥٧.

فرد حراً في اختيار العقيدة التي يقتنع بها»^١.

وزاد عليه الشيخ مُغْنِيَهُ رحمته الله: «وتمنيت، وأنا أقرأ، (لا يقاتل الإسلام ليلجد الخامات للصناعات) ان يعطف عليه هذه الجملة: ولا ليشحم المعامل والفبارك بدماء الأحرار والنساء والأطفال»^٢.

وزدتُ عليه: ولا لإزدهار البورسات العالمية، ولا لإصدار الأفكار الفاسدة أو الأديان الكاسدة، ولا لسرقة تراث قوم وثوراتهم، ولا للسلطة على منطقة استراتيجية سياسياً أو اقتصادياً، ولا لتخريب بُنيةٍ مُحتَبَةٍ مملكة ولا لإيجاد الفرقة والخلاف في منطقة ولا لإيجاد سوق لبيع أسلحتهم السابقة لتمكنهم من صنع الحديثة منها ولا ولا

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع لأنه فاعل ﴿فَلْيُقْتِلْ﴾.

﴿يَشْرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي: يبيعون، لأنَّ شَرَيْتُ: بعثُ. اشتريت: ابتعت. والتعبير بالشري بدلاً من البيع، لأنَّهم يتتفعون بهذا لبيع ويكون لهم المنفعة والزيادة.

﴿الْحَيَوٰةِ﴾ مفعول به، أي حياتهم. ﴿الدُّنْيَا﴾ نعته.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَشْرُونَ﴾. ولا نحتاج إلى تقدير الحياة قبل الآخرة لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰنُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^٣ وكما قال رحمته الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَبْتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^٤.
﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿يُقْتَلُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر. «فالوعد

١. في ضلال القرآن ٧/٢.

٢. التفسير الكاشف ٣٧٨/٢.

٣. سورة العنكبوت / ٦٤.

٤. سورة التوبة / ١١١.

على القتال لا على القتل والغلبة»^١.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿ فَكُلُّ عَاطِفَةٍ تَفْرِيغِيَّةٍ عَلَى الْقِتَالِ. ﴾
﴿ يُقْتَلُ ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم لأنه معطوف على ﴿ يُقْتَلُ ﴾
ونائب فاعله ضمير مستتر. أي: يستشهد ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

«وقدم القتال على الغلبة لأن ثوابه أجزل وأثبت فإن المقاتل الغالب على عدو الله وإن كان يكتب له الأجر العظيم إلا أنه على خطر الحبط باقتراف بعض الأعمال الموجبة لحبط الأعمال الصالحة، واستتباع السيئة بعد الحسنه بخلاف القتل إذ لا حياة بعده إلا حياة الآخرة فالمقتول في سبيل الله يستوفي أجره العظيم حتماً، وأما الغالب في سبيل الله فأمره مراعى في استيفاء أجره»^٢.

وهذا التقديم يدل على أمر تربوي دقيق لـ «أن الله تعالى إنما وضع الجهاد وكتب القتال على المؤمنين؛ لأجل التجرد الكامل لله تعالى، وبيع الحياة الدنيا بما فيها من رغبة النصر والاستيلاء على أعداء الله تعالى، حتى يحظى برضوان الله تعالى ويشترى بها الحياة الآخرة، فكان ذكر القتل ابتداءً أوقع من ذكر النصر، وله الأثر الكبير في النفوس وتشجيع الهمم وحث المتثاقلين، فإن الذي يذهب للجهاد ليموت، لم يتغير موقفه حتى يرزق النصر، بخلاف من يذهب للنصر والغنيمة، فإنه يتغير موقفه حين يقابل الموت، فيحدث نفسه بالهزيمة»^٣.

﴿ أَوْ ﴾ عاطفة جأت للتخيير والترديد.

﴿ يَغْلِبُ ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه معطوف على ﴿ يُقْتَلُ ﴾ وفاعله ضمير مستتر. أي: يفتح ويظفر. «فبين أن أمر المقاتل في سبيل الله [لا] ينتهي [إلا] إلى إحدى عاقبتين محمودتين: أن يُقتل في سبيل الله أو يغلب عدو الله»^٤.

﴿ فَكُلُّ ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿ سَوْفَ ﴾ حرف استقبال.

١. التبيان ٣/ ٢٥٧.

٢. الميزان ٤/ ٤١٩.

٣. مواهب الرحمن ٩/ ٢٨.

٤. الميزان ٤/ ٤١٨.

﴿نُؤْتِيهِ﴾ فعل مضارع فاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به أول. التفات لا يخفى وجهه فيبين الله أن للمقاتل على أي حالين من الاستشهاد أو الظفر أجر عظيم يعطيه الله تبارك وتعالى.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان.

﴿عَظِيمًا﴾ نعته. «والأجر العظيم هو أعلى أثمان العمل. وذلك أن ثمن العمل على ثلاثة أوجه. ثمن أعلى، وثمر أدنى، وثمر أوسط بينهما فالله تعالى يثامن عليه بالثمن الأعظم الأعلى، فلذلك حسن وصف الأجر بالعظم من غير تقييد له، إذ كان لا ثمن أعظم مما يثامن الله عليه في ذلك العمل»^١.

قال الفقيه السبزواري: «وفي الآية الشريفة توجيه تربوي متين، فإن الله تعالى لما خاطب الجميع بما فيهم الضعفاء والأقوياء، ثم وصف أفعال الضعفاء وتمنياتهم وحكى أقوالهم، دون أن يشير إلى أعيانهم لما في ذلك من أثر نفسي كبير - كما عرفت - ثم أهملهم في هذه الآيات ليرجعوا إلى أنفسهم فيشعروا بالإثم، ويظهروا نفوسهم من الذنب العظيم، ذنب التبطي عن القتال والعودة عنه، ثم وجه الخطاب إلى المومنين ووصفهم بصفات المسلم بالآخرة. وهذا التحول في الخطاب من أهم السبل التربوية لتحوّل المذنب عن موقفه إلى الموقف المطلوب»^٢.

الروايات

صحیحة عمر بن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخیر کلّه فی السیف وتحت ظلّ السیف ولا یقیم الناس إلاّ السیف والسیوف مقالید الجنّة والنار.^٣

ونحوها صحیحة معمر بن خلاد.^٤

معتبرة السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للجنة باب

١. التبيان ٣/ ٢٥٨.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٢٧.

٣. الكافي ٩/ ٣٥٥، ح ١ (٢/٥).

٤. الكافي ٩/ ٣٦٩، ح ١٥ (٨/٥).

يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، ثم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذللاً وفقراً في معيشتة ومحقاً في دينه، إن الله ﷻ أغنى أممي بسنابك خيلها ومراكز رماحها. ١
ومعتبرة أخرى له قال: قال رسول الله ﷺ: خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة وإن أردية الغزاة لسيفهم.

وقال النبي ﷺ: أخبرني جبرئيل ﷺ بأمر قرأت به عيني وفرح به قلبي قال: يا محمد غزا من أمتك في سبيل الله فأصابه قطرة من السماء أو صداع كتب الله ﷻ له شهادة. ٢

ورواها أبو البختري أيضاً. ٣.

وجاء بسند صحيح عن الحسن بن محبوب الثقة عن بعض أصحابه قال: كتب أبو جعفر ﷺ في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية: ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله ﷻ على الأعمال وفضل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة لأنه ظهر به الدين وبه يدفع عن الدين وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله ﷻ من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد وإلى ولاية الله من ولاية العباد، فمن دعي إلى الجزية فأبى قتل وسبي أهله، وليس الدعاء من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثله ومن أقر بالجزية لم يتعد عليه ولم تخفر ذمته وكلف دون طاقته وكان الفيء للمسلمين عامة غير خاصة وإن كان قتال وسبي سير في ذلك بسيرته وعمل في ذلك بسنته من الدين، ثم كلف الأعمى والأعرج الذين لا يجدون ما ينفقون على الجهاد بعد عذر الله ﷻ إياهم ويكلف الذين يطيقون ما لا يطيقون وإنما كانوا أهل مصر يقاتلون من يليه يعدل بينهم في البعوث، فذهب ذلك كله حتى عاد الناس رجلين أجير مؤتجر بعد بيع الله ومستأجر صاحبه غارم وبعد عذر الله وذهب الحج فضيع

١. الكافي ٩/٣٥٦، ح ٢ (٢/٥).

٢. الكافي ٩/٣٥٧، ح ٣ (٣/٥).

٣. الكافي ٩/٣٦٧، ح ٨ (٨/٥).

وافتقر الناس فمن أعوج ممن عوج هذا ومن أقوم ممن أقام هذا فردّ الجهاد على العباد وزاد الجهاد على العباد، إنّ ذلك خطأ عظيم.١

خبر أبي عبدالرحمن السُّلَمِيِّ قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أمّا بعد فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحة الله لخاصّة أوليائه وسوَّغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التّقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه ثوب الذُّلّ وشمله البلاء وفارق الرِّضا ودَيْث بالصَّغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد وأدبيل الحقُّ منه بتضييع الجهاد وسئم الخسف ومنع النِّصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قومٌ قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتحاذلتم حتّى سنّت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان هذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقتلها ورعاها ما تمنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق له دمٌ فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي به جديراً، فياعجباً عجباً والله يميث القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرُّقكم عن حقّكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيام الحرّ قلت: هذه حمارة القيظ أمهلنا حتّى يسبّخ عنّا الحرّ وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشتاء قلت: هذه صبارة القرّ أمهلنا حتّى ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تقرُّون فأنتم والله من السّيف أفرّ.

يا أشباه الرّجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً وأعقبت ذمّاً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحتتم صدري غيظاً وجرّعتُموني نُعب التهام أنفاساً وأفسدتُم عليّ رأيي

بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرّفت على الستين ولكن، لا رأي لمن لا يطاع. ١.

والروايات في هذا المجال كثيرة فإن شئت راجع أول كتاب الجهاد من كتب الأخبار وأيضاً موسوعي^٢.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾

«هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وهاجر معه من استطاع من المسلمين، وبقي فيها من عجز عن الهجرة، وفيهم رجال ونساء وأطفال، وكانوا يلتقون من المشركين أذى شديداً من أجل دينهم، ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، ولا يجدون معيناً، ومن أجل هذا وصفهم سبحانه بالمستضعفين، ولما نقطعت بهم الأسباب لجأوا إلى الله، وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.

وقد جعل الله من محنة المستضعفين سبيلاً لحث المسلمين على الجهاد لخلاص خوانهم في الدين.

وبقي جماعة من المستضعفين بمكة إلى عام الفتح، حيث دخل الرسول المسجد الحرام منتصراً، واستسلم صنديد الشرك، وتحطمت الأصنام، وعلت كلمة الإسلام، ومن الله على الذين استضعفوا في مكة، وصاروا أعزّ أهلها^٣.

١. الكافي ٩/ ٣٦٠، ح ٦ (٤/٥).

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٥/ ٤٣٢.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٣٧٩.

«وحكى أبو علي أن منهم: سلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، وعيَّاش بن أبي ربيعة وأبوجندل بن سهيل»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَا﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر، ومعنى قوله ﷺ ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي شيء لكم! ولماذا لا تسعون في خلاصهم؟

﴿لَا تُقَاتِلُون﴾ فعل مضارع منفي بـ﴿لَا﴾ نافية. وفاعله. والجمله الفعلية في موضع الحال «كأنه قال: أي شيء لكم تاركين، أي في حال ترك القتال مع هذه الأمور التي تقتضي الحرص على الجهاد، أي لا عذر لكم ألا تقاتلوا في سبيل الله، ومثله قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾^٢.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿لَا تُقَاتِلُون﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بحذف مضاف وتقديره: وفي خلاص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عن الكفار أو على موضع لفظ الجلالة^٣ يعني أن جهادكم في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين من رجالكم ونسائكم وولدانكم. قال الشيخ: «قيل في معناه قولان:

أحدهما: وعن المستضعفين، فوق (في) موقع (عن) فإذا ذكرت (عن) فلصرف الأذى عنهم إذ كانت لما عدا الشيء وإذا ذكرت (في) فلأن القتال مضمن بهم، لخلاصهم، إذا كانت في اللوعاء.

الثاني: ان يكون على محذوف، وتقديره وفي اعزاز المستضعفين، وقد قال المبرد: هو عطف على اسم الله بتقدير، وسبيل ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ^٤.

١. التبيان ٣/ ٢٥٩.

٢. سورة المدثر / ٤٩.

٣. ذهب إلى الثاني العلامة الطباطبائي في الميزان ٤/ ٤١٩.

٤. التبيان ٣/ ٢٥٨.

وقال العلامة الطباطبائي: «والآية تشمل على حث وتحريض آخر على القتال في لفظ الاستفهام بتذكير أن قتالكم قتال في سبيل الله سبحانه، وهو الذي لا بغية لكم في حياتكم السعيدة إلا رضوانه، ولا سعادة أسعد من قربه، وفي سبيل المستضعفين من رجالكم ونسائكم وولدانكم.

ففي الآية استنهاض وتهيج لكافة المؤمنين وإغراء لهم: أما المؤمنون خالصوا الإيمان وظاهروا القلوب فيكفيهم ذكر الله جل ذكره في أن يقوموا على الحق ويلبوا نداء ربهم ويحيوا داعيه، وأما من دونهم من المؤمنين فإن لم يكفهم ذلك فليكفهم أن قتالهم هذا على أنه قتال في سبيل الله قتال في سبيل من استضعفه الكفار من رجالهم ونسائهم وذراريهم فليغيروا لهم وليتعصبوا»^١.

﴿ مِنْ ﴾ حرف جر بياني.

﴿ الرَّجَالِ ﴾ مجروره. والجار والمجرور متعلقان بحال محذوفة من ﴿ الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ بتقدير: في حال كونهم من الرجال.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ الْيَسَاءِ ﴾ معطوف على ﴿ الرَّجَالِ ﴾. ﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ الْوَالِدَانِ ﴾ معطوف على ﴿ الرَّجَالِ ﴾. ﴿ الْوَالِدَانِ ﴾ جمع ولد على مثال خرب وخربان، وبرق وبرقان، وورل وورلان، مثل ولد وولدان، وهو من أبنية الكثير، والأغلب على بابه فعال نحو جبال وجمال»^٢.

«وإن كان فيهم الولدان لا ينطقون تغليبا للأكثر، كقولك قال أهل البصرة، وإن كان قولاً لبعضهم»^٣.

﴿ الَّذِينَ ﴾ اسم موصول في محل جر صفة لـ ﴿ الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ وعطف بيان لهم. ويمكن أن يكون في محل نصب مفعول به لفعل مقدر نحو: أخصّ.

﴿ يَقُولُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. وما بعدها مقالتهم بالقول والدعاء أو الفعل والحال، أو مقالة بعضهم كما مرّ.

١. الميزان ٤/٤١٩.

٢. التبيان ٣/٢٥٩.

٣. التبيان ٣/٢٥٩.

﴿رَبَّنَا﴾ اسم منادى بأداة نداء محذوفة للتعظيم والإجلال. ينادون ربهم فهم المؤمنون وليسوا كافرين.

﴿أَخْرَجْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به، في مقام الدعاء.
﴿مِنْ هَذِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَخْرَجْنَا﴾. و﴿هَذِهِ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر.

﴿الْقَرْيَةِ﴾ بدل من اسم إشارة ﴿هَذِهِ﴾. والعرب يسمون كل مدينة قرية، والمراد بها مكة كما «قال ابن عباس والحسن وابن أبي نجيح، والسدي ومجاهد وابن زيد: إنها مكة، لأن أهل مكة كانوا قد اجتهدوا أن يفتنوا قوماً من المؤمنين عن دينهم، والأذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم»^١.

﴿الظَّالِمِ﴾ نعت لـ﴿الْقَرْيَةِ﴾ وجاز توصيف المؤنث المجازي بالمذكر.
﴿أَهْلُهَا﴾ فاعل ومضاف إليه. لأنَّ وصف ﴿الظَّالِمِ﴾ هنا عامل عمل الفعل فيلحظ في تذكيره وتأنيثه الاسم المعمول له. و﴿أَهْلُهَا﴾ مذكر لا مؤنث. ووصف أهل القرية بالظلم لأنهم المشركون دون القرية لأن مكة مكرمة مقدسة.
﴿وَأَجْعَلْ﴾ عاطفة. ﴿أَجْعَلْ﴾ معطوفة على ﴿أَخْرَجْنَا﴾.
﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَجْعَلْ﴾.

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. لدن اسم مبني على السكون في محل جر. الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَجْعَلْ﴾ أو بحال مقدمة من ﴿وَلِيًّا﴾.
﴿وَلِيًّا﴾ مفعول به. «والولي القيم بالأمر حتى يستنقذهم من أمر أعدائهم، لأنه يتول الأمر بنفسه، ولا يكله إلى غيره»^٢.

﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ تعرب إعراب ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾. والنصير: الناصر، أي ينصرنا على من ظلمنا.

الروايات

في معتبرة سعيد بن المسيّب على علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال في حديث: وقد

١. التبيان ٣/٢٥٩.

٢. التبيان ٣/٢٥٩.

كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة فلما فقد
هما رسول الله ﷺ سئم المقام بمكة ودخله حزنٌ شديدٌ وأشفق على نفسه من كفار
قريش فشكا إلى جبرئيل عليه السلام ذلك، فأوحى الله ﷻ إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها
وهاجر إلى المدينة، الحديث. ١.

رواها العياشي في تفسيره ٢ مرسلًا، والمتفق عليه في التاريخ أن أبا طالب وخديجة توفيا في سنة
واحدة وهي سنة العاشرة بعد بعثة الرسول الأعظم ﷺ.

عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوَالِدِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ إلى: ﴿نَصِيرًا﴾ قال:
نحن أولئك. ٣.

رواها ابن شهر آشوب في مناقبه ٤.

عن سماعه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المستضعفين؟ قال: هم أهل الولاية.
قلت: أي ولاية تعني؟ قال: ليست ولاية، ولكنها في المناكحة والموارث
والمخالطة، وهم ليسوا بالمؤمنين ولا الكفار، ومنهم المُرَجُونَ لأمر الله، فأما قوله:
﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ... الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ فأولئك نحن. ٥.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

«بيان لحقيقة من الحقائق الإيمانية، وهي في نفس الوقت توجيه للمؤمنين بأن
قاتلهم لا بد [أن] لا يكون لغرض دنيوي، بل يكون دائماً في سبيل الله تعالى والتقرب

١. الكافي ١٥/٧٥٤، ح ٥٣٦ (١/٣٤٠).

٢. تفسير العياشي ١/٤١٨، ح ١٩٤.

٣. تفسير العياشي ١/٤١٨، ح ١٩٥.

٤. المناقب ٢/٢٣٧.

٥. تفسير العياشي ١/٤١٨، ح ١٩٦.

إليه ﷺ، وقياس بين الطائفتين المؤمنة التي لا تقاتل إلا في سبيل الله، والكافرة التي ليس لهم أي غرض سوى الأغراض الدنيوية الوهمية، فيعلم شرف الطائفة الأولى على الثانية؛ لأن سبيل الله يوصل لا محالة إلى الله تعالى، بخلاف سبيل الكفار التي لا توصلهم إلا إلى الهلاك والبوار»^١.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وهم «المؤمنون من أصحاب النبي ﷺ» كما ورد في تفسير القمي^٢، وغيرهم.

﴿يُقَاتِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله يدل على استمرار القتال والنضال، خبر، وصدقوا إيمانهم بالله ورسوله بالقتال في سبيل الله.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلق بـ﴿يُقَاتِلُونَ﴾.

قال الشيخ: «وفي معنى ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: طاعة الله، لأنها تؤدي إلى ثواب الله في جنته التي أعدّها لأوليائه.

الثاني: قال أبو علي: إنه دين الله الذي شرعه الذي يؤدي إلى ثوابه ورحمته.

وتقديره في نصره دين الله.

نعم، يمكن اختلاف دواعي «المؤمنين في القتال:

فتارة: يريدون من القتال الدفاع عن الحق.

وأخرى: دفع عدوان الكافرين.

وثالثة: لاستنقاذ المستضعفين.

ورابعة: لإزالة القوى التي تقف في سبيل الدعوة والحق.

وغير ذلك مما هو كثير، فإنها جميعاً من وجوه سبيل الله ومصاديقه، بل لا تحقق

له إلا بذلك»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. مواهب الرحمن ٩ / ٣١.

٢. تفسير القمي ١ / ٢١٠.

٣. مواهب الرحمن ٩ / ٣١.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «يعني الذين جحدوا آيات الله على توحيد، ونبوة نبيه»^١. «وهم مشركو قريش يقاتلون على الأصنام» كما في تفسير القمي^٢، وغيرهم.

﴿يُقَاتِلُونَ﴾ وَأَصْرُوا عَلَى كَفْرِهِمْ بِالْقِتَالِ وَالْحَرْبِ.

﴿فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ﴾ وقد مرّ تفسيره. والطاغوت: فعلوت من الطغيان للمبالغة فيه قلب كما لا يخفى. وهو كل ما عُبد من دون الله، ولعلّ المراد به هنا «الشیطان» بقريته ما بعدها.

﴿فَ﴾ استثنائية، أو تفرعية على الإيذان الحقيقي.

﴿فَاتِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول به.

﴿الشَّيْطَانِ﴾ مضاف إليه. لأن الذين كفروا وقاتلوا في سبيل الطاغوت فهم خارجون عن ولاية الله فيدخلون في ولاية الشيطان فهم اوليائه.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد.

﴿كَيْدَ﴾ اسمه. «الكيد: السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاده يكيده كيداً، فهو كائد له. إذا عمل في إيقاع الضرر به على وجه الحيلة عليه»^٣.

﴿الشَّيْطَانِ﴾ مضاف إليه.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر فيه «هو». «إنما دخلت ﴿كَانَ﴾ هاهنا مؤكدة لتدل على أنّ الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الاوقات فيما مضى، والحال، والمستقبل. وليس هو عارضاً في حال دون حال»^٤.

﴿ضَعِيفًا﴾ خبر كان. والجملة الفعلية ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

قال الشيخ: «وإنما وصف تعالى كيد الشيطان، بالضعف لأمرين: أحدهما: لضعف نصرته، لأوليائه بالإضافة إلى نصره الله المؤمنين - ذكره الجبائي - وقال الحسن: أخبرهم سيظهرون عليهم، فلذلك كان ضعيفاً.

١. التبيان ٣/ ٢٦٠.

٢. تفسير القمي ١/ ٢١٠.

٣. التبيان ٣/ ٢٦٠.

٤. التبيان ٣/ ٢٦٠.

الثاني: لضعف دواعي أوليائه إلى القتال بأثمة من جهة الباطل إذ لا نصير لهم. وإثما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة. والمؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة»^١. وقال في الميزان: «وإنما استضعف كيد الشيطان لأنه سبيل الطاغوت الذي يقابل سبيل الله، والقوة لله جميعاً فلا يبقى لسبيل الطاغوت الذي هو مكيدة الشيطان إلا الضعف، ولذلك حرض المؤمنين عليهم ببيان ضعف سبيلهم، وشجعهم على قتالهم، ولا ينافي ضعف كيد الشيطان بالنسبة إلى سبيل الله قوته بالنسبة إلى من اتبع هواه، وهو ظاهر»^٢.

وفي مواهب الرحمن: «ولمثل هذه الجملة أثر نفسي كبير في نفوس المؤمنين الذين يريدون القتال في سبيل الحق، وهم يدعونون بأثمهم أقوياء لا يغلبهم الباطل، فتطمئن نفوسهم بالغلبة والنصر مهما كان في جانب الباطل من القوة في العدد والعدة»^٣.

رواية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: عِبَادَ اللَّهِ، وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثَوِيَاءَ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُفْتَضُونَ: أَجَلٌ مَنقُوضٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ، قَرَبٌ دَائِبٌ؛ مُضْبَعٌ، وَرَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ. قَدْ أَصَبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزِدَادُ الْخَيْرَ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَالشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالَ، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاقِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا، فَهَذَا أَوْانٌ قَوِيَّتْ عِدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَّتْ فَرِيستُهُ. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا!

أَيْنَ خِيَارِكُمْ وَصَلِحَاؤِكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارِكُمْ وَسَمَحَاؤِكُمْ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ! أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعْنَا جَمِيعًا عَن هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ،

١. التبيان ٣/ ٢٦٠.

٢. الميزان ٤/ ٤٢١.

٣. مواهب الرحمن ٩/ ٣٣.

٤. مداوم في العمل.

٥. تلاش گر دنيائي.

وَالْعَاجِلَةَ الْمُنْغَصَةَ، وَهَلْ خُلِفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتَضْعَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ؟ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُعَيَّرٍ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ! لَا يُجْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ. ١.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَآلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

«قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والسُّدِّي: أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ قال ابن عباس: منهم عبدالرحمن بن عوف، وهم بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم: فلما كتب عليهم القتال، وهم بالمدينة قال فريق منهم ما حكاه الله في الآية.

فإن قيل: كيف يجوز: ذلك، والله تعالى يقول: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولم تكن الزكاة فرضت بمكة؟ قيل: قد قال البلخي في ذلك: إنه يجوز أن يكون قوم من المنافقين عرضوا على رسول الله ﷺ ذلك والأقوى عندي أن يكون الله قال ذلك على وجه الندب، والاستحباب دون الزكاة المقدره على وجه مخصوص.

الثاني: قال مجاهد: نزلت في اليهود. نهى الله هذه الأمة أن يصنعوا مثل

صنيعهم»^١.

بل الآية الشريفة تدلّ «على أنّ المؤمنين كانوا في ابتداء أمرهم يشقّ عليهم ما يشاهدونه من تعدّي الكفّار وبغيهم عليهم فيصعب عليهم أن يصبروا على ذلك ولا يقابلوه بسلّ السيوف فأمرهم الله بالكفّ عن ذلك، وإقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة ليشتدّ عظم الدين ويقوم صلبه فيأذن الله لهم في جهاد أعدائه، ولو لا ذلك لانفسخ هيكل الدين، وانهدمت أركانه، وتلاشت أجزاؤه.

ففي الآيات لومهم على أنّهم هم الذين كانوا يستعجلون في قتال الكفار، ولا يصبرون على الإمساك وتحمل الأذى حين لم يكن لهم من العدة والقوة ما يكفيهم للقاء عدوّهم فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون العدو وهم ناس مثلهم كخشية الله أو أشد خشية»^٢.

﴿أَ﴾ استفهام تعجّبيّ. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَرَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت». أي «﴿أَلَمْ﴾ ينته علمك إلى هؤلاء تعجبياً من ذلك»^٣.

﴿إِلَى﴾ حرف جر، قال الشيخ: «ولو قال: ألم تر هؤلاء أو ألم تعلم هؤلاء لم يظهر فيه معنى التعجب منهم كما يظهر بـ﴿إِلَى﴾، لأنها تُؤدّن بحال بعيدة قد لا ينتهي إليها، لبعدها، لما فيها من العجب الذي يقع بها»^٤.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر.

﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. «يعني: حين طلبوا القتال و﴿قِيلَ هُمْ﴾»^٥.

﴿هَمْ﴾ جار ومجرور. ﴿كُفُّوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿أَيْدِيكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الجملة ﴿كُفُّوا أَيْدِيكُمْ﴾ في محل رفع نائب

١. التبيان ٣/٢٦١.

٢. الميزان ٥/٦.

٣. التبيان ٣/٢٦٢.

٤. التبيان ٣/٢٦٢.

٥. التبيان ٣/٢٦٢.

فاعل ﴿قِيلَ﴾. «كف الأيدي كناية عن الإمساك عن القتال لكون القتل الذي يقع فيه من عمل الأيدي»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَقِيمُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَاتُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿الزَّكَاةَ﴾ مفعول به. وقد مرّ كلام الشيخ في وجه ايتاء الزكاة في أول الآية.

﴿فَ﴾ استثنائية أو تفرعية.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية.

﴿كُنِبَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كُنِبَ﴾.

﴿الْقِتَالُ﴾ نائب فاعل ﴿كُنِبَ﴾. أي: الجهاد.

﴿إِذَا﴾ حرف المفاجأة، سدّ مسدّ جواب ﴿لَمَّا﴾. ﴿فَرِيقٌ﴾ مبتدأ، يعني: جماعة.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿فَرِيقٌ﴾. والضمير يرجع إلى

الذين ﴿كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾.

﴿تَخَشَّوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. والخشية هي حالتهم النفسية وهذه الحالة

للمنافقين أو الضعفاء من المؤمنين.

﴿النَّاسِ﴾ مفعول به. والمراد به هاهنا الكفار وهم يخشون القتل من قبلهم بأنهم

يقتلونهم.

﴿كَ﴾ اسم بمعنى «مثل» في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في ﴿تَخَشَّوْنَ﴾

أي ﴿تَخَشَّوْنَ النَّاسَ﴾ مثل أهل خشية الله. أو ﴿كَ﴾ في محل نصب صفة لمفعول مطلق

- مصدر - محذوف تقديره: ﴿تَخَشَّوْنَ النَّاسَ﴾ خشية مثل ﴿خَشِيَةَ اللَّهِ﴾.

﴿خَشِيَةَ﴾ مضاف إليه. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. وليس معناها «الشك لأن ذلك لا يجوز عليه تعالى. وقيل في

معناها قولان:

أحدهما: أنها دخلت للابهام على المخاطب. والمعنى أنهم على إحدى الصفتين.

وهذا أصل ﴿أَوْ﴾ وهو معنى واحد على الإبهام.

الثاني: على طريق الإباحة نحو قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. ومعناه: إن قلت يخشون النَّاس كخشية الله فأنت مصيب، وإن قلت: يخشونهم أشد من ذلك فأنت مصيب لأنه قد حصل لهم مثل تلك الخشية وزيادة»^١.

﴿أَشَدَّ﴾ معطوف على ﴿كَ﴾. ﴿حَشِيَّةٌ﴾ تمييز أو حال.

﴿وَ﴾ عاطفة على جواب ﴿لَمَّا﴾ يعني عطف على قوله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾. أو

استثنائية.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿قَالُوا﴾ بلسان الحال أو المقال.

﴿رَبَّنَا﴾ منادى منصوب بأداة نداء محذوفة، ومضاف إليه.

﴿لِمَ﴾ مركب من ﴿لِ﴾ حرف جر و «ما» اسم استفهام في محل جر وسقطت

الألف من اسم استفهام «ما» لأنه جر بحرف جر ﴿لِ﴾.

﴿كَتَبْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي: ألزمتنا وأوجبت ﴿عَلَيْنَا﴾.

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَتَبْتَ﴾. ﴿الْقِتَالِ﴾ مفعول به.

﴿لَوْلَا﴾ حرف عرض لا عمل له. العرض: هو طلب بلين وتأدب. أو بمعنى

«هلاً»، وهي حرف تضيض ولكونها قد دخلت على فعل ماضٍ فإنها تفيد التنديم.^٢

﴿أَخَّرْتَنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخَّرْتَنَا﴾.

﴿قَرِيبٍ﴾ نعت. «وتوصيف الأجل الذي هو أجل الموت حتف الأنف بالقرب

ليس المراد به أن يسألوا التخلص عن القتل، والعيش زماناً يسيراً بل ذلك تلويح منهم

بأنهم لو عاشوا من غير قتل حتى يموتوا حتف أنفهم لم يكن ذلك إلا عيشاً يسيراً

وأجلاً قريباً فما لله - سبحانه - لا يرضى لهم أن يعيشوا هذه العيشة اليسيرة حتى

يبتليهم بالقتل، ويعجل لهم الموت؟ وهذا الكلام صادر منهم لتعلق نفوسهم بهذه

الحياة الدنيا التي هي في تعليم القرآن متاع قليل يتمتع به ثم ينقضي سريعاً ويعفى أثره،

١. التبيان ٣/٢٦٢.

٢. إعراب القرآن الكريم ٢/٣٩٩.

ودونه الحياة الآخرة التي هي الحياة الباقية الحقيقية فهي خير، ولذلك أجيب عنهم بقوله ﴿قُلْ﴾ ١.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ . «أمر النبي ﷺ أن يجيب هؤلاء الضعفاء بما يوضح لهم خطأ رأيهم في ترجيح العيش الدنيوي اليسير على كرامة الجهاد والقتل في سبيل الله تعالى، ومحصله أنهم ينبغي أن يكونوا متقين في إيمانهم، والحياة الدنيا هي متاع يتمتع به قليل إذا قيس إلى الآخرة، والآخرة خير لمن اتقى فينبغي لهم أن يختاروا الآخرة التي هي خير على متاع الدنيا القليل لأنهم مؤمنون وعلى صراط التقوى، ولا يبقى لهم إلا أن يخافوا أن يحيف الله عليهم ويظلمهم فيختاروا لذلك ما بأيديهم من المتاع على ما يوعدون من الخير، وليس لهم ذلك فإن الله لا يظلمهم فتيلاً» ٢.

﴿مَتَّعٌ﴾ مبتدأ. ﴿الدُّنْيَا﴾ مضاف إليه.

﴿قَلِيلٌ﴾ خبره. والجملة ﴿مَتَّعٌ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿قَلِيلٌ﴾ لأنه لا يبقى.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْآخِرَةُ﴾ معطوفة على ﴿مَتَّعٌ﴾. مبتدأ.

﴿حَيْرٌ﴾ خبره. فـ ﴿الْآخِرَةُ حَيْرٌ﴾ من جميع الجهات ومن كل ما يخطر بالبال، بل

هي الخير.

﴿جِرٌ﴾ حرف جر.

﴿مِنْ﴾ اسم موصول في محل جرّ. جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَيْرٌ﴾.

﴿اتَّقَى﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر. ﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿لَا تُظَلِّمُونَ﴾ فعل مضارع منفي مبني للمجهول والضمير نائب فاعله. أي:

لا تبخسون.

﴿فَتِيلًا﴾ تمييز. وهو ما يكون في شق نواة التمر لأنه كالخيط المفتول فيه، أو ما

يفتل بالأصابع من الوسخ ثم يلقى.

١. الميزان ٥/٦.

٢. الميزان ٥/٧.

الروايات

صحيحة عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ قال: يعني كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ. ١

روى نحوها العياشي في تفسيره. ٢.

في خبر الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: ... يا فضيل أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا ألسنتكم وتدخلوا الجنة، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أنتم والله أهل هذه الآية. ٣.

خبر محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس والله لقد نزلت هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ إنما هي طاعة الإمام وطلبوا القتال فلما كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام قالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام. ٤.

الرواية حسنة الإسناد إن كان في سندها الصباح بن عبد الحميد الأزرق بدلاً من أبي الصباح بن عبد الحميد المهمل. ورواه العياشي في تفسيره. ٥.

عن إدريس مولى لعبد الله بن جعفر، عن أبي عبد الله عليه السلام، في تفسير هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ مع الحسن عليه السلام ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى خروج القائم عليه السلام، فإنَّ معه النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، قال الله تعالى ﴿قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الآية. ٦.

١. الكافي ٣/٢٩٦، ح ٨ (١١٤/٢).

٢. تفسير العياشي ١/٤١٩، ح ١٩٩.

٣. الكافي ١٥/٦٥٣، ح ٤٣٤ (٢٨٩/٨).


٤. الكافي ١٥/٧٣٢، ح ٥٠٦ (٣٣٠/٨).

٥. تفسير العياشي ١/٤١٩، ح ١٩٨.

٦. تفسير العياشي ١/٤١٩، ح ١٩٧.

الحسن بن زياد العطار، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، قال: نزلت في الحسن بن علي عليه السلام، أمره الله بالكف ﴿فَأَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ قال: نزلت في الحسين بن علي، كتب الله عليه وعلى أهل الأرض أن يُقاتلوا معه. ١.

علي بن أسباط، يرفعه عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لو قاتل معه أهل الأرض، لَقَاتِلُوا كُلَّهُمْ. ٢.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَتُّؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ 

بيان لحقيقة غفل عنها الإنسان أو تغافل وهي الموت وتذكير بأنه حتم مؤجل لا مفر منه ولا مهرب عنه ولو كانوا في القلاع المستحكمة والحوائط الرفيعة والبيوت المغلقة والقصور العظيمة، فإذا لم يمكن الفرار من الموت فلماذا يفرون من الجهاد والقتال؟! ويرضون بالحياة الدنيا القليلة من الحياة الآخرة التي ﴿لَهُبِ الْحَيَاةُ﴾ ٣، وقد مرّ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ ٤. ﴿أَيْنَمَا﴾ ظرف مكان تدلّ على استغراق الأمكنة ومحلّها النصب بفعل الشرط ولأتمّها بمعنى «إن» الشرطية.

﴿تَكُونُوا﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وفاعله. أي ﴿أَيْنَمَا﴾ حللتهم.
﴿يُدْرِكَكُمُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه جواب الشرط والضمير مفعول به مقدم.
﴿الْمَوْتُ﴾ فاعله. ﴿و﴾ حالية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

١. تفسير العياشي ١/ ٤٢٠، ح ٢٠٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٢٠، ح ٢٠١.

٣. سورة العنكبوت / ٦٤.

٤. سورة آل عمران / ١٤٥.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص والضمير اسمه. وجوابه محذوف لتقدم معناه وتقديره: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ فالموت ﴿يُدْرِكُكُمْ﴾ ويأتيكم. لأنَّ أجل الله لآت. ﴿فِي بُرُوجٍ﴾ جار ومجرور في محل نصب لأتتها قامة مقام خبر كان. أصل البرج: التبرج وهو الظهور ويقال: تبرجت المرأة: إذا أظهرت محاسنها. ومعنى البرج واضح وهو بناء مرتفع مستحکم حصين.

﴿مُشِيدَةٍ﴾ نعت لـ ﴿بُرُوجٍ﴾. والشيد: رفع البناء، تقول: شاد بناءً يشيده شيداً: إذا رفعه. ويجوز أشاد الرجل بناءً. فأما بالذكر فتقول: أشاد بذكره لا غير، إذا رفع منه.

﴿وَ﴾ استئنافية وما بعدها من هفوات الفارين من القتال والجهاد وهم ضعفاء الإيمان أو المنافقين، نقلها الله عنهم وأجابهم.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُصِيبُهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط والضمير مفعول به مقدم.

﴿حَسَنَةٌ﴾ فاعله، والمراد بها هنا الفتحة والظفر والغنيمة وكل ما يعدّ حسن ونفع وخير.

﴿يَقُولُوا﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الشرط وفاعله. ﴿هَذِهِ﴾ مبتدأ.

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر. والجملة ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ في محل نصب مقول القول.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ فعل الشرط.

﴿سَيِّئَةٌ﴾ فاعله والمراد بها هنا القتل والجرح والبلاء والهزيمة وكل ما يعده سوء أو مكروه أو شر.

﴿يَقُولُوا﴾ جواب الشرط.

﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ مرّ اعرابها. والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ تطيراً به ﷺ كما حكى الله ذلك عن اليهود بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ

اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^١. أو إعلاماً وإظهاراً بضعف قيادة الرسول ﷺ بالتداعي.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ . أمره الله بإجابتهم وردّ على مقالته الكاسدة.

﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ. ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، خبر.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفرعية. ﴿مَا﴾ استفهام تعجبي إنكاري في محل رفع مبتدأ.

﴿لِ﴾ حرف جر. ﴿هَتُوْلَاءِ﴾ اسم إشارة في محل جرّ. جار ومجرور خبر.

﴿الْقَوْمِ﴾ بدل من اسم الإشارة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَكَادُونَ﴾ فعل مضارع ناقص والضمير المتصل اسمه. والجملة ﴿لَا يَكَادُونَ﴾

مع خبرها في محل نصب حال.

﴿يَفْقَهُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محلّ نصب خبر ﴿يَكَادُونَ﴾.

﴿حَدِيثًا﴾ مفعول به.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ

لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

في الآية الشريفة التفات بالنسبة إلى أصحاب المقالة الكاسدة الماضية في الآية السابقة إلى الرسول الأعظم ﷺ إسقاطاً لفهمهم وإعراضاً عنهم تنبيهاً لفساد مقالته.

والخطاب للرسول الأعظم ﷺ ولكن المراد به أمته أو جنس الانسان والبشر

بلا فرق بين ديانتهم واعتقادهم، والثاني أظهر مضافاً إلى ما ورد فيها من أنه ﷺ

مُرْسَلًا إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

﴿مَا﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ.

﴿أَصَابَكَ﴾ فعل ماضٍ في محل جزم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو» والضمير الخطاب مفعول به. ومرّ توجّه الخطاب إلى الرسول الأعظم ﷺ ولكنّه ليس هو ﷺ المقصود.

﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بحال محذوفة من الاسم الموصول ﴿مَّا﴾، و﴿مِنْ﴾ هنا بيانّي. تقديره: أي حال كونه ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾. والمراد به كلّ خير من العافية والنعمة والأمن والرفاهية والثروة والسعادة و... .
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ جارٍ ومجرور، والجملة الاسمية ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر ﴿مَّا﴾ الابتدائية.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ معطوفة على الجملة السابقة وتعرب إعرابها. والمراد بالسيئة كلّ شرٍّ من المرض والنقمة والخوف والمسكنة والفقر والشقاوة والذلّة والفتنة ونحوها.

«وتسأل: أن الله سبحانه أضاف في الآية الأولى كلاً من الحسنة والسيئة إلى نفسه، حيث قال: ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وفي الآية الثانية أضاف الحسنة إليه، والسيئة إلى العبد، فما هو وجه الجمع؟

الجواب: قدمنا أن المراد بالحسنة في الآية الأولى خير الطبيعة، وبالسيئة شرها، وأتت من ظواهر الطبيعة، وهي من صنع الله، فصحت نسبتها إليه تعالى بهذا الاعتبار. أما المراد بالحسنة في الآية الثانية فهو نجاح المرء في هذه الحياة ديناً ودنياً، والمراد بالسيئة فشله وخذلانه فيهما، وقد نسب الله سبحانه هذا النجاح المعبر عنه بالحسنة، نسبة إلى نفسه بالنظر إلى أنه تعالى قد زوّد الانسان بالصحة والإدراك، وأمره بالعمل من أجل سعاده في الدارين، فإن امتثل وعمل وبلغ النجاح نسب نجاحه إلى الله، لأنه هو الذي أقدره عليه، وزوده بأدواته، وبهذا اللحاظ قال تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾.

وأيضاً يجوز أن ينسب النجاح إلى الإنسان، لأنه أثر الجِد والعمل على الإهمال

والكسل... ولا دلالة في الآية على أن الإنسان لا تأثير له إطلاقاً في نجاحه، أما إذا أهمل وتكاسل، ولم يصل إلى شيء بسبب إهماله وتكاسله فلا ينسب فشله وحرمانه إلا إليه، لأنه هو الذي بلغ بنفسه هذا المبلغ بسوء ما اختار لها من الإهمال. وبهذا الاعتبار قال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. ولا يجوز أن يُنسب الفشل إلى الله بحال، لأنه جلّ وعلا قد أمر الإنسان بالعمل، وحثه عليه بعد أن زوّده بجميع الأدوات والمؤهلات»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعوله.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾. أو متعلق بـ ﴿رَسُولًا﴾.

﴿رَسُولًا﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ مؤكدة لعامله في اللفظ والمعنى. والمراد من التعليق التعميم نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾. «أي لا سمة لك من عندنا إلا أنك رسول وظيفتك البلاغ، وشأنك الرسالة لا شأن لك سواها وليس لك من الأمر شيء حتى تؤثر في ميمنة أو مشأمة، أو تجر إلى الناس السيئات، وتدفع عنهم الحسنات، وفيه رد تعريضي لقول أولئك المتطيرين في السيئات ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ تشاماً به ﷺ»^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماضٍ.

﴿بِ﴾ حرف جر زائد يدلّ على التأكيد. ﴿اللَّهِ﴾ مجرور في محل رفع لأنه فاعل.

﴿شَهِيدًا﴾ تمييز. على رسالته ﷺ. تأييد لجملة السابقة ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ

رَسُولًا﴾.

الروايات

قال القمي مرسلًا: عن الصادقين عليهما السلام أنهم قالوا: الحسنات في كتاب الله تعالى

على وجهين، والسيئات على وجهين:

فمن الحسنات التي ذكرها الله، الصحة والسلامة، والأمن، والسعة في الرزق، وقد سماها الله حسنات ﴿وَأِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ﴾، يعني بالسيئة هاهنا المرض، والخوف،

١. التفسير الكاشف ٢/ ٣٨٦ و ٣٨٧.

٢. الميزان ٩/ ٥.

٢٠٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

والجوع، والشدة وهو ما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾^١ أي يتشاءموا به.

والوجه الثاني: من الحسنات، يعني به أفعال العباد، وهو قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^٢ ومثله كثير. وهو ما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾^٣ وعقوبات الذنوب [ف]قد سماها الله السيئات.

والوجه الثاني: من السيئات يعني بها أفعال العباد التي يعاقبون عليها، وهو قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^٣.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾:

يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك، لأن السارق يقطع، والزاني يُجلد ويُرجم، والقاتل يُقتل، فقد سمى الله تعالى العلل، والخوف، والشدة، وعقوبات الذنوب كلها سيئات، فقال:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ بأعمالك. وقوله: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾

يعني الصحة، والعافية، والسعة، والسيئات التي هي عقوبات الذنوب من عند الله.

وفي رواية الحسن بن علي الوشاء، عن الرضا عليه السلام: وأنت أولى بسيئاتك مني،

عَمِلْتَ المعاصي بقوّتي التي جعلت فيك.

صحيحة البنزطي عن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: إن أصحابنا بعضهم يقولون

بالجبر وبعضهم بالاستطاعة، فقال لي: أكتب قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم بمشيئتي

كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي وبنعمتي قوّيت على

معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ وذلك أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك أنّي

١. سورة الأعراف / ١٣١.

٢. سورة الأنعام / ١٦٠.

٣. سورة النمل / ٩٠.

٤. تفسير القمي / ١ / ٢١١ و ٢١٢.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٤٢٠، ح ٢٠٣.

لا أسأل عما أفعل وهم يسألون؛ قد نظمت لك كل شيء تريد.^١
ونحوها في تفسير العياشي^٢ عن صفوان بن يحيى.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

بعد أن أمر الله بطاعة الرسول ﷺ في الآية ٥٩ من هذه السورة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ طَاعَتَهُ ﷺ وَطَاعَةَ أُولَى الْأَمْرِ وَهُمْ أَوْصِيَاءُ الْمُعْصُومِينَ طَاعَةَ اللَّهِ. «وإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَبِإِرَادَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ أَيْضًا طَاعَةَ لِلنَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ وَافَقَتْ إِرَادَتَهُ الْمُسْتَدْعِيَةَ لِلْفِعْلِ. فَأَمَّا الْأَمْرُ الْوَاحِدُ، فَلَا يَكُونُ مِنْ أَمْرَيْنِ كَمَا لَا يَكُونُ فِعْلٌ وَاحِدٌ مِنْ فَاعِلَيْنِ»^٣.

وبعبارة أخرى: «بعد أن أثبت ﷺ رسالته وأيدها بالشهادة، كان وجه الخطاب في هذه الآية الكريمة مع النَّاسِ لِإِعْلَامِهِمْ بِلِزُومِ طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَأَنَّهُ لَا عِذْرَ لَهُمْ فِي تَرْكِهَا، وَأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ يَبْلُغُ عَنِ رَبِّهِ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّاهِي، فَهُوَ الَّذِي يَطَاعُ فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَهُهُمْ عَالَمٌ بِصَالِحِهِمْ، فَالآيَةُ الْمُبَارَكَةُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْلِيلِ لِمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَتَشْبِيهُتِ لِمُضْمُونِهَا»^٤.

وبعبارة ثالثة: «وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر الحسنة التي هي نعمة من الله، بيَّن أنَّ مِنْهَا أَرْسَالَ نَبِيِّ اللَّهِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ مِنْهَا طَاعَةَ الرَّسُولِ الَّتِي هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ. فَهُوَ فِي ذِكْرِ نِعَمِ اللَّهِ مَجْمَلَةٌ، وَمُفْصَلَةٌ. وَفِيهَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَوَلَّى النَّاسِ عَنْهُ وَعَنْ

١. التوحيد / ٣٣٨، ح ٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٤٤، ح ٤٩.

٢. تفسير العياشي / ١ / ٤٢٠، ح ٢٠٢.

٣. التبيان / ٣ / ٢٦٧.

٤. مواهب الرحمن / ٩ / ٥٦.

الحقّ الذي جاء به، مع تضمّنها تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة الله^١.
﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. وجملنا فعل
الشرط وجوابه في محلّ رفع خبره.
﴿يُطِيعُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط. والكسرة الظاهرة لالتقاء
الساكنين، وحذفت ياؤه في «يطيع» تخفيفاً ولالتقاء الساكنين وفاعله ضمير مستتر
يرجع إلى ﴿مَنْ﴾.

﴿الرَّسُولَ﴾ مفعول به، والمراد به الرسول الأعظم ﷺ .
وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ﴾ من قبيل وضع الصفة موضع الموصوف
للإشعار بعلّة الحكم. ٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
﴿أَطَاعَ﴾ فعل ماضٍ مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر.
﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. والجملة ﴿قَدْ أَطَاعَ اللَّهُ﴾ في محلّ جزم لأنّه جواب الشرط.
«تأكيد وتثبيت لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ وبمنزلة
التعليل لحكمه، أي ما أنت إلا رسولاً منّا من يطعك بما أنت رسول فقد أطاع الله^٣.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ.
﴿تَوَلَّى﴾ فعل ماضٍ في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر يرجع
إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿تَوَلَّى﴾ أي أعرض ولم يطع.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿مَا﴾ نافية.
﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ فعل ماضٍ وضمير «نا» فاعله وضمير «ك» مفعول به. والجملة
الفعلية جواب الشرط في محلّ جزم.
﴿عَلَيْهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾
وأعرض عن طاعة الرسول ﷺ .

١. التبيان ٣/ ٢٦٨.

٢. كما في الميزان ٥/ ٩.

٣. الميزان ٥/ ٩.

﴿ حَفِيزًا ﴾ حال من الضمير «ك» في ﴿ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ .

والحفيظ صيغة مبالغة في الحفظ دون الحافظ لأن الأحكام الإلهية وطاعتها تحفظ الإنسان المؤمن بها عن ارتكاب المعاصي والسقوط في خذلان الدنيا والآخرة ونارهما .

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على أن الرسول لا يأمر بالخطأ، لأن الله تعالى جعل طاعته طاعة نفسه. والله لا يأمر بالخطأ بلا خلاف»^١.

تنبيه

وأما ما ورد من بعض العامة من أنه: «روي: عن النبي ﷺ: من أطاعني فقد أطاع الله - تعالى - ومن أحبني فقد أحب الله، فقالت اليهود: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه رباً وحناناً، كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية على وفاق قول الرسول»^٢.

فَمَرْدُودٌ جَمَلَةٌ وَتَفْصِيلاً وَرَوَايَةً بِمَا مَرَّ وَمَا سِيَأْتِي.

الروايات

حسنة أبي إسحاق النحوي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعتة يقول: إن الله ﷻ أدب نبيه على محبته فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^٣ ثم فوض إليه فقال ﷻ: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^٤ وقال ﷻ: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ قال: ثم قال وإن نبي الله فوض إلى علي وائتمنه فسلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله ﷻ، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا.^٥

١. التبيان ٣/ ٢٦٨.

٢. تفسير السمعي المتوفى عام ٤٨٩ هـ ١/ ٤٥١ تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة مدار الوطن للنشر، السعودية.

٣. سورة القلم / ٤.

٤. سورة الحشر / ٧.

٥. الكافي ١/ ٦٦٠، ح ١ (١/ ٢٦٥).

والسند المذكور في آخر الرواية في الكافي الشريف^١ صحيح ورواها العياشي في تفسيره^٢.
وفي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث: ذروة الأمر وسنانه
ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله ﷻ يقول:
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أما لو أن رجلاً
قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحجّ دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه
ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جلّ وعزّ حقّ في ثوابه ولا كان من
أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته^٣.
رواها العياشي في تفسيره^٤.

في خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين عليهم السلام أنه قال: ... ولا مصيبة عظمت ولا رزية
جلّت كالمصيبة برسول الله ﷺ لأنّ الله ختم به الإنذار والإعذار وقطع به
الاحتجاج والعدر بينه وبين خلقه وجعله بابه الذي بينه وبين عباده ومهيمنه الذي لا
يقبل إلا به ولا قربة إليه إلا بطاعته، وقال: في محكم كتابه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته فكان
ذلك دليلاً على ما فوض إليه وشاهداً له على من اتبعه ووعصاه وبين ذلك في غير
موضع من الكتاب العظيم، الخطبة^٥.

ويستفاد من الروايات أن طاعة أولى الأمر المعصومين عليهم السلام هي طاعة
الرسول ﷺ وطاعته ﷺ هي طاعة الله تعالى كما مرّ في أول الآية الشريفة.

١. الكافي ١/٦٦١، (١/٢٦٥).

٢. تفسير العياشي ١/٤٢١، ح ٢٠٥.

٣. الكافي ٣/٥٦، ح ٥ (٢/١٩).

٤. تفسير العياشي ١/٤٢٠، ح ٢٠٤.

٥. الكافي ١٥/٧٧ (٨/٢٦).

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
 وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٨١﴾

هذه الآية وما بعدها بيان لصفات المنافقين الذين يدخلون أنفسهم في مجتمع المؤمنين وليسوا منهم، خلافاً لصاحب الميزان^١ لأنه يراهم من ضعفاء المسلمين في الإيثار.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿يَقُولُونَ﴾ بالقول والفعل أي يظهرون بأنهم مطيعين.

﴿طَاعَةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمرنا أو شأننا طاعة، أو مبتدأ مؤخر وخبرها المقدم محذوف تقديره: منّا طاعة. والجملة بمحذوفها ومذكورها في محل نصب مفعول به لأنه مقول القول.

وجعل المصدر مكان اسم المفعول للمبالغة أي أنهم يظهرون كمال الانقياد ونهاية الطاعة للرسول ﷺ في حضرته ﷺ أو في حضور الناس وعلائيتهم.

﴿فَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرفية زمانية، متضمنة لمعنى الشرط، خافضة لشرطها متعلق بجوابها.

﴿بَرَزُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، البروز: الظهور والخروج.

﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلقان بالضمير الفاعلي في ﴿بَرَزُوا﴾.

﴿بَيَّتَ﴾ فعل ماضٍ، جواب شرط غير جازم. «التبييت من البيوتة ومعناه

إحكام الأمر وتدبيره ليلاً»^٢ يعني دُبر جماعة منهم ليلاً. «ومعنى ﴿بَيَّتَ﴾: أضمّر. وأصله إحكام الأمر ليلاً من البيات»^٣.

١. الميزان ٥/ ١٩.

٢. الميزان ٥/ ١٨.

٣. التبيان ٣/ ٢٧٠.

﴿ طَائِفَةٌ ﴾ فاعله. أي جماعة.
﴿ مِنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ طَائِفَةٌ ﴾، والضمير يرجع إلى
الذين ﴿ يَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾.
﴿ غَيْرٌ ﴾ مفعول به. ﴿ الَّذِي ﴾ اسم موصول في محل جر بالاضافة.
﴿ تَقُولُ ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ طَائِفَةٌ ﴾ أو إلى
الرسول ﷺ .

«والمعنى - والله أعلم - : ويقول هؤلاء مجيبين لك فيما تدعوهم إليه من الجهاد:
أمرنا طاعة، فإذا أخرجوا من عندك دبروا ليلاً أمراً غير ما أجابوك وقالوا لك، أو غير
ما قلته أنت لهم، وهو كناية عن عقدهم النية على مخالفة رسول الله ﷺ » ١.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ.
﴿ يَكْتُبُ ﴾ فعل مضارع وفاعله. في صحائف أعمالهم ويضبطه عليهم.
﴿ مَا ﴾ اسم موصول، مفعول به.
﴿ يُبَيِّنُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة الفعلية ﴿ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ ﴾ في محل رفع
خبر مبتدأ ﴿ اللَّهُ ﴾ .

﴿ فَ ﴾ تفرعية. ﴿ أَعْرَضَ ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ .
﴿ عَنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَعْرَضَ ﴾ .
أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالإعراض عنهم تنبيهاً بعدم أهميتهم وشأنهم
وأمرهم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ تَوَكَّلْ ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ .
﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ تَوَكَّلْ ﴾ .
ثم أمر ﷺ نبيه ﷺ بالتوكل عليه تعالى و ﴿ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ٢ .
﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ كَفَى ﴾ فعل ماض.
﴿ بِ ﴾ حرف جر زائد. ﴿ اللَّهُ ﴾ مجروره. في محل رفع لأنه فاعل ﴿ كَفَى ﴾ .

١. الميزان ٥ / ١٨ .

٢. سورة الطلاق / ٣ .

﴿وَكَيْلًا﴾ تمييز. أي «حفيظاً لما يجب تفويضه إليه من التدبير. وأصل الوكيل: القائم بما فوض إليه من التدبير»^١.

رواية

صحيححة سليمان الجعفريّ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾^٢ قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجراح^٣. ونحوها في تفسير العياشي^٤ مع زيادة «فلان».

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

تحريض إلى التدبر في كتاب الله وأنه خال من الاختلاف فيدخل هذا في أدلة أنه من المعاجز الخالدة وأنه منزل من الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
﴿أ﴾ استفهام توبيخي أو تحريضي. ﴿ف﴾ زائدة. ﴿لا﴾ نافية.
﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «التدبر: هو النظر في عواقب الأمور... والفرق بين التدبر والتفكير أن التدبر تصرف القلب بالنظر إلى العواقب والتفكير تصرف للقلب بالنظر إلى الدلائل»^٦.
وفي الميزان: «التدبر: هو أخذ الشيء بعد الشيء وهو في مورد الآية التأمل في الآية عقيب الآية أو التأمل بعد التأمل في الآية»^٧.
﴿الْفُرْعَانَ﴾ مفعول به. أي في مجموع آياتها من محكمها ومتشابهها وأحكامها

١. التبيان ٣/ ٢٧٠.

٢. سورة النساء/ ١٠٨.

٣. الكافي ١٥/ ٧٤٣، ح ٥٢٥ (٨/ ٣٣٤).

٤. تفسير العياشي ١/ ٤٤١، ح ٢٦٩.

٥. التبيان ٣/ ٢٧٠.

٦. التبيان ٣/ ٢٧١.

٧. الميزان ٥/ ١٩.

وحكمها وأمثالها وقصصها ومواعظها ومعارفها المرتبطة بالمبدأ والمعاد والرسالة والإمامة وغيرها.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر.

﴿مِنْ عِنْدِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿غَيْرِ اللَّهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿وَجَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَجَدُوا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْقُرْآنَ﴾.

﴿أَخْتَلَفًا﴾ مفعول به، الجملة الفعلية مع مفعولها جواب شرط غير جازم.

«الاختلاف: هو امتناع أحد الشئيين أن يسدَّ مسدَّ الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذي لا يسدَّ مسدَّ البياض وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة جهة الخلف والقدام، واليمين والشمال»^١.

«والاختلاف على ثلاثة أضرب: اختلاف تناقض، واختلاف تفاوت، واختلاف تلاوة. وليس في القرآن اختلاف تناقض، ولا اختلاف تفاوت، لأن اختلاف التفاوت هو في الحسن والقبح، والخطأ والصواب، ونحو ذلك مما تدعو إليه الحكمة أو يصرف عنه. وأما اختلاف التلاوة، فهو ما تلاءم في الحسن، فكله صواب، وكله حق. وهو اختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الأحكام في النسخ والمنسوخ»^٢.

﴿كَثِيرًا﴾ نعت توضيحي لا احترازي «والمعنى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْتَلَفًا﴾ وكان ذلك الاختلاف كثيراً على حدِّ الاختلاف الكثير الذي في كلِّ ما هو من عند غير الله وليس المعنى أنَّ المرفوع من القرآن هو الاختلاف الكثير دون اليسير....

وبالجملة: لا يلبث المتدبرون أن يشاهدوا أن القرآن كتاب يداخل جميع

١. التبيان ٣/ ٢٧١.

٢. التبيان ٣/ ٢٧١.

الشؤون المرتبطة بالإنسانية من معارف المبدأ والمعاد والخلق والإيجاد، ثم الفضائل العامة الإنسانية، ثم القوانين الاجتماعية والفردية الحاكمة في النوع حكومة لا يشذ منها دقيق ولا جليل، ثم القصص والعبر والمواعظ ببيان دعا إلى مثلها أهل الدنيا، وبآيات نازلة نجوماً في مدة تعدل ثلاثاً وعشرين سنة على اختلاف الأحوال من ليل ونهار، ومن حضر وسفر، ومن حرب وسلم، ومن ضراء وسراء، ومن شدة ورخاء، فلم يختلف حاله في بلاغته الخارقة المعجزة، ولا في معارفه العالية وحكمه السامية، ولا في قوانينه الاجتماعية والفردية، بل ينعطف آخره إلى ما قرَّ عليه أوَّلُه، وترجع تفاصيله وفروعه إلى ما ثبت فيه أعراقه وأصوله، يعود تفاصيل شرائعه وحكمه بالتحليل إلى حاق التوحيد الخالص، وينقلب توحيده الخالص بالتركيب إلى أعيان ما أفاده من التفاصيل، هذا شأن القرآن.

والإنسان المتدبر فيه هذا التدبر يقضي بشعوره الحي، وقضائه الجلي أن المتكلم بهذا الكلام ليس ممن يحكم فيه مرور الأيام والتحوّل والتكامل العاملان في الأكوان بل هو الله الواحد القهار^١.

والمستفاد من الآية الشريفة أمور:

«الأوّل: أن القرآن ممّا يناله الفهم العادي، فلو لم يكن كذلك لما أمر سبحانه وتعالى الناس بالتدبّر والتأمّل فيه لمعرفة الحقّ، وأن التأمّل فيه يهدي صاحبه إلى كون القرآن من عند الله تعالى، العليم بمصالح عباده الذي يهديهم بما يصلح أمرهم. الثاني: أن ما اشتمل عليه القرآن الكريم ممّا تنادي به الفطرة وملائمة للمصلحة؛ ولذا أوجب الكمال والهداية.

الثالث: أن القرآن الكريم كامل مكمل من جميع الجهات، لا يقبل الاختلاف ولا التغيير ولا التحوّل ولا النسخ ولا الإبطال ولا التهذيب ولا التكميل، فلا حاكم عليه أبداً؛ لأنّ ذلك كلّه من شؤون الاختلاف، فإذا كان منفيّاً عنه بالكلية، فلا يقبل القرآن أيّاً منها، ويستلزم ذلك أن ما فيه من الشريعة والأحكام باقية ومستمرّة إلى يوم

القيامة، وهذا ما تؤكدُه جملة من الآيات المباركة، والسنة الشريفة.

الرابع: أن القرآن لما كان كاملاً، لا بدّ أن يكون نازلاً من عند الكامل المستجمع لجميع صفات الكمال، الذي لا يتصور النقص فيه أبداً؛ لأنّ ما نزل من عنده كامل، كما أنّه لا بدّ أن يكون من نزل عليه كاملاً؛ لأنّه يتحمّل أعباء التفسير والتوضيح والإبلاغ إلى الناس، وإلا استلزم الخلف، وتدّل عليه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^١.

الخامس: أن المنفي عن القرآن الكريم جميع وجوه الاختلاف، كالاختلاف في الوصف واللفظ أو المعنى، بتناقض الأخبار أو الوقوع على خلاف المخبر به وعدم المطابقة للواقع، أو اشتغاله على ما لا يلائم ولا يلتئم مع الفطرة والعقل السليم، كما أنّه لا يقبل المعارضة، كما تحدّى به الرسول الكريم بالإتيان بمثله أو بعشر سور من مثله.

السادس: أن القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وتوجيه، وقد أنزله الله تعالى لتربية هذه الأمة وإنشائها وإعدادها إعداداً كاملاً؛ لتكون أمةً صالحّة، فلا بدّ أن يكون جامعاً وحاوياً لجميع ميادين التربية في حياة الإنسان، فهو كتاب توحيد خالص من شوائب الشرك والإلحاد، وكتاب حكمة ومعارف حقّة، وكتاب تربية الروح والعقل، وتزكية النفس وتربية الجسد، وكتاب تربية الفرد والاجتماع، وسوق كلّ منهما إلى منتهى الكمال، وكتاب أخلاق يحتوي على جميع الفضائل العامّة الإنسانيّة.

كما أنّه كتاب يوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وبين الدُّنيا والآخرة، بلا اختلاف يتداخل فيه جميع الشؤون المرتبطة بالإنسانيّة على نحو الإعجاز في كلّ جانب، فهو كتاب كما وصفه عليّ عليه السلام: «ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، لا تُكشَف الظلمات إلّا به»؛ فهدفه إعداد الإنسان الصالح، وترقيته من حضيض الرذيلة إلى أوج الشرف والكمال.

السابع: أن مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يصدر من عند غير الله تعالى، سواء كان إنساناً أو ملكاً أو مخلوقاً آخر، لأنّ غيره قرين النقص والاختلاف، لا يمكن أن

يصدر منه ما ليس فيه الاختلاف، وأنّ الكمال مهما بلغ من الشأن في المخلوق محدود، القرآن بعجائبه وغرائبه غير محدود، فهو المعجزة الخالدة، يخضع له العلماء وجهابذة الفكر، والمرتبون باللاهوت السرمدي الأبدي، والمتصلون بالمبدأ الحي القيوم في جميع العصور غاية الخسوع، ويستنرون عقولهم منه، ويعجبون به أشدّ الإعجاب»^١.

رواية

الشريف الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في كلام له في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا: تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَعَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ إِمَامِهِمُ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ، فَيَصُوبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيِّهِمْ وَاحِدٌ، وَكُتَابُهُمْ وَاحِدٌ.

أَفَأَمْرَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى! أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؛ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَفِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لَا اِخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ^٢.

١. مواهب الرحمن ٩ / (٨٥-٨٣).

٢. نهج البلاغة، خطبة ١٨.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

تعبير للمؤمنين الضعفاء في شأن إذاعة ونشر ما يرتبط بشأن أمن المجتمع وهداية لهم بالنسبة إليها، ونزلت الآية في «قصة بدر الصغرى وَبَعَثَ أَبِي سَفِيَانَ نَعِيمَ ابْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِبَسْطِ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَاخْزَائِهِمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط.
﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.
﴿أَمْرٌ﴾ فاعله، وهو بعض الترهات التي كانت تأتي بها أيدي الكفار والمرتزقة لإيجاد النفاق والخلاف وتضعيف نفسية المؤمنين.
﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَمْرٌ﴾. أي مرتبط بأمن المجتمع وقضايا التجسس والحرب النفسية.
﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿الْخَوْفِ﴾ معطوفه، أو أمر الذي يوجب خوف المؤمنين وتضعيف نفسيتهم.
لأن الحرب الواقعي اليوم هو الحرب الإعلامي والروحي والنفسي والثقافي، لا الحرب النظامي بالأسلحة والأدوات.

﴿أَدْعَاؤُهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. الإذاعة: النشر والإشاعة.
﴿إِذَاعَةُ السَّرِّ﴾ إظهاره. والإذاعة والإشاعة والإفشاء والإعلان والإظهار نظائر.
وضده: الكتمان والإسرار والإخفاء^٢.
﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَدْعَاؤُهُ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿أَمْرٌ﴾.

١. الميزان ٥/ ٢٤.

٢. التبيان ٣/ ٢٧٣.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿رَدُّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، والضمير يرجع إلى الخبر الشائع بين الناس من الأمان أو الخوف، ولذا لا معنى لرده إلى الله وكتابه كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^١. ولذا ابتداء بالرسول ﷺ وقال: ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿رَدُّهُ﴾. والرد إلى الرسول ﷺ هنا بما هو الحاكم الإسلامي ومسئول عن أمن المجتمع.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿إِلَى أُولَى الْأَمْرِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والمراد بهم في زمن حضور المعصومين عليهم السلام هم أوصياء رسول الله المعصومون الإثنا عشر عليهم السلام وفي زمن الغيبة الحاكم الإسلامي ومن يتصدى للأمن المسلمين من دائرة مخابراته وضد التجسس والذين يعرفون كيفية الحرب الإعلامي والنفسي والثقافي والروحي.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾ و «من» بيانية والتقدير: حال كونهم ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من متعلقين ﴿أُولَى الْأَمْرِ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿عَلِمَهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدّم. والمراد بالعلم هنا: التمييز بين الصدق والكذب، والحقّ والباطل، والصحة والسقم.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والاستنباط: استخراج الأمر من الإبهام إلى مرحلة العلم والمعرفة والتمييز والشفافية.

«والاستنباط، والاستخراج، والاستدلال، والاستعلام، نظائر، وأصل الاستنباط الاستخراج. يقال لكل ما استخراج حتى تقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب: قد استنبط. والنبط: الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر. وانبط فلان أي استنبط الماء من طين حر. ومنه اشتقاق النبط، لاستنباطهم العيون»^٢.

١. سورة النساء / ٥٩.

٢. التبيان / ٣ / ٢٧٣.

٢١٤..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿ مِنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾. أي من الرسول ﷺ وأولي الأمر المعصومين عليهم السلام أو الحاكم الإسلامي ومتعلقه في أمر الأمن.
﴿ وَ ﴾ استثنائية. ﴿لَوْلَا﴾ حرف امتناع الوجود.
﴿ فَضَّلُ ﴾ مبتدأ وخبره محذوف تقديره: كائن أو موجود. ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.
﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَوْلَا﴾ المحذوف. أي على المؤمنين وعلى مجتمعهم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿رَحْمَتُهُ﴾ معطوفة ومضاف إليه.
﴿ لَ ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْلَا﴾.
﴿ اتَّبَعْتُمْ ﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير يرجع إلى المؤمنين. والمراد بالمتابعة المنفية هي المتابعة في ظاهر الإسلام في عدم اذاعة الأمر الذي يرتبط بأمن المجتمع.
﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ مفعول به، وأعوانه الظلمة في الاذاعة والحرب النفسي.
﴿ إِلَّا ﴾ حرف استثناء. والاستثناء متصل. ﴿ قَلِيلًا ﴾ مستثنى.

الروايات

خبر محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله ﷻ عير أقواماً بالاذاعة في قول ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا﴾ فإياكم والاذاعة. ٢.
رواها العياشي في تفسيره ٣ وسعد بن عبد الله الأشعري في بصائره ٤ والبرقي في محاسنه ٥.
خبر عبد الحميد بن أبي ديلم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: وقال ﷻ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ٦ وقال ﷻ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ إلى الله و ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فرد الأمر - أمر الناس - إلى

١. كما في مواهب الرحمن ٩ / ٨٨.

٢. الكافي ٤ / ١١٠، ح ١ (٢ / ٣٧٠).

٣. تفسير العياشي ١ / ٤٢١، ح ٢٠٦.

٤. مختصر البصائر / ٢٨٨، ح ١٩.

٥. المحاسن ١ / ٣٩٩، ح ٢٩٩.

٦. سورة النساء / ٥٩.

أولي الأمر منهم الذين أمر بطاعتهم وبالرد إليهم، الحديث ١.
 عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، قال: هم الأئمة عليهم السلام. ٢.

عن عبد الله بن جندب، قال: كتب إلي أبو الحسن الرضا عليه السلام: ذكرت رحمك الله هؤلاء القوم الذين وصفت أئمتهم كانوا بالأمس لكم إخواناً، والذي صاروا إليه من الخلاف لكم، والعداوة لكم، والبراءة منكم، والذين تأفكوا به من حياة أبي صلوات الله عليه ورحمته.

وذكر في آخر الكتاب: أن هؤلاء القوم سَخَّ لهم شيطان، اغترَّهم بالشُّبهة، ولَبَّس عليهم أمر دينهم، وذلك لما ظهرت فريتهم، واتَّفقت كلمتهم، وكذبوا على عالمهم، وأرادوا الهدى من تلقاء أنفسهم، فقالوا لم، ومن، وكيف، فأتاهم الهلك من مَأْمَن احتياطهم، وذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد، ولم يكن ذلك لهم ولا عليهم، بل كان الفرض عليهم، والواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير، وردَّ ما جهلوه من ذلك إلى عالمه ومستنبطه، لأنَّ الله يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يعني آل محمد، وهم الذين يستنبطون من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام، وهم الحجَّة الله على خلقه ٣.

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، وحمزان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، قال: ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: رسوله، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: ولاية الأئمة عليهم السلام. ٤.

عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، قال: الفضل: رسول الله عليه وآله السلام، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: أمير المؤمنين عليه السلام. ٥.

١. الكافي ٢/٢٧، ح ٣ (١/٢٩٥).

٢. تفسير العياشي ١/٤٢١، ح ٢٠٧.

٣. تفسير العياشي ١/٤٢٢، ح ٢٠٨.

٤. تفسير العياشي ١/٤٢٢، ح ٢٠٩.


٥. تفسير العياشي ١/٤٢٢، ح ٢١٠.

٢١٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

ومحمد بن الفضيل، عن العبد الصالح عليه السلام، قال: الرحمة: رسول الله وآله السلام، والفضل: علي بن أبي طالب عليه السلام. ١.

عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنك لتسأل عن كلام القدر وما هو من ديني، ولا دين آبائي، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به. ٢.

الظاهر أنّ المراد بكلام أهل القدر هو القول بالجبر في أعمال الإنسان وقد نفاه الإمام عليه السلام بالصراحة، كما ورد التعبير عنهم بالقدرية في لسان الأئمة عليهم السلام.

﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ 

«هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله خاصة أمره الله أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه» ٣.

﴿ف﴾ استئنافية أو تفرعية «والأمر بالقتال متفرّع على المتحصل من مضامين الآيات السابقة وهو تثاقل القوم في الخروج إلى العدو وتبطّئتهم في ذلك» ٤.
﴿قَتِلَ﴾ فعل وفاعله ضمير مستتر أنت، يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وخاص به صلى الله عليه وآله. ووجوب القتال بمفرده مع أعداء الله تعالى من الأحكام المختصة به صلى الله عليه وآله.
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان يتعلقان بـ﴿قَتِلَ﴾.
﴿لَا﴾ نافية.

﴿تُكَلَّفُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر أنت «ومعناه

١. تفسير العياشي ١/٤٢٣، ح ٢١١.

٢. تفسير العياشي ١/٤٢٣، ح ٢١٢.

٣. التبيان ٣/٢٧٥.

٤. الميزان ٥/٢٥.

لا تكلف إلا فعل نفسك، لأنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهم بتخلف المنافقين عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك، وليس المراد لا يأمر أحداً بالجهاد»^١.

و «التكليف من الكلفة بمعنى المشقة لما فيه من تحميل المشقة على المكلف»^٢.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿نَفْسِكَ﴾ مستثنى ومضاف إليه. أي: ﴿إِلَّا﴾ فعل وعمل ﴿نَفْسِكَ﴾. لأن

تكليف غيرك لا يتوجه إليك.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿حَرَضَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت». التحريض: الحث على الشيء.

والترغيب إليه.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول به.

﴿عَسَى﴾ فعل ماض ناقص، للترجي الإنشائي ويدل على الرجاء بلا فرق بين

أن يكون قائماً بنفس المتكلم أو المخاطب أو بمقام التخاطب فلا حاجة إلى ما ذكره من أن ﴿عَسَى﴾ من الله حتم^٣ ومن الإنسان للترجي.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿عَسَى﴾. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَكْفُفُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿يَكْفُفُ﴾: يمنع. و ﴿أَنَّ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب خبر ﴿عَسَى﴾.

﴿بَأْسَ﴾ مفعول به، البأس: الشدة في كل شيء والقوة والنجدة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول ومضاف إليه.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. وهم شركوا قريش.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾ خبر. ﴿بَأْسًا﴾ تمييز.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَشَدُّ﴾ معطوف على ﴿أَشَدُّ﴾ السابق.

١. التبيان ٣/ ٢٧٥.

٢. الميزان ٥/ ٢٥.

٣. كما في الميزان ٥/ ٢٦.

﴿تَنْكِيلًا﴾ تمييز. التنكيل: من النكال وهو العقوبة والعذاب بما يكون عبرة لغيره. وأصله من التعذيب بالنكل وهو القيد.

الروايات

صحيح أبان بن عثمان عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفة السمحة ولا رهبانية ولا سياحة، أحلَّ فيها الطيبات وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواثيق والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله. وزاده الوضوء وفضله بفتح الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصل وأحلَّ له المغنم والفبيء ونصره بالرعب وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً وأرسله كافة إلى الأبيض والأسود والجنّ والإنس وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلّف ما لم يكلف أحد من الأنبياء وأنزل عليه سيفٌ من السماء، في غير غمد وقيل له: ﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾^١.

خبر مرزم عن أبي عبدالله عليه السلام إنَّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أصلي فأجعل بعض صلاتي لك، فقال: ذلك خير لك فقال: يا رسول الله فأجعل نصف صلاتي لك، فقال: ذلك أفضل لك، فقال: يا رسول الله فإني أصلي فأجعل كلَّ صلوتي لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: إنَّ الله كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكلفه أحداً من خلقه كلفه أن يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاوم معه ولم يكلف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثم تلا هذه الآية ﴿فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ثم قال: وجعل الله أن يأخذ له ما أخذ لنفسه فقال صلى الله عليه وآله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^٢ وجعلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر حسنات.^١

١. الكافي ٣/٤٨، ح ١ (١٧/٢).

٢. سورة الأنعام / ١٦٠.

عن سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلُ النَّاسِ لِعَلِيِّ عليه السلام: إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَقُومَ بِهِ؟

قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّفْ هَذَا إِلَّا إِنْسَانًا وَاحِدًا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِلرَّسُولِ، وَقَالَ لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾^٢ فَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ فِتْنَةً يُعِينُونَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ^٣.

عَنْ زَيْدِ الشَّحَّامِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا، إِنْ كَانَ عِنْدَهُ أَعْطَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ قَالَ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا كَافَأَ بِالسَّيِّئَةِ قَطُّ، وَمَا لَقِيَ سَرِيَّةً مَذَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إِلَّا وَوَلِيَ بِنَفْسِهِ^٤.

أَبَانٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، قَالَ: كَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ مِنْ لَأَذْبَرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.^٥

عَنْ الثُّمَالِيِّ، عَنْ عِيصِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم - كَلَّفَ مَا لَمْ يُكَلِّفْ أَحَدٌ - أَنْ يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَقَالَ: ﴿حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾^٦ وَقَالَ: إِنَّمَا كَلَّفْتُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الْأَمْرِ، أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ^٧.

١. الكافي ١٥/١٥٤، ح ٤١٤ (٢٧٤/٨).

٢. سورة الأنفال / ١٦.

٣. تفسير العياشي ١/٤٢٣، ح ٢١٣.

٤. تفسير العياشي ١/٤٢٣، ح ٢١٤.

٥. تفسير العياشي ١/٤٢٤، ح ٢١٥.

٦. سورة الأنفال / ٦٥.

٧. تفسير العياشي ١/٤٢٤، ح ٢١٦.

٢٢٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾

تنبيه للمؤمنين أن يكونوا على يقظة من شفاعاتهم فلا يشفعوا حتى يعرفوا الأثر المترتب على الشفاعة، فإن كانت خيراً وحسنة لا بأس بالشفاعة فيها وإن كانت شراً وفساداً لا يجوز الشفاعة فيها. فلا بد في الشفاعة من ملاحظة المشفوع لأجله.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، في محل رفع بالمتبداً.
﴿يَشْفَعْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.
﴿شَفَعَةً﴾ مفعول مطلق - مصدر - سدّ مسدّ مفعول به.
«مادّة شفع تدلّ على ضمّ شيء إلى شيء، ومنه الشفع، أي ضمّ واحد إلى واحد، وهو الزوج في العدد. والشفعة، لأنها ضمّ الشريك نصيبه إلى نصيب شريكه. وأمّا الشفاعة، فهي الانضمام إلى آخر ليكون ناصراً له أو دافعاً عنه، فهو نوع توسّط لترميم نقص أو حيازة مزية... فتكون الغاية من الشفاعة إيصال المنفعة إلى المشفوع له، فلا بدّ وأن يكون للشفيع منزلة عند المشفوع، ويكون له نصيب من الخير أو الشرّ المترتّبين على الشفاعة»^١.

﴿حَسَنَةً﴾ نعت. ﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لأنه جواب الشرط.
﴿لَهُ﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر مقدم ﴿يَكُنْ﴾.
﴿نَصِيبٌ﴾ اسم مؤخر ﴿يَكُنْ﴾. النصيب: الحظّ.
﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿نَصِيبٌ﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة، تعطف الجملة الاسمية بعدها بما قبلها وتعرب اعرابها.
﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ الكفل: النصيب والحظّ أو المثل المساوي أو الحظّ الذي فيه الكفاية.

«وإنما ذكر النصيب في الحسنة، لأنّ جزاء الحسنة يضاعف، وذكر الكفل في

١. مواهب الرحمن ٩/١٠٦.

السيئة، لأنَّ مَنْ جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها، فتكون الآية المباركة إشارة إلى لطفه ﷻ بعباده»^١.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، يتعلّقان بخبر ﴿كَانَ﴾.
﴿مُقَيَّتًا﴾ خبر كان. أي مقتدرًا وحفيظًا.

رواية

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دلّ على خير أو أشار به فهو شريك، ومن أمر بسوء أو دلّ عليه أو أشار به فهو شريك.^٢

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

حَسِيبًا﴾

«هذا خطاب من الله تعالى لجميع المكلفين، يأمرهم إذا دعى لهم انسان بطول الحياة، والبقاء والسلامة، أن يجيبوهم بأحسن من ذلك أو يردوا عليهم مثله»^٣. «وهو حكم عام لكل تحية حيي بها»^٤.
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان وأداة شرط غير جازمة خافض لشرطه متعلّق بجوابه.
﴿حُيِّتُمْ﴾ فعل ماض مجهول والضمير المتصل نائب فاعله.
﴿بِتَحِيَّةٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿حُيِّتُمْ﴾. التحية: مصدر حيي يجي تحية وهي في الأصل الدعاء بالحياة وطولها وصارت اسمًا لكلّ دعاءٍ وثناءٍ، ولكن المراد بها هاهنا

١. مواهب الرحمن ٩/ ١٠٧.

٢. الخصال ١/ ١٣٨، ح ١٥٦.

٣. التبيان ٣/ ٢٧٨.

٤. الميزان ٥/ ٣٠.

السلام، لأنّ تحية المسلمين هي السلام، رمزاً إلى أنّ منهاج الإسلام في الحياة هو نشر السلام والصلح وهو من أسماء الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿حَيُّوْاْ﴾ فعل أمر وفاعله. جواب شرط غير جازم. وظهور الأمر في وجوب

الردّ لا ينكر.

﴿بِأَحْسَنَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿حَيُّوْاْ﴾ و ﴿أَحْسَنَ﴾ ممنوع من الصرف.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿بِأَحْسَنَ﴾. والضمير يرجع إلى التحية.

﴿أَوْ﴾ عاطفة جأت للتخيير.

﴿رُدُّوْهَا﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. أي لأقل من لزوم ردّ نفس التحية.

﴿إِنَّ﴾ حرف تأكيد ومشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿حَسِبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. والجملة ﴿كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِبًا﴾ في محلّ رفع خبر

﴿إِنَّ﴾. الحسب: فعيل من الحساب الذي هو بمعنى الإحصاء، فيصير معنى

الحسب: المحاسب على العمل، كما يأتي بمعنى الكافي من الكفاية والمعنيين هنا تام لأنّ

«المحاسب المراقب لأفعال العباد يكون كافياً في إيصال ما يكافئه»^٢.

مسألة فقهية

قال الشيخ: «قال الحسن وجماعة من متقدمي المفسرين: إنّ السلام تطوع.

والرد فرض، لقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ وذلك أمر يقتضي

الايجاب»^٣.

١. سورة الحشر / ٢٣.

٢. مواهب الرحمن ٩ / ١١١.

٣. التبيان ٣ / ٢٧٩.

وقال الشيخ محمدجواد مُعْنِيَّة: «واستدل الفقهاء بهذه الآية على وجوب ردّ السلام، إمّا بالمثل، أي أن تعيد تحية من حياك بالحرف دون زيادة أو نقصان، وإمّا أن تزيد عليها: ورحمة الله، وأمثالها. والرد فرض على سبيل العين إذا وُجِهت التحية إلى شخص معين، وكفاية إذا وُجِهت إلى جماعة، ان قام به البعض سقط عن الباقي، وإلّا فالكل ملومون ومؤخذون... وفي الحديث: التحية تطوعٌ، والردّ فرضٌ»^١.
وقال الفقيه السيّد السبزواري: «وظاهر الآية المباركة أنّ الجواب فرض وإن كان أصل التحية تطوعاً ونفلاً»^٢.

حتّى استدلّ بعض الأصحاب بها في وجوب جواب ردّ الرسالة، وهو غير تام وإن دخلت الرسالة في التحية لأنّ وجوب ردّ كلّ تحية محلّ نقاش والآية تختص بالسلام.

الروايات

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: السلام تطوع والرد فريضة^٣.

موثقة معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله ﻻ يبخلُ مَنْ يَبْخُلُ بالسلام^٤.

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله^٥.

في حديث أربعائة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر تنفّر قوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب إذا عطس أحدكم فسمّوه قولوا: «يرحمك الله» وهو يقول لكم: «يغفر الله لكم ويرحمكم» قال

١. التفسير الكاشف ٢/ ٣٩٥.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ١١٠.

٣. الكافي ٤/ ٦٩٩، ح ١ (٢/ ٦٤٤).

٤. الكافي ٤/ ٧٠١، ح ٦ (٢/ ٦٤٥).

٥. الكافي ٤/ ٧٠٢، ح ٨ (٢/ ٦٤٥).

٢٢٤ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ ١.
قال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جاريةٌ فحيتته بطاقة ريمان فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله».

فقلت: تحييك بطاقة ريمان لا خطر لها فتعتقها؟!!

قال: «كذا أدبنا الله، قال: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ وكان أحسن منها عتقها» ٢.

الروايات الواردة حول التسليم كثيرة قد ذكرت أكثر من أربعين منها في موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام فراجها.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ

اللَّهِ حَدِيثًا﴾

«توجيه عقائدي يهدي الإيمان في قلوب المؤمنين ويثبته، وهو يشتمل على ركنين من أهم أركان الإيمان. وهما التوحيد، والإيمان بالبعث والجزاء في الدار الآخرة، وهما الركنان اللذان أمر الله تعالى أنبياءه العظام بتبليغهما الناس وإقامتها... والآية الشريفة بمنزلة التعليل لجميع تلك الأحكام التي شرعها ﷺ، والإرشادات الربوبية والتوجيهات الإلهية، فتكون الباعث القوي على العمل بتلك الأحكام، لا سيما أحكام القتال مع أعداء الله تعالى، وتكون تثبيتاً للمشاعر الإيمانية، وتقوية للنفس على احتمال تبعات تلك التكاليف وثقلها مادامت تؤدّي إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومادام الجزاء محفوظاً عنده ﷻ، يجازي العباد على ما عملوا في يوم

١. الخصال ٢/ ٦٣٣.

٢. كشف الغمة ٢/ ٤٧٦؛ وأورده الآبي في الدرّ ١/ ٣٣٥؛ وأبوحيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٧/ ١٣٧، رقم ٤١٠؛ وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ٢/ ١٨٦، رقم ٤٤٣؛ والزنجشري في ربيع الأبرار ٢/ ٢٩٨؛ وابن شهر آشوب في المناقب ٣/ ٣١٢؛ والحلواني في نزهة الناظر ٨٣.
٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥/ (١٦٩-١٥٩).

القيامة الذي سيجمع الناس فيه.

والآية المباركة بمنزلة القاعدة العريضة التي تبتني عليها جميع التكاليف الإلهية... فمضمونها قانون عامّ تظهر فيه جميع الأحكام»^١.

﴿الله﴾ مبتدأ. قد مرّ في ما سبق معنى لفظ الجلالة. «وهو الذي تحقق له العبادة. و... كان قادراً على خلق أصول النعم التي يستحق بها العبادة»^٢.

﴿لَا﴾ نافية للجنس تعمل عمل «إن».

﴿إِلَه﴾ اسم ﴿لَا﴾ وخبرها محذوف تقديره: كائن أو موجود. والمراد بـ﴿إِلَه﴾

هو المعبود.

﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿هُوَ﴾ الضمير يرجع إلى ﴿الله﴾ تعالى. بدل من موضع ﴿لَا إِلَه﴾ لأنّ موضع ﴿لَا﴾ وما عملت فيه رفع بالابتداء. والجملة الاسمية ﴿لَا إِلَه إِلَّا هُوَ﴾ في محل رفع خبر مبتدأ ﴿الله﴾، أو أنّها جملة اعتراضية، وخبره ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ الآتي.

النزاع الدائر بين المسلمين والمشركين في صدر الإسلام كان في التوحيد العبادي لا في التوحيد الذاتي أو التوحيد في الخالقية لقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللهُ﴾^٣ وكما ينقل الله تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾^٤، فالمشركون يعبدون آلهتهم ليقرّبوهم إلى الله، فإنّهم ينازعون المسلمين في توحيدهم العبادي فقط.

والشاهد على ما ذكرنا أنّ كلمة ﴿إِلَه﴾ تردّ بمعنى المعبود ولم تردّ بمعنى واجب الوجود فيصير معنى الآية الشريفة: لا يجوز عبادة أحدٍ إلا الله تعالى.

ومن أقرّ بكلمة التوحيد «لا اله إلا الله» فهو مسلم.

﴿لَا﴾ واقعة في جواب القسم المحذوف. تقدير: والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾.

١. مواهب الرحمن ٩/ ١١١.

٢. التبيان ٣/ ٢٨٠.

٣. سورة لقمان / ٢٥.

٤. سورة الزمر / ٣.

٢٢٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿يَجْمَعَنَّكُمْ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي «ليبعثنكم من بعد مماتكم ويحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذي يجازي فيه كلاً بعمله»^١. و «الجمع» هنا بمعنى الحشر.

وتهديد لمن أعرض عن عبادة الله الأحد الواحد وعن أحكامه الخالدة التي تتضمن للإنسان سعادته في الدارين.

﴿إِلَى﴾ جارة، بمعنى «في». أو صلة في الكلام بين ما قبلها وما بعدها.
﴿يَوْمٍ﴾ مجرورها.

﴿الْقِيَامَةِ﴾ مضاف إليه. «وقيل في تسمية ذلك اليوم بالقيامة قولان:

أحدهما: لأن الناس يقومون من قبورهم.

الثاني: إنهم يقولون للحساب. قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾^٢.

﴿لَا﴾ نافية للجنس تعمل عمل «إن».

﴿زَيْبٍ﴾ اسم «لَا» الريب: الشك.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر «لَا» المحذوف تقديره: كائن أو موجود.

تأكيد آخر بعد تأكيده بالقسم الذي هو من أقوى المؤكدات لدفع كل شك وارتياب في وقوع ذلك الحشر والحساب والجزاء على الأعمال، فلا ريب في ذلك كله»^٤.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، استفهامٌ تقريرِيٌّ.

﴿أَصْدَقُ﴾ خبر. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ «أَصْدَقُ» أو بـ «حَدِيثًا».

﴿حَدِيثًا﴾ تمييز.

«معناه لا أحد أصدق من الله في الخبر الذي يخبر به من حيث لا يجوز عليه

الكذب في شيء من الأشياء، لأنه لا يكذب إلا محتاج يجتلب به نفعاً، أو يدفع به

١. التبيان ٣/ ٢٨٠.

٢. سورة المطففين / ٦.

٣. التبيان ٣/ ٢٨٠.

٤. مواهب الرحمن ٩/ ١١٣.

ضرراً. وهما يستحيلان عليه تعالى. فإذا يستحيل عليه الكذب. وإنما يجوز ذلك على مَنْ سواه. فلذلك كان تعالى أصدق القائلين»^١.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^٢

بيّن الله تعالى في هذه الآية وما بعدها حكم فئة المنافقين الذين كانوا داخل المجتمع الإسلامي، ويدعو المؤمنين إلى الاتحاد وعدم الاختلاف في أمرهم. وعن أبي جعفر عليه السلام: «إنها نزلت في إختلاف كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوم كانوا قدموا المدينة من مكة، واطهروا للمسلمين أنهم مسلمون، ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوجموا المدينة، وأظهروا لهم الشرك، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة. فأراد المسلمون أن يأخذوهم وما معهم فاختلفوا. وقال قوم: لا نفعل ذلك لأنهم مؤمنون. وقال آخرون: هم مرتدون. فأنزل الله فيهم الآية»^٢.

﴿ف﴾ استثنائية أو تفرعية على ما قبلها من الآيات.

﴿مَا﴾ استفهامية انكارية أو تعجبية أو توبيخية، مبتدأ.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بنخبر. الضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، توبيخ للمؤمنين على تفرقتهم وعدم اجتماعهم في قطع فساد المنافقين.

﴿فِتْنَيْنِ﴾ حال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾. الفئة: الفرقة من الناس. أي لماذا تفرقتم إلى فئتين مختلفتين؟! لأن «فئة ترى قتالهم وفئة تشفع لهم وتحرض على ترك قتالهم»^٣.

﴿وَ﴾ حالية، والجملة الاسمية بعدها في محل نصب حال. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

١. التبيان ٣/ ٢٨٠.

٢. التبيان ٣/ ٢٨١؛ ونحوها في الكشف والبيان ٣/ ٣٥٥؛ وروض الجنان ٦/ ٤٤.

٣. الميزان ٥/ ٣٠.

٢٢٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. والجملة الفعلية خبر. الإركاس: الرد، الركس: الردّ إلى الحالة الأولى. والركس هنا: «التحول المعنوي والانقلاب من الهدى والصراط المستقيم إلى الكفر والضلالة»^١.

«الركس والنكس واحد، وهو تحوّل الشيء من حال إلى حال أردأ منها»^٢.

يعني بذلك: ﴿وَاللَّهُ﴾ رَدَّهُمْ إِلَى أَحْكَامِ أَهْلِ الشَّرْكِ فِي إِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ وَسَبِي ذُرَارِيهِمْ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَشُرْكَهِمْ. «وَأَنَّمَا نَسَبُكَ إِلَى الرِّكَاسِ إِلَى نَفْسِهِ اهْتِمَامًا بِهِمْ، وَلِيَبَيِّنَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الْإِخْتِيَارِيَّةَ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا مَا كَانَتْ لَتَوَثُّرِ فِي نَفْسِهِمْ، إِلَّا بِإِرَادَةِ مِنْهُ ﷻ، وَلَسَلْبِ التَّوْفِيقِ مِنْهُمْ»^٣.

﴿بِ﴾ جارة. ﴿مَا﴾ مصدرية، موصولة.

﴿كَسَبُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿مَا﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جر. والجار والمجرور يتعلّقان بـ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾.

وعلى فرض موصولية ﴿مَا﴾ تكون مجرور حرف جرّ. والضمير العائد إلى الموصول محذوف تقديره: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ ه.

والمراد ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: ﴿بِمَا﴾ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَ ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من سيئات أعمالهم.

﴿أُ﴾ استفهام توبيخي آخر للمؤمنين.

﴿تُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ بشفاعتكم وإرادتكم وأميالكم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَهْتَدُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. و ﴿أَنْ﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر مفعول به فعل ﴿تُرِيدُونَ﴾. أي أنكم تريدون هدايتهم وإيمانهم وتوفيقهم ولكن الله أراد إضلالهم ومن يضل الله فما له من سبيل إلى الهدى.

١. مواهب الرحمن ٩/١٣٣.

٢. التفسير الكاشف ٢/٣٩٨.

٣. مواهب الرحمن ٩/١٣٤.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به مقدم ﴿أضَلَّ﴾. ﴿أضَلَّ﴾ فعل ماضٍ.
 ﴿اللهُ﴾ فاعله. ﴿أضَلَّ اللهُ﴾ صلة الموصول والعائد محذوف تقديره: اضلَّهُ اللهُ.
 وإضلال الله لا يكون إلا بسبب أعمالهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة وأفكارهم الخبيثة
 وآمالهم الرديئة والشاهد على كل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ فيبين الله
 تعالى أنه فعل بهم ذلك على وجه الاستحقاق والاكْتساب والجزاء لا على وجه الجبر
 ومن دون دخالة أفعالهم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مفعول به مقدم لفعل ﴿يُضِلُّ﴾.
 ﴿يُضِلُّ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿مَنْ﴾ لأنه فعل الشرط.
 ﴿اللهُ﴾ فاعله.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.
 ﴿تَجِدَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى
 رسول الله ﷺ. التفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب رسول الله ﷺ «إشارة إلى
 أن من يشفع لهم من المؤمنين لا يتفهم حقيقة هذا الكلام حق التفهم، ولو فقهه لم يشفع
 في حقهم فأعرض عن مخاطبتهم به وألقى إلى من هو بين واضح عنده وهو
 النبي ﷺ» ١.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَجِدَ﴾، والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ يُضِلُّ اللهُ﴾.
 ﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به. أي طريقاً إلى الهدى والإسلام والإيمان والأعمال الصالحة.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ
 يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
 تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢٨﴾

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء المنافقين أنهم يودّون ويتمنون أن يكفروا
 المؤمنين بالله تعالى وبرسوله ﷺ حتى يصيروا مثلهم ووصف سبحانه نفسانياتهم

٢٣٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

وامتدادهم في الكفر وتصديهم لإضلال المؤمنين، على خلاف المؤمنين لأن المؤمنين يريدون هدايتهم وإيمانهم وفلاحهم لما مرّ في الآية السابقة قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾^١، ولعلّ كل انسان يودّ أن يكون جميع الناس على فكره وشاكلته.

﴿وَدُّوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير يرجع إلى المنافقين.

﴿لَوْ﴾ حرف مصدري لا عمل له.

﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع ضمير وفاعله يرجع إلى المؤمنين المخاطبين بالآية الشريفة ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿وَدُّوا﴾ وتقديره: ﴿وَدُّوا﴾ كفركم.

﴿كَ﴾ حرف جر للتشبيه، أو اسماً بمعنى «مثل» في محل نصب نائباً أو صفة لمصدر محذوف.

﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿مَا كَفَرُوا﴾ بتأويل مصدر في محل جرّ بحرف جرّ ﴿كَ﴾، والجار والمجرور متعلّق بمفعول مطلق - مصدر - محذوف، تقديره: ودّوا كفركم كفراً ككفرهم.

﴿فَ﴾ حرف عطف للتفريع.

﴿تَكُونُونَ﴾ فعل مضارع ناقص وفاعله اسم «تكون».

﴿سَوَاءٌ﴾ خبر ﴿تَكُونُ﴾. «يعني مثلهم كفّاراً تستونون أنتم وهم في الكفر بالله»^٢. وبعبارة أخرى: «أنهم كفروا وزادوا عليه أنهم ودّوا وأحبّوا أن تكفروا مثلهم فتستوا»^٣.

﴿فَ﴾ تفريعية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَتَّخِذُوا﴾ فعل نهي وفاعله أنتم أيها المؤمنون.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَتَّخِذُوا﴾.

١. سورة النساء / ٨٨.

٢. التبيان ٣ / ٢٨٤.

٣. الميزان ٥ / ٣٠.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول به. نهي الله سبحانه أن يتخذهم المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ويدخلوا في ولايتهم ويأخذوهم مديراً وناصرًا أو خليلاً أو صديقاً أو محبوباً أو
﴿حَتَّى﴾ حرف جرّ للغاية.

﴿يُهَاجِرُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾. وفاعله. أي: «حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا أهلها المشركين»^١.
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي: «في ابتغاء دين الله وهو سبيله»^٢.

وإذا هاجروا في سبيل الله يصيرون مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهو قول ابن عباس^٣.

وأما ما ذكر من أن «المراد من الهجرة الأعم من ترك المعاصي والنفاق ونبذ الأهل والأوطان؛ لأنها على أقسام، أهمها الهجرة عمّا يوجب سخط الله تعالى والدخول في ما يرضيه، وهي هجرة الأنبياء والأولياء عليهم السلام والصالحين، ففي الحديث: «المهاجر من هجر ما نهي الله عنه»، وهي على مراتب متفاوتة ودرجات مختلفة. ومثل هذه الهجرة واجبة بظاهر الآية الشريفة، وإن كانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان متوقفة على تحقق شروطها المذكورة في كتب الفقه»^٤.

فغير تام لما ورد من تفريع الأمر بالقتل عليه، مع إننا نعلم بعدم ترتب القتل على كثير من المعاصي.

﴿فَ﴾ تفريعية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَوَلَّوْا﴾ فعل ماض في محل جزم لأنه فعل الشرط وفاعله. «يعني هؤلاء المنافقين عن الاقرار بالله ورسوله وعن الهجرة عن دار الشرك ومفارقة أهله»^٥. وفيه

١. التبيان ٣/ ٢٨٤.

٢. التبيان ٣/ ٢٨٤.

٣. التبيان ٣/ ٢٨٤.

٤. مواهب الرحمن ٩/ ١٣٥.

٥. التبيان ٣/ ٢٨٤.

«دلالة على أنّ على المؤمنين أن يكلفوهم بالمهاجرة فإن أجابوا فليوالوهم وإن تولّوا فيقتلوهم»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿خُدُوهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به، جواب الشرط.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَقْتُلُوهُمْ﴾ معطوفة على ﴿خُدُوهُمْ﴾.

﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان متعلّق بـ ﴿أَقْتُلُوهُمْ﴾.

﴿وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية ﴿وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

في محلّ جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف. وقد أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بقتلهم حيث ما وجدوهم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ معطوفة على ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ في أوّل الآية وتعرب إعرابها.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور. ﴿وَلِيًّا﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا﴾ زائدة تأكيد للنهي.

﴿نَصِيرًا﴾ معطوفة على ﴿وَلِيًّا﴾. ﴿نَصِيرًا﴾ أي ناصرًا ينصركم على أعدائكم.

شأن نزولها وما بعدها

قال القمي: «فإنّها نزلت في أشجع وبني ضمرة، وهما قبيلتان، وكان من خبرهما أنّه لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة الحديبية، مرّ قريباً من بلادهم، وقد كان رسول الله ﷺ هادن بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منّا، ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة، أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: كلا، إنهم أبرّ العرب بالوالدين، وأوصلهم للرحم، وأوفاهم بالعهد.

وكانت أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة، وهم بطن من كنانة، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف بالمراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع

وأخصبت بلاد بني ضمرة، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فلما بلغ رسول الله ﷺ مسيرهم إلى بني ضمرة تهباً للمسير إلى أشجع ليغزوهم، للموادعة التي كانت بينه وبين بني ضمرة.

فأنزل الله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا...﴾ الآية، ثم استثنى بأشجع، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتَ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

وكانت أشجع محالها البيضاء والجبل والمستباح، وقد كانوا قربوا من رسول الله ﷺ فهابوا لقبهم من رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وكان رسول الله ﷺ قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، فهم بالمسير إليهم، فيينا هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها «مسعود بن رخيلة» وهم سبعمائة، فنزلوا شعب سلع، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة.

فدعا رسول الله ﷺ «أسيد بن حصين» فقال له: اذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع. فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم، فقال: ما أقدمكم؟ فقام إليه مسعود بن رخيلة وهو رئيس أشجع، فسلم على أسيد وعلى أصحابه، وقالوا: جئنا لنوادع محمداً. فرجع أسيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: خاف القوم أن أغزوهم، فأرادوا الصلح بيني وبينهم.

ثم بعث إليهم بعشرة أحمال تمر فقدمها أمامه، ثم قال: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. ثم أتاهم، فقال: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقل عدداً منا، فضقتنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقتنا بحرب قومنا لقلتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبي ﷺ ذلك منهم ووادعهم، فأقاموا يومهم، ثم رجعوا إلى بلادهم؛ وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ إلى قوله ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ الآية^١.

١. تفسير القمي / ١ (٢١٥-٢١٣).

قال الفقيه السيّد السبزواري: «الرواية من باب التطبيق لا التخصيص، ويستفاد منها أمور:

الأوّل: إنّما وداع رسول الله قبيلة بني ضمرة وعاهدهم لما فيهم من الصفات الحسنة التي تقربهم إلى الفطرة السليمة والإسلام، ولعلّ صلحه ﷺ معهم صار سبباً لإسلامهم فيما بعد.

الثاني: يستفاد من تقريره ﷺ للموادعة والمعاهدة التي كانت بين بني ضمرة وأشجع، أنّ كلّ معاهدة تكون بين الرهطين والقبيلتين تجوز إن لم تناف مع الأحكام الشرعية. والمراد من «ليغروهم» في الرواية، أي ليظهر ﷺ عجبه ورضاه للموادعة التي بين أشجع وبين بني ضمرة.

الثالث: يستفاد منها أنّ إهداء رسول الله ﷺ أحمال التمر لهم لأجل تأليف قلوبهم وترغيبهم لمناصرة الحق، أو لأجل أنّه ﷺ علم أنّ القوم بحاجة إلى ذلك، فأرسل إليهم ليسدّ حاجتهم حتّى يعرفوا بذلك خلقه الكريم ومعالم دينه الخفيف»^١.
أقول: قد روى عمر ابن شبّه نظير هذا الشأن كما في التبيان^٢.

سؤالان وجواباهما

«تسأل: إنّ الإسلام دين الحرية والتسامح مع جميع الطوائف وأهل الأديان، وشريعته تحافظ على حياة الناس، كل الناس، وحقوقهم المعنوية والمادية، بصرف النظر عن آرائهم ومعتقداتهم... فما باله هنا يأمر بأسر المنافقين وقتلهم أينما وجدوا؟
الجواب: فرق بعيد بين الطوائف وأهل الأديان، بل والملحدّين الذين أعلنوا عقائدهم وآراءهم على الملأ، ولم يضمروا العداوة لإنسان، ولا غدروا ولا تآمروا ولا ناصرُوا مبطلاً على محقّ، فرقٌ بعيد بين هؤلاء الذين لزموا جانب الحياد، وبين المنافقين الذين أظهرُوا الإسلام، وتستروا بكلمته، وبقوا في دار الكفر بقصد الكيد للمسلمين، والتآمر عليهم، ومناصرة أعدائهم... اذن: الأمر بأسر هؤلاء وقتلهم كان جزاء على عدائهم للإسلام في حين أنّهم أظهرُوا الإيمان به وأضمروا الكيد للنبي والمسلمين

١. مواهب الرحمن ٩/١٤٧.

٢. التبيان ٣/٢٨٦.

والغدر بهم، والتآمر عليهم... أما تسامح الإسلام مع بقية الطوائف وأهل الأديان فهو انسجام مع مبدأه في حماية الحرية لكل فرد، وعدم الاكراه في الرأي والعقيدة حقاً كانت أو باطلاً، ما دام وزرها على صاحبها فحسب، والناس في أمن منها ومنه.

سؤال ثانٍ: وشى به الجواب عن السؤال السابق، وهو أنّ الإسلام يتسامح مع المنافقين، تماماً كما يتسامح مَنْ غيرهم من الطوائف وأهل الأديان بدليل أنّ الله أمر نبيه بتجاهلهم والاغضاء عنهم، كما سبق في الآية ٦٣ من هذه السورة: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾؟

الجواب: ان هذه الآية أي ٦٣ نزلت في المنافقين الذين كانوا مع النبي ﷺ بالمدينة، ولم يكن في وسع هؤلاء أن يتعاونوا مع المشركين لبعدهم عنهم وقربهم من الرسول وقوة المسلمين، والآية التي نحن بصدددها، أي ٨٩ نزلت في المنافقين الذين أصروا على البقاء في دار الشرك للكيد والغدر بالمسلمين... هذا، إلى أنّ الله أمر نبيه بالاغضاء عن المنافقين حين كان الإسلام ضعيفاً قليل الأنصار، ثم أمره بقتلهم بعد أن أصبح قوياً كثير الأنصار، تماماً كما أمره بالصبر في مكة، والجهاد في المدينة^١.

رواية

وفي رسالة الصادق عليه السلام إلى شيعته وأصحابه: «... واعلموا أنّ المنكرين هم المكذّبون وأنّ المكذّبين هم المنافقون وأنّ الله ﷻ قال للمنافقين وقوله الحقّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^٢ ولا يفرقن أحد منكم ألزم الله قلبه طاعته وخشيته من أحد من الناس ممن أخرج الله من صفة الحقّ ولم يجعله من أهلها فإنّ من لم يجعل الله من أهل صفة الحقّ فأولئك هم شياطين الإنس والجنّ وإنّ لشياطين الإنس حيلة ومكرًا وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا أكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحقّ في الشكّ والإنكار والتكذيب فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٠١ و ٤٠٢.

٢. سورة النساء / ١٤٥.

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴿١﴾ ثُمَّ نَهَى اللَّهُ أَهْلَ النَّصْرِ بِالْحَقِّ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فَلَا يَهْوُلَنَّكُمْ وَلَا يَرْدَنَّكُمْ عَنِ النَّصْرِ بِالْحَقِّ الَّذِي خَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ حِيلَةٍ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَمَكْرِهِمْ مِنْ أُمُورِكُمْ تَدْفَعُونَ أَنْتُمْ السُّيِّئَةَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، تَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّكُمْ بِطَاعَتِهِ وَهُمْ لِأَخِيرِ عِنْدِهِمْ لَا يَجُلُّ لَكُمْ أَنْ تَظْهَرُوا وَهُمْ عَلَى أُصُولِ دِينِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوا مِنْكُمْ فِيهِ شَيْئًا عَادُوا عَلَيْهِ وَرَفَعُوهُ عَلَيْكُمْ وَجَاهِدُوا عَلَى هَلَاكِكُمْ وَاسْتِقْبَالِكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ النِّصْفَةُ مِنْهُمْ فِي دَوْلِ الْفُجَّارِ، فَاعْرِفُوا مَنْزِلَتَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْحَقِّ أَنْ يَنْزِلُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْزِلَةَ أَهْلِ الْبَاطِلِ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ أَهْلَ الْحَقِّ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَلَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ قَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿أَمْرٌ جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ١ أكرموا أنفسكم عن أهل الباطل ولا تجعلوا الله تبارك وتعالى - وله المثل الأعلى - وإمامكم ودينكم الذي تدينون به عرضة لأهل الباطل فتغضبوا الله عليكم فتهلكوا، الحديث «٢».

السند الثاني لهذه الرسالة عندي معتبر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٦﴾

استثنى الله ﷻ طائفتين من أمره تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ ٣ وهما:

- ١- الذين ينتهون إلى قوم معاهدين مع المسلمين.
- ٢- الذين يتخرجون من مقاتلة المؤمنين وكذا من مقاتلة قومهم المشركين أو لا يدخلون في هؤلاء وهؤلاء ويلقون إلى المؤمنين الصلح وعدم المعارضة.

١. سورة ص / ٢٨.

٢. الكافي ١٥ / (٣٥-٣٢)، ح ١ (٨ / ١١ و ١٢).

٣. سورة النساء / ٨٩.

﴿إِلَّا﴾ إداة استثناء.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ ١. شروع في المستثنى الأول.

﴿يَصِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي: يذهبون أو يعاهدون.

﴿إِلَى قَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَصِلُونَ﴾.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. والظرف متعلق بخبر مقدم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَبْتَهُمُ﴾ معطوفه ومضاف إليه.

﴿مِيثَاقٌ﴾ متبداً مؤخر، أي معاهدة في ترك الحرب والقتال والعداوة والتعرض.

والجملة الاسمية ﴿بَيْنَكُمْ وَيَبْتَهُمُ مِيثَاقٌ﴾ في محل جر نعت لـ﴿قَوْمٍ﴾.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. وما بعدها شروع في المستثنى الثاني.

﴿جَاءُوكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به.

﴿حَصِرَتْ﴾ فعل ماض مؤنث. ﴿حَصِرَتْ﴾ أي ضاقت ومعناه: قد ﴿حَصِرَتْ﴾

«لأنه في موضع الحال والماضي إذا كان المراد به الحال قُدِّرَ معه قد، كما يقولون: جاء

فلان وذهب عقله. والمعنى قد ذهب عقله» ٢. «وكلُّ مَنْ ضاقت نفسه عن شيءٍ من

فعل أو كلام يقال: قد حصر» ٣.

﴿صُدُّوهُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُقْتَلُوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. ﴿أَنْ﴾ وما بعدها بتأويل

مصدر في محل جر بحرف جر محذوف تقديره: عن مقاتلتكم.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿يُقْتَلُوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. معطوف.

﴿قَوْمَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم.

﴿شَاءَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.

١. سورة النساء / ٨٩.

٢. التبيان ٣ / ٢٨٦.

٣. التبيان ٣ / ٢٨٦.

﴿سَلَطَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.
 ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَلَطَهُمْ﴾. ومنّة من الله على المؤمنين و «إخبار
 عن قدرته تعالى على ذلك لو شاء ولكنّه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتّى
 يفزعوا ويطلبوا المودعة والمسألّة»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة تفرعية.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ معطوفة على ﴿لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿قَتَلُوكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، من تفرّيع القتال على السلطة يظهر
 كلّ مَنْ ابتداءً بقتال يرى لنفسه التسلّط على غيره.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَعْتَرَلُوكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط. أي:

ولم يتعرّضوا لكم ولم يقاتلوكم.

﴿وَ﴾ عاطفة تفرعية. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُقْتَلُوكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَلْفَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَلْفَوْا﴾.

﴿أَلْسَلَمَ﴾ مفعول به. أي الصلح والتسليم والاستسلام.

﴿وَ﴾ واقعة في جواب شرط. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿جَعَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي ﴿فَمَا﴾ أذن الله.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾.

﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به. أي ليس لكم سبيل على الاعتداء عليهم وقتالهم، لـ «أنّ

الله تعالى لم يشرّع القتال إلّا إذا اعتدى على المؤمنين. وكان رسول الله ﷺ لا يقاتل
 أحداً وقد تنحّى عنه واعتزله حتّى نزلت سورة التوبة وأمر بقتل المشركين، اعتزلوه أو
 لم يعتزلوه، إلّا مَنْ قد كان على عهدٍ مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسَلَخَ

الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴿٢٠١﴾.

وهذه الآية الشريفة غير منسوخة على خلاف ما قاله السيوطي: «أخرج أبو داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ الآية قال نسختها [سورة] براءة: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ٤٣».

لوورد نظيرها في غيرها من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^٥ وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾^٦ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^٧ إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى المحبة والأخوة والمساواة.

تذكير

قال الفخر الرازي: «واعلم أن ذلك يتضمن بشارة عظيمة لأهل الإيمان لأنه تعالى لما رفع السيف عمّن التجأ إلى من التجأ إلى المسلمين فبأن يرفع العذاب في الآخرة عمّن التجأ إلى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى والله أعلم»^٨.
ولا شك أن محبة أهل بيت رسول الله ﷺ هي محبة الله ومحبة رسوله لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^٩.

١. سورة التوبة / ٥.

٢. مواهب الرحمن ٩ / ١٣٩.

٣. سورة التوبة / ٥.

٤. الدر المشور ٢ / ١٩١.

٥. سورة الشورى / ٤٢.

٦. سورة الممتحنة / ٢٣.

٧. سورة الأنفال / ٦١.

٨. التفسير الكبير ١٠ / ٢٢٣.

٩. سورة الشورى / ٢٣.

الروايات

صحيحة الفضل أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ قال: نزلت في بني مدلج لأنهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إنا قد حصرنا صدورنا أن نشهد أنك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: واعدتهم إلى أن يفرغ من العرب ثم يدعوهم فإن أجابوا وإلا قاتلهم. ١
عن سيف بن عميرة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾، قال: كان أبي يقول: نزلت في بني مدلج، اعتزلوا فلم يقاتلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكونوا مع قومهم.
قلت: فما صنع بهم؟ قال: لم يقاتلهم النبي عليه وآله السلام حتى فرغ من عدوه، ثم نبذ إليهم على سواء.

قال: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هو الضيق. ٢

قال أبو جعفر عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ قال: هو هلال بن عويمر السامي. واثق عن قومه ألا تخيف يا محمد من أتاك ولا نخيف من أانا. ٣

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُواهُمْ وَأَقْتَلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَوْلِيَّكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُبِينًا﴾ ﴿١١﴾

إخبار غيبي عن قوم يشابهون أنفسهم بالطائفة الثانية من المستثنى في الآية السابقة وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾

١. الكافي ١٥/٧٢٦، ح ٥٠٤ (٣٢٧/٨).

٢. تفسير العياشي ١/٤٢٤، ح ٢١٨.

٣. التبيان ٣/٢٨٥؛ مجمع البيان ٣/٨٨.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُقْبِتْوْكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا^١ ولكنهم ليسوا منهم بل هم قوم منافقون غير مأمونين في معاهدتهم ومصالحتهم وموادعتهم لأنهم «قوم لم يهتدوا بهدى الإسلام، ولم يستقر الإيمان في قلوبهم، فقد أسلموا رياءً ليأمنوا بطش المؤمنين، وكفروا بالحق ليأمنوا قومهم، فهم مذنبون لا يهتمهم إلا حفظ أنفسهم وسلامة أبدانهم، وقد أخبر ﷺ بأنهم منافقون؛ ليحذر المؤمنون منهم فلا يوادعونهم كما لا يوادعونهم.

ومضمون الآية المباركة لا يختص بعصر النزول، فإن أهل الحق على ابتلاء بمثل هؤلاء الطائفة في كل عصر، وأتتهم يعانون من نفاقهم، وعدم خضوعهم أمام الواقع، وعدم إذعانهم بالحق واتباعه^٢.

﴿س﴾ حرف استقبال للقريب.

﴿تَجِدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، والخطاب للمؤمنين.

﴿ءَاخِرِينَ﴾ مفعول به، يعني قوماً ﴿ءَاخِرِينَ﴾ غير من ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ الخ.

وهم يدعون مشابهم وليس منهم.

﴿يُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى قوم ﴿ءَاخِرِينَ﴾. و

﴿يُرِيدُونَ﴾ في محل نصب حال أي حال كونهم ﴿يُرِيدُونَ﴾.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَأْمُنُوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. ﴿أَنْ يَأْمُنُوكُمْ﴾ بتأويل

مصدر في محل نصب مفعول به ﴿يُرِيدُونَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَأْمُنُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. معطوفة.

﴿قَوْمُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿كُلَّ﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية متعلق بشبه جواب الشرط.

﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿رُدُّوْا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. ﴿مَا رُدُّوْا﴾ بتأويل مصدر في محل جرّ

١. سورة النساء / ٩٠.

٢. مواهب الرحمن / ٩ / ١٣٩.

بالإضافة. ومضافه ﴿كُلَّ﴾.

﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿رُدُّوْا﴾. الفتنة: في اللغة الاختبار والمراد بها هنا الكفر والشرك.

﴿أَرْكُسُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله. الإركاس: الرجوع والردّ. أي: كلما نهبوا عن الكفر والشرك، عادوا ورجعوا إليه.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْكُسُوا﴾. أي: وقعوا فيها، «كلما سنحت الفرصة إلى الفتنة - وهي الكفر ومساعدة الكفار على المؤمنين - تحوّلوا إليها بسهولة شرّ تحوّل، وانتكسوا من العهد والأيمان، وعادوا إلى الكفر أقبح عود»^١.

﴿فَ﴾ تفرعية أو استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَعْتَرِزُوكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. فعل الشرط.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُلْقُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. معطوفة على ﴿لَمْ يَعْتَرِزُوكُمْ﴾.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُلْقُوا﴾. ﴿السَّلَامَ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَكْفُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

فهذه شروط ثلاثة يوجب قتالهم وهنّ:

١- لم يعتزلوا عن قتال المسلمين بل تعرّضوا للقتال.

٢- ولم يلقوا السّلم والصلح والمداهنة للمسلمين.

٣- ولم يكفوا أيديهم عن إيذاء المسلمين وقتالهم وتحريضهم على قتالهم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿خَذُوهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. جواب الشرط. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَقْتُلُوهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. معطوفة على ﴿فَخَذُوهُمْ﴾.

﴿ حَيْثُ ﴾ اسم في محل نصب على الظرفية المكانية وهو هنا بمعنى: «أين».

﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. أي وجدتموهم أو أصبتموهم أو ظفرتهم بهم أو تمكنتهم منهم.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ.

﴿ جَعَلْنَا ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر. ﴿ لَكُمْ ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿ جَعَلْنَا ﴾.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ جارٍ ومجرور في محلِّ نصب بمنزلة مفعول الثاني ﴿ جَعَلْنَا ﴾. أو متعلقاً بحال مقدمة من ﴿ سُلْطَنًا ﴾.

﴿ سُلْطَنًا ﴾ مفعول به أوّل. السلطان: الحجة الظاهرة لأنَّ صاحبها يتسلط بها على خصمه. أو التسلط الظاهر عليهم حيث أذن الله ﷻ في قتلهم.

﴿ مُبَيَّنًا ﴾ نعت.

تنبيه

«هذا دليل من عشرات الأدلة التي يقدمها القرآن الكريم، والسنة النبوية على أنّ الخط الأساسي لدين الإسلام أن لا قتل ولا قتال إلا لردع من قاتل وسعى فساداً في الأرض: ﴿ وَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ١... ﴿ وَقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ ٢... إذن، الإسلام سوِّغ القتال، حيث سوَّغته جميع الشرائع قديماً وحديثاً، وأوجبه جميع العقول... ورغم هذه الأدلة وغيرها فإن أعداء الإسلام أبوا إلا أن يقولوا: أنه دين السيف والقتال، تماماً كالذي قال: عنزة وإن طارت» ٣.

تذكير

قال الشيخ: «قال قوم: الآية منسوخة وأنَّ مَنْ لم يحارب مع المؤمنين، وجب قتاله. واختار هو أنَّها غير منسوخة. قال: لأنَّه لا دليل على ذلك» ٤.

١. سورة البقرة / ١٩٠.

٢. سورة البقرة / ١٩٣.

٣. التفسير الكاشف / ٢ / ٤٠٥.

٤. التبيان / ٣ / ٢٨٩.

رواية

قال القمي: نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجذبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ ووادعه على أن يُقيم ببطن نخل، ولا يتعرض له، وكان منافقاً ملعوناً، وهو الذي سماه رسول الله ﷺ: الأحمق المطاع في قومه. ١
وقال الطبرسي: وهو المروي عن الصادق عليه السلام. ٢

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

بعد أن عرّض في الآيات السابقة إلى احترام المال واحترام العرض عرّض إلى أصل مهم آخر من أصول الشريعة الإسلامية وهو احترام الدم ولزوم حفظ النفوس المحترمة وبيّن حكم القتل خطأً وحكم الكفارة المترتبة عليه والدية.
﴿ وَ ﴾ استنافية. ﴿ مَا ﴾ نافية في مقام ناهية. ﴿ كَانَ ﴾ فعل ماض تام أو ناقص.
﴿ لِمُؤْمِنٍ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ كَانَ ﴾ تامة، أو بخبر مقدم لـ ﴿ كَانَ ﴾ ناقصة.

﴿ أَنْ ﴾ مصدرية ناصبة، ﴿ أَنْ ﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل رفع فاعل ﴿ كَانَ ﴾ تامة أو اسم مؤخر ﴿ كَانَ ﴾ ناقصة.
﴿ يَقْتُلُ ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿ مُؤْمِنٍ ﴾.
﴿ مُؤْمِنًا ﴾ مفعول به، أي لم يأذن الله ولا يجوز ﴿ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾ في

١. تفسير القمي / ٢١٥.

٢. مجمع البيان / ٣ / ٨٩.

الشريعة بل «تدلّ على نفي الشأن الذي هو أبلغ من نفي الفعل، أي لا يوجد في المؤمن بعد دخوله في حريم الإيمان اقتضاء لقتل مؤمن أبداً، بل لا يليق بحاله، ولا ينبغي له قتل من تشرف بالإيمان بالله ورسوله مطلقاً، أي قتل كان... والآية الشريفة وإن كانت لنفي الشأن والاقتضاء، لكنّها متضمّنة للحكم التكليفي، فتنهى عن القتل، فيكون النفي بمعنى النهي للمبالغة وشدة التنزيه عن ارتكاب القتل»^١.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿حَطَأًا﴾ بفتح حاءين من غير مدّ، ومع المدّ على فعال، ومعناه «خلاف الصواب والمراد به هنا ما يقابل التعمّد لمقابلته بها في الآية التالية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾^٢». والاستثناء «منقطع في قول أكثر المفسرين وتقديره: إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ ﴿حَطَأًا﴾ وليس ذلك ممّا جعل الله له»^٤.

ويمكن أن تكون متصلاً «فيعود معنى الكلام إلى أن المؤمن لا يريد قتل المؤمن بما هو مؤمن بأن يقصد قتله مع العلم بأنه مؤمن»^٥.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل رفع على الابتداء وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿قَتَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط.

﴿مُؤْمِنًا﴾ مفعول به.

﴿حَطَأًا﴾ نعت لمفعول مطلق محذوف تقديره: قتلاً ﴿حَطَأًا﴾، وكذلك ﴿حَطَأًا﴾ السابقة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

١. مواهب الرحمن ٩/ ١٥٢.

٢. سورة النساء / ٩٣.

٣. الميزان ٥/ ٣٨.

٤. التبيان ٣/ ٢٨٩.

٥. الميزان ٥/ ٣٩.

٢٤٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿تَحْرِيرٌ﴾ مبتدأ مؤخر، وخبره المقدم محذوف تقديره: عليه ﴿تَحْرِيرٌ﴾. أي اعتاق وهو جعل المملوك حرّاً.

﴿رَقَبَةٌ﴾ مضاف إليه. أي نسمة ونفس.

﴿مُؤْمِنَةٌ﴾ نعت. فلا بدّ للقاتل كفارة العتق وإن عجز ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ كما يأتي في الآية الشريفة وإن عجز فإطعام ستين مسكيناً كما في السنة وفي قتل العمدة لا بدّ من كفارة الجمع، وتفصيلها يطلب من كتاب الكفارات في الفقه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿دِيَةٌ﴾ معطوفة على ﴿تَحْرِيرٌ﴾ وواجب آخر غير ﴿تَحْرِيرٌ﴾ وهي مال يُعطي عوضاً من النفس أو العضو ومقدارها في النفس: ألف دينار ذهباً يعادل ٣ كيلوات و ٤٥٦ غراماً من الذهب المسكوك. أو عشرة آلاف درهم فضة يعادل ٢٤ كيلوات و ١٩٠ غراماً من الفضة المسكوكة.

أو مائة جمل - دخل في السادس من عمره - أو مائة بقرة كذلك، أو ألف شاة أو مائة حلة يمنية معروفة.

وتعيين الدية في القتل الخطأ وشبهه للقاتل وفي العمدة لأولياء المقتول ولا يجوز التلفيق بين الأمور الستة.

وفي أداء قيمة كل من الأمور الستة لا بدّ من موافقة الطرفين - القاتل وأولياء المقتول - .

وتزداد الدية بمقدار الثلث في الأشهر الحرم وهي: محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة.

ويجوز لهما - القاتل وأولياء المقتول - التوافق على ما يكون أقلّ من هذه الأمور وفي القتل العمدة على أكثرها والدية في القتل الخطأ على عاقلة القاتل وهم البالغون العقلاء الأغنياء من الذين يتقربون إلى القاتل بالأب وفي شبه العمدة والعمد على نفس القاتل.

دِيَةٌ قتل العمدة تُؤدّى في سنة والخطأ في ثلاث سنين وفي ثلاثة أقساط ودية قتل شبه العمدة في سنتين وفي قسطين، ولكن يجوز التوافق بينهما في النقد والأقساط.

وتأتي تعاريف القتل الثلاثة في ذيل الآية الآتية فانتظر.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ نعت.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. أي: تسليم الدية

المذكورة إلى أهل المقتول.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَصَدَّقُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى اولياء

المقتول. أصله: يتصدقوا فحذفت التاء تخفيفاً فشدد الصاد أو ادغمت التاء في الصاد

لقرب مخرجهما.

﴿أَنَّ يَصَدَّقُوا﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مستثنى بـ﴿إِلَّا﴾. أي تجب أداء

الدية إلا مع تصدق وعتق أولياء المقتول.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يرجع إلى المؤمن المقتول. في

محل جزم لأنه فعل الشرط.

﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿عَدُوٍّ﴾ نعت لـ﴿قَوْمٍ﴾. وهم الكفار المحاربون.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿عَدُوٍّ﴾.

﴿وَ﴾ حالية والجملة الاسمية بعدها في محل نصب على حال.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿مُؤْمِنٌ﴾ خبره.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿تَحْرِيرٌ﴾ مبتدأ مؤخر كما مر.

﴿رَقِيَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ مرّت إعرابها. ولادية حينئذٍ إذ لا يرث الكافر من المؤمن شيئاً.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾ مرّت إعرابها.

﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ معطوفة ومضاف إليه.

﴿مِيثَاقٌ﴾ مبتدأ مؤخر. الميثاق: مطلق العهد. والجملة الاسمية ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

مِيثَاقٌ﴾ في محل جر صفة لـ﴿قَوْمٍ﴾.

﴿ فَ ﴾ واقعة في جواب الشرط.
 ﴿ دِيَّةٌ ﴾ مبتدأ مؤخر وخبره المقدم محذوف تقديره: عليه ﴿ دِيَّةٌ ﴾.
 ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ نعت لـ ﴿ دِيَّةٌ ﴾.
 ﴿ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾. أي إلى أهل
 المقتول.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ تَحْرِيْرٌ ﴾ معطوفة على ﴿ دِيَّةٌ ﴾.
 ﴿ رَقِيَّةٌ ﴾ مضاف إليه. ﴿ مُؤْمِنَةٌ ﴾ نعت ﴿ فَ ﴾ استثنائية.
 ﴿ مَنْ ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. ﴿ لَمْ ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
 ﴿ يَجِدُ ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله فعل الشرط، و ﴿ لَمْ ﴾ يقدر على العتق كما
 في زماننا هذا حيث لم يجد الرق.

﴿ فَ ﴾ واقعة في جواب الشرط.
 ﴿ صِيَامٌ ﴾ مبتدأ مؤخر وخبره المقدم محذوف تقديره: عليه ﴿ صِيَامٌ ﴾.
 ﴿ شَهْرَيْنِ ﴾ مضاف إليه. ﴿ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ نعت.
 ﴿ تَوْبَةً ﴾ مفعول لأجله. أي يصوم لأجل التوبة أو يكفّر لها.
 ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿ تَوْبَةً ﴾.
 ﴿ وَ ﴾ استثنائية. ﴿ كَانِ ﴾ فعل ماض ناقص.
 ﴿ أَلَّهِ ﴾ اسم ﴿ كَانِ ﴾. ﴿ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴾ خبرا ﴿ كَانِ ﴾.

شأن نزولها

قال الواحدي: «نزلت الآية في عياش بن أبي ربيعة إنّه: «أسلم وخاف أن يظهر إسلامه فخرج هارباً إلى المدينة، فقدمها ثم أتى أطماً^١ من أطامها، فتحصن فيه، فجزعت أمه جزعاً شديداً، وقالت: لا بنيتها أبي جعل والحارث بن هشام - وهما أخواه لأمة - : والله لا يظلني سقف بيت، ولا أذوق طعاماً ولا شراباً، حتى تأتوني به، فخرجوا في طلبه وخرج معهم الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة، فأتوا

١. الأطم (بالضم) بناء مرتفع، وفي الحديث: «إن بلال كان يؤذن على أطم»، وأطم المدينة أبنيتها المرتفعة كالحصون والجبال.

عِيَّاشًا فِي الْأَطَمِّ، فَقَالَا لَهُ: أَنْزِلْ فَإِنَّ أُمَّكَ لَمْ يُوْوِهَا سَقْفَ بَيْتِ بَعْدِكَ، وَقَدْ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَأْكُلَ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهَا، وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَكْرَهَكَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا نَحْوِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ دِينِكَ، فَلَمَّا ذَكَرَا لَهُ جِزْعَ أُمِّهِ وَأَوْثَقَا لَهُ نِزْلَ إِلَيْهِمْ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَوْثَقُوهُ بِنِسْعٍ، وَجَلَدَهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ جَلْدَةٍ، ثُمَّ قَدَمُوا بِهِ عَلَى أُمَّةٍ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، لَا أَحَلِّكَ مِنْ وَثَاقِكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِالَّذِي آمَنْتَ بِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ مَوْثِقًا فِي الشَّمْسِ وَأَعْطَاهُمْ بَعْضَ الَّذِي أَرَادُوا، فَأَتَاهُ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدٍ وَقَالَ: يَا عِيَّاشُ، وَاللَّهِ لَنْ كَانَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ هُدًى لَقَدْ تَرَكْتَ الْهُدَى، وَإِنْ كَانَ ضَلَالَةً لَقَدْ كُنْتَ عَلَيْهَا، فغَضِبَ عِيَّاشُ مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَلْقَاكَ خَالِيًّا إِلَّا قَتَلْتُكَ، ثُمَّ إِنَّ عِيَّاشًا أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ يَزِيدٍ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ وَلَيْسَ عِيَّاشُ يَوْمَئِذٍ حَاضِرًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِإِسْلَامِهِ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ بظَهْرِ قَبَاءٍ إِذْ لَقِيَ الْحَارِثَ بْنَ يَزِيدٍ، فَلَمَّا رَأَى حَمْلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ؟! إِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ، فَرَجَعَ عِيَّاشُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرُ الْحَارِثِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَإِنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِإِسْلَامِهِ حِينَ قَتَلْتَهُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ ٢.

رواها البيهقي في سننه^٣ وابن حجر في الإصابة^٤ في ترجمة الحارث بن يزيد، وعن طريق الخاصة رواها أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام^٥.

الروايات

صحيححة عبدالرحمن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: كانت الدية في الجاهلية مائة من الإبل فأقرها رسول الله ﷺ ثم إنه فرض على أهل البقر مائتي بقرة

١. الظاهر أن عياشاً لم يسلم مرتين، وما أعطاهم من كفره لم يكن عن عقيدة وإنما كان لدفع الظلم عن نفسه، وذلك لا يضر بإسلامه الذي كان عن عقيدة.

٢. اسباب نزول القرآن ١/ ١٧٣، رقم ٣٤٣؛ ونقل عنه في مواهب الرحمن ٩/ ١٦٦.

٣. سنن البيهقي ٨/ ٧٢.

٤. الإصابة ١/ ٢٩٥.

٥. التبيان ٣/ ٢٩٠؛ مجمع البيان ٣/ ٩٠.

وفرض على أهل الشاة ثنية^١ وعلى أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق عشرة آلاف درهم، وعلى أهل اليمن الحلل مائة حلّة، قال عبدالرحمن بن الحجاج: فسألت أبا عبد الله عليه السلام عما روى ابن أبي ليلي فقال: كان علي عليه السلام يقول: الدية ألف دينار وقيمة الدينار عشرة دراهم وعشرة آلاف [درهم] لأهل الأمصار وعلى أهل البوادي الدية مائة من الإبل ولأهل السواد مائتا بقرة أو ألف شاة.^٢

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الدية عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، قال جميل: قال أبو عبد الله عليه السلام: الدية مائة من الإبل.^٣
حسنة كليب الأسدي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقتل في الشهر الحرام ما ديته؟ قال: دية وثلاث.^٤

صحيحة أبي ولاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقول: تستأدى دية الخطأ في ثلاث سنين وتستأدى دية العمد في سنة.^٥

صحيحة معمر بن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرجل يظاهر من امرأته يجوز عتق المولود في الكفارة؟ فقال: كل العتق يجوز فيه المولود إلا في كفارة القتل فإن الله تعالى يقول: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني بذلك مقرة قد بلغت الحنث.^٦
عن مسعدة بن صدقة، قال: سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾.

قال: أمّا تحرير رقبة مؤمنة ففيها بينه وبين الله، وأمّا الدية المسلمة إلى أولياء المقتول ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ قال: وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فيما بينه وبين الله، وليس عليه الدية.

١. الثنية من الغنم ما دخل في السنة الثالثة ومن البقر كذلك ومن الإبل ما دخل في السادسة (النهاية).
٢. الكافي ١٤/٣٠١، ح ١ (٢٨٠/٧).
٣. الكافي ١٤/٣٠٤، ح ٥ (٢٨١/٧).
٤. الكافي ١٤/٣٠٥، ح ٦ (٢٨١/٧).
٥. الكافي ١٤/٣٠٧، ح ١٠ (٢٨٣/٧).
٦. الكافي ١٤/٧٨٨، ح ١٥ (٤٦٢/٧).

﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ. ١﴾

عن حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

قال: إذا كان من أهل الشرك ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فيما بينه وبين الله، وليس عليه دية ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ قال: قال: تحرير رقبته مؤمنة فيما بينه وبين الله، ودية مسلمة إلى أوليائه. ٢
عن كردويه الهمداني، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني مقبرة، وقد بلغت الحنث. ٣

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، في رجل مسلم كان في أرض الشرك، فقتله المسلمون، ثم علم به الإمام بعد؟ قال: يُعْتَقُ مَكَانَهُ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾. ٤

وفي رواية أبي الصباح الكناني، عنه عليه السلام: صوم شعبان، وشهر رمضان ﴿تَوْبَةً﴾ والله ﴿مِنْ اللَّهِ﴾. ٥

والروايات الواردة حول الآية الشريفة كثيرة فإن شئت راجع تفسير العياشي^٦ والبرهان^٧ ونورالثقلين^٨ من التفاسير الروائية.

١. تفسير العياشي ١/٤٢٥، ح ٢١٩.
٢. تفسير العياشي ١/٤٢٥، ح ٢٢٠.
٣. تفسير العياشي ١/٤٢٦، ح ٢٢٢.
٤. تفسير العياشي ١/٤٢٩، ح ٢٣٢.
٥. تفسير العياشي ١/٤٣٠، ح ٢٣٦.
٦. تفسير العياشي ١/٤٢٥ وما بعدها..
٧. البرهان في تفسير القرآن ٢/١٤٧.
٨. نورالثقلين ٢/١٢٢.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

بيان لعقاب قاتل المؤمن بالقتل العمد وشدة عذابه وما يترتب على القتل حفظاً
للدماء وتحكياً لقواعد المجتمع البشري.
والقتل على أقسام ثلاثة:

١- القتل العمد: إذا تحقق القصد إلى القتل من البالغ العاقل ولو بها لا يكون
قاتلاً غالباً ولكن ترتب عليه القتل، «بل الأظهر تحقق العمد بقصد ما يكون قاتلاً
عادة وإن لم يكن قاصداً القتل ابتداءً»^١ فعليه القصاص والكفارة الجمع.

٢- القتل شبه العمد: إذا كان القاتل قاصداً في فعله مخطئاً في قصده كمن ضرب
صبيّاً للتأديب فمات، فعليه الدية والكفارة.

٣- القتل الخطأ المحض: إذا كان القاتل مخطئاً في فعله وقصده، وهو المذكور في
الآية السابقة وقد مرّ أنّ الدية كانت على عاقلة القاتل وعليه الكفارة.
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتنا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿يَقْتُلُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَنْ﴾ لأنه فعل الشرط وفاعله. والقتل: هو
إزهاق الروح.

﴿مُؤْمِنًا﴾ مفعول به وتنوينه يدلّ على الوحدة أي مؤمناً واحداً. والمراد بالمؤمن
هنا المسلم والمؤمن بأحد الأديان الإلهية فلا يجوز قتل من يؤمن بالله تعالى وأحد
الأنبياء الماضين ﷺ الشاهد عليه مقالة الشيخ حيث يقول: «... ولو سلمنا أنّ الآية
الاولى [أي السابقة] تختص المسلمين، لم يلزم أن تختص الثانية بهم، بل لا يمتنع أن يراد
بها الكفار على وجه الخصوص أو الكفار والمسلمين على وجه العموم»^٢.

١. مباني تكملة المنهاج ٣/٢، الجزء الثاني والأربعون من موسوعة الإمام الخوئي رحمته الله.
٢. التبيان ٣/٢٩٦.

ولعل المراد به النفس المحترمة، فيكون الأصل الأوّلي في الدماء الحظر والمنع إلا ما خرج بالدليل.
﴿مُتَعَمِّدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَقْتُلُ﴾. العمد: القصد إلى الفعل بعنوانه الذي له.

قال الشيخ: «اختلفوا في صفة قتل العمد، فعندنا أنّ من قصد قتل غيره بما يقتل مثله في غالب العادة سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو مثقلة من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تفريق أو موالاة ضرب بالعصا حتى يموت أو بحجارة ثقيلة فإنّ جميع ذلك عمد يوجب القود، وبه قال إبراهيم، وعبيد بن عمير، والشافعي، وأصحابه، واختاره الطبري.

وقال قوم: لا يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد. ذهب إليه سعيد بن المسيب، وإبراهيم، والشافعي في رواية أخرى، وطاوس وأبو حنيفة وأصحابه غير أنّ عندنا أنه إذا قتله بغير حديدة فلا يستقاد منه إلا بحديدة. وقال الشافعي يستقاد منه بمثل ما قتل به.

فأما القتل شبيه العمد فهو أنّ يضره بعضاً أو غيرها ممّا لم تجر العادة بحصول الموت عنده، فإذا مات منه، كان شبيه العمد، وفيه الدية مغلظة في مال القاتل خاصة لا يلزم العاقلة. وقد بينا اختلاف الفقهاء في مسائل الخلاف في هذه المسألة»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. الجزاء هو العقاب هنا.

﴿جَهَنَّمَ﴾ خبره. والجملة الاسمية ﴿جَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ﴾ في محل جزم جواب

الشرط.

﴿خَلِدًا﴾ حال من الضمير مضاف إليه في ﴿جَزَاؤُهُ﴾. ﴿خَلِدًا﴾: مؤبداً في

﴿جَهَنَّمَ﴾ وغضب الله عليه.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَلِدًا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿غَضِبَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ﴾ هو ارادة عقابه والاستخفاف به.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿غَضِبَ﴾. والضمير يرجع إلى القتال.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَعَنَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ الضمير الظاهر

ومفعول به يرجع إلى القتال. معطوفة على ﴿غَضِبَ﴾. ﴿لَعَنَهُ﴾: أبعد من ثوابه ورحمته.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَعَدَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعَدَّ﴾، والضمير يرجع إلى القتال.

﴿عَذَابًا﴾ نعت. أي لا يعلمون قدر مبلغه لكثرتة ولا يعلم قدره ولاكنه أحدٌ

إلا الله تعالى.

ظهور الآية الشريفة هو خلود القتال العامد في نار جهنم ولكن بآيات الغفران

والتوبة تقيّد بعدم التوبة لأن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^١ وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^٢ وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^٣ وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾^٤.

الروايات

موثقة سماعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ قال: من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد الذي

قال الله ﷻ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ قلت: فالرجل يقع بينه وبين الرجل شيء فيغير

١. سورة النساء / ٤٨ و ١١٦.

٢. سورة الزمر / ٥٣.

٣. سورة الرعد / ٦.

٤. سورة فصلت / ٤٣.

به بسيفه فيقتله؟ قال: ليس ذلك المتعمد الذي قال الله ﷻ. ١

صحيحة عبدالله بن سنان وابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً أله توبة؟ فقال: إن كان قتله لإيماؤه فلا توبة له وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أمر الدنيا فإن توبته أن يقاد منه وإن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية وأعتق نسمة وصام شهرين متتابعين وأطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله ﷻ. ٢

صحيحة أخرى لعبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن رجل قتل مؤمناً وهو يعلم أنه مؤمن غير أنه حمله الغضب على قتله هل له توبة إذا أراد ذلك أو لا توبة له؟ فقال: يقاد به وإن لم يعلم به انطلق إلى أوليائه فأعلمهم أنه قتله فإن عفوا عنه أعطاهم الدية وأعتق رقبة وصام شهرين متتابعين وتصدق على ستين مسكيناً. ٣

خبر عيسى الضرير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل قتل رجلاً متعمداً ما توبته؟ قال: يمكن من نفسه، قلت: يخاف أن يقتلوه قال: فليعطهم الدية، قلت: يخاف أن يعلموا بذلك؟ قال: فلينظر إلى الدية فليجعلها صرراً ثم لينظر مواقيت الصلوات فليلقها في دارهم. ٤

معتبرة السيد عبدالعظيم بن عبدالله الحسيني عن أبي جعفر الجواد عن أبيه عن جده قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قتل النفس من الكبائر لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. ٥

صحيحة ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله ﷻ. ٦

١. الكافي ١٤/٢٨٩، ح ١ (٢٧٥/٧).

٢. الكافي ١٤/٢٩٠، ح ٢ (٢٧٦/٧).

٣. الكافي ١٤/٢٩١، ح ٣ (٢٧٦/٧).

٤. الكافي ١٤/٢٩١، ح ٤ (٢٧٦/٧).

٥. علل الشرائع ٢/٤٧٨، ح ٢.

٦. عقاب الأعمال ٣٢٦، ح ١.

صحیحة أبان عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمّن قتل نفساً متعمداً

قال: جزاؤه النار. ١.

خبر جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: أول ما يحكم الله تعالى فيه يوم القيامة الدماء فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك، فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتف الله حديثاً. ٢.

معتبرة سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: أن يا موسى قل للملأ من بني إسرائيل: إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلتها في النار مائة ألف قتلة مثل قتله صاحبه. ٣.

معتبرة أبي الجارود عن محمد بن علي عليه السلام قال: ما من نفس تقتل في طاعة الله تعالى أثيب القاتل الجنة وذهب بالمقتول إلى النار، وإن كان في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلتك، ثم يفعل الله فيها بعد مشيئته. ٤.

صحیحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً وقال: لا يوفّق قاتل المؤمن للتوبة أبداً. ٥.

قال الشيخ: وقد روى أصحابنا أن الآية متوجهة إلى من يقتل المؤمن لإيمانه، وذلك لا يكون إلا كافراً. ٦.

١. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ١.

٢. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ٣.

٣. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح ٨.

٤. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح ٥.

٥. التهذيب ١٠ / ١٦٥، ح ٣٩.

٦. التبيان ٣ / ٢٩٥.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلْمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

الإسلام دينُ أمانٍ ولذا «خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين الذين إذا ضربوا في الأرض بمعنى ساروا فيها للجهاد أن يتأتوا في قتال من لا يعلمون كفره، ولا إيمانه، وعن قتل من يظهر الإيمان وإن ظن به الكفر باطناً. ولا يعجلوا حتى يبين لهم أمرهم فإتهم إن بادروا ربما أقدموا على قتل مؤمن. ولا يقتلوا من استسلم لهم، وكفَّ عن قتالهم، وأظهر أنه أسلم. وألا يقولوا لمن هذه صورته: لست مؤمناً، فيقتلوه طلب عرض ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني متاع الحياة الدنيا الذي لا بقاء له. فان ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وفواضل جسيمة فهو خير لكم إن أطعتم الله فيها أمركم به، وانتهيتم عما نهاكم عنه»^١.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿إِذَا﴾ ظرفية زمانية، متضمنة معنى الشرط.

﴿ضَرَبْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محلِّ جرٍّ بالإضافة. الضرب: السير في الأرض

والسفر، سمي السفر ضرباً، لأنه يحصل بضرب الأرض بالأرجل.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جارٌّ ومجرور ومضاف إليه. والأولان يتعلقان بـ﴿ضَرَبْتُمْ﴾.

وتقييد الضرب بـ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ «يدلُّ على أن المراد به الخروج للجهاد»^٢. والغزو في

سبيل الله.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿تَبَيَّنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. التفعّل: بمعنى الاستفعال الدال

١. التبيان ٣/ ٢٩٧.

٢. الميزان ٥/ ٤١.

على الطلب. التبيين: التمييز «والمراد به التمييز بين المؤمن والكافر»^١.
«وحكم الآية الشريفة يوافق الفطرة التي تدعو إلى التأني والروية وترك العجلة في مواطن الضرر، حتى يتبين ويتضح الأمر.

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا سافرتم إلى الجهاد ومنازلة أعداء الله وقتالهم في سبيل الله تعالى، فتوقفوا وتأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل ومن لا يستحقه، فلا تقدموا على قتل أحد إلا إذا علمتم كونه حرباً لله ورسوله»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَقُولُوا﴾ فعل نهي وفاعله. ﴿لِمَنْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿لَا تَقُولُوا﴾.

﴿أَلْقَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَنْ﴾.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَلْقَى﴾.

﴿السَّلَامُ﴾ مفعول به. وهي التحية بين المسلمين ويظهر منها اسلام الملقى ومن قرأ «السَّلَام» هو الاستسلام والصلح والمداهنة ومن قرأ «السَّلَام» معناه خلاف الحرب. وعلى هذا معنى قرأت الثلاثة مترادفة.

﴿لَسْتَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها.

﴿مُؤْمِنًا﴾ خبرها. والجملة الفعلية ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ في محل نصب مفعول به لأنها

مقول القول.

﴿تَبْتَغُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في

﴿لَا تَقُولُوا﴾. الابتغاء: الطلب، إشعار بأن هذا الذي دفع بهم إلى قتل الناس إنما هو الطمع بما لديهم من الأموال.

﴿عَرَضَ﴾ مفعول به. والمراد به هنا: متاع عبر عن ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالعرض

ليبين كونها سريعة الزوال وأنها لا بقاء لها.

﴿الْحَيَاةِ﴾ مضاف إليه.

﴿الدُّنْيَا﴾ نعت، «قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ موضوع في الكلام

١. الميزان ٥/ ٤١.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ١٥٨.

على اقتضاء الحال، أي حالكم في قتل من يظهر لكم الإيمان من غير اعتناء بأمره وتبين في شأنه حال من يريد المال والغنيمة فيقتل المومن المتظاهر بالإيمان بأدنى ما يعتذر به من غير أن يكون من موجه العذر، وهذا هو الحال الذي كان عليه المؤمنون قبل إيمانهم لا يبتغون إلا الدنيا فإذا أنعم الله عليهم بالإيمان، ومنّ عليهم بالإسلام كان الواجب عليهم أن يتبينوا فيما يصنعون ولا ينفقوا لأخلاق الجاهلية وما بقي فيهم من إثارها»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة تفرعية تعليلية، وما بعدها تعليل للنهي ويتضمن الوعد بما هو أكثر وأبقى وأدوم.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿مَغَانِمٌ﴾ مبتدأ مؤخر. المغانم: جمع المغنم.

﴿كَثِيرَةٌ﴾ نعت. المراد بها: الدائمة الباقية.

﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مقدم ﴿كُنْتُمْ﴾ في محل نصب.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه. أي: على هذا الوصف ﴿كُنْتُمْ﴾ من

ضعف الإيمان وابتغاء ﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ قبل الإسلام والإيمان.

﴿مَنْ قَبْلُ﴾ جار واسم مبني على الضم في محل جر متعلق بـ ﴿كُنْتُمْ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَبِّ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَبِّ﴾. بالإسلام والإيمان.

﴿وَ﴾ عاطفة تفرعية.

﴿تَبَيَّنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. تأكيد لما أمر به من التبين في صدر الآية. «أي لا

تفعلوا أي شيء بعد الآن، حتى تكونوا على بينة مما تقدمون عليه، ولا تأخذوا أحداً

بالظن والتهمة، فإن الله خبير بواقعكم ودوافعكم، ومحاسبكم عليها بما تستحقون»^٢.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمها.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿بِ﴾ حرف جر.

١. الميزان ٥/ ٤١.

٢. التفسير الكاشف ٢/ ٤١١.

﴿ مَا ﴾ موصولة في محلِّ جرٍّ. ﴿ بِمَا ﴾ متعلِّق بخبر ﴿ كَانَتْ ﴾. أو مصدرية فتكون ﴿ مَا ﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محلِّ جرِّ بـ «الباء» وتقديره: كان مطلعاً على أعمالكم. ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿ خَيْرًا ﴾ خبر ﴿ كَانَتْ ﴾. والجملة الفعلية ﴿ كَانَتْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴾ في محلِّ رفع خبر ﴿ إِنَّ ﴾. والجملة الأخيرة «توعيد على المخالفة، أي أن الله لا يخفى عليه شيء، فيعلم جميع نواياكم وكل ما تعملونه فيجازيكم عليها»^١.

شأن نزولها

قال القمي: «فإنها نزلت لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر، وبعث أسامة بن زيد» في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: مرداس بن نبيك الفدكي» في بعض القرى، فلما أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ « فمرَّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله! فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك،

فقال له رسول الله ﷺ: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟! فقال: يا رسول الله! إنما قالها تعوداً من القتل.

فقال: رسول الله ﷺ: [أ] فلا شققت الغطاء عن قلبه؟! [و] لا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت! فحلف أسامة بعد ذلك أنه لا يقتل أحداً شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ فتخلف عن أمير المؤمنين علياً في حروبه، وأنزل الله في ذلك:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^٢.

قال الشيخ: «واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال عمر بن شبة: نزلت في

١. مواهب الرحمن ٩/ ١٦٠.

٢. تفسير القمي ١/ ٢١٧.

مرداس رجل من غطفان، غشيتهم خيل المسلمين، فاستعصم قومه في الجبل، وأسهل هو مسلماً مستسلاً، فأظهر لهم إسلامه، فقتلوه، وأخذوا ما معه.

وقال أبو عمرو الواقدي، وابن إسحاق. نزلت في عامر بن الأضبط الأشجعي لقيته سرية لأبي قتادة فسلم عليه فشدّ محلم بن جثامة فقتله لأحنة كانت بينهم، ثم جاء النبي ﷺ وسأل أن يستغفر له، فقال النبي ﷺ: لا غفر الله لك. وانصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن، ثم لفظته الأرض فجاءوا إلى النبي ﷺ وأخبروه فقال ﷺ: إن الأرض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم، لكن الله أراد أن يعظم من حرمتمكم، ثم طرحوه بين صديفي جبل، والقوا عليه الحجارة، فنزلت الآية.

وقال ابن عباس: لحق ناس رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنمه. فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكان الرجل يسلم في قومه، فإذا غزاهم أصحاب النبي ﷺ، وهرب أصحابه وقف، وأظهر تحية الإسلام (السلام عليكم) فيكفون عنه، فلما خالف بعضهم، وقتل من أظهر ذلك نزلت فيه الآية وبه.

قال السدي: وقال الرجل: السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فشدّ عليه أسامة بن زيد وكان أمير القوم، فقتله، فنزلت الآية. وقال قوم: كان صاحب السرية المقداد. وقال آخرون: ابن مسعود.

وكل واحد من هذه الأسباب يجوز أن يكون صحيحاً، ولا يقطع بواحد منها بعينه. والذي يستفاد من ذلك أن من أظهر الشهادتين لا يجوز لمؤمن أن يقدم على قتله، ولا إذا أظهر ما يقوم مقامها من تحية الإسلام^١.

حکمان فقهيان

«عدّ الفقهاء هذه الآية مع آيات الأحكام واستخرجوا منها حكمين شرعيين: الأول: وجوب التثبيت في كل شيء، وبخاصة في الأحكام الشرعية، وبوجه أخص في الدماء والأموال، حيث أوجب الفقهاء فيها التحفظ والاحتياط، وألحقوا بهما الفروج.

الثاني: أن كل من نطق بكلمة الإسلام، وقال: أنا مسلم فحكمه حكم المسلمين من حيث الزواج والإرث، وما إلى ذلك من الأحكام التي تترتب على مجرد إظهار الإسلام، لا على نفس الإسلام حقيقة وواقعاً^١.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥﴾

حث على الجهاد بأسلوب بليغ وتحريض عليه بعبارات فصيحة.
﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَسْتَوِي﴾ فعل مضارع ويقتضي فاعلين، والاستواء: المماثلة.
﴿الْقَاعِدُونَ﴾ فاعله، وهم المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان.
وهم الذين يؤثرون الدعة والرفاهية على الجهاد ومشقاته.
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الْقَاعِدُونَ﴾. و ﴿مِنَ﴾
بيانية.

﴿غَيْرُ﴾ نعت لـ ﴿الْقَاعِدُونَ﴾. والأخفش قرأه بالنصب فيكون استثناءً.
﴿أُولِي﴾ مضاف إليه وهو مضاف.
﴿الضَّرَرِ﴾ مضاف إليه ثان. ﴿الضَّرَرِ﴾: كل ما يضر وهو النقصان في الوجود، والمراد به هنا العمى والعرج والمرض مما يمنع من الجهاد ويكون عذراً مشروعاً عن التخلف من الجهاد. فمن يكون معذوراً إذا يجب نصر الدين وفتح المؤمنين فهو مأجور بحديث: المرء مع من أحب^٢.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْمُجَاهِدُونَ﴾ معطوف على ﴿الْقَاعِدُونَ﴾.
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلقان باسم الفاعل

١. التفسير الكاشف ٤١١/٢.

٢. الكافي ٣/٣٢٨، ح ١١ (١٢٦/٢) خبر جابر الجعفي.

﴿الْمُجَاهِدُونَ﴾.

﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿الْمُجَاهِدُونَ﴾. والجهاد بالمال هو إنفاقه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ للظفر على أعداء الدين.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾. والجهاد بالنفس هو القتال والمحاربة في ميادين الحرب.

﴿فَضَّلَ﴾ فعل ماض، تفصيل بعد إجمال عدم الاستواء أو تعليل له ولذا لم توصل بعطف ونحوه.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿الْمُجَاهِدِينَ﴾ مفعول به.

﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أعربنا ومضى معناهما.

﴿عَلَى الْقَنَعِدِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿فَضَّلَ﴾.

﴿دَرَجَةً﴾ مفعول مطلق، منصوب بفعل محذوف تقديره: فضّلهم ﴿دَرَجَةً﴾. أو تمييز وتنوينها للتفخيم وللإعلام بأن لا يُعرف كنهها ولا قدرها. لأن الدرجة الواحدة عند الله خير من الكون بها فيه. والدرجة هي المنزلة.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كُلًّا﴾ مفعول به مقدّم منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده. أو مفعول به أوّل لـ﴿وَعَدَ﴾، أي ﴿كُلًّا﴾ من ﴿الْقَنَعِدِينَ﴾ ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ و﴿الْمُجَاهِدِينَ﴾.
﴿وَعَدَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿الْحُسْنَى﴾ مفعول به أو صفة لمصدر محذوف نحو: العاقبة أو المثوبة. أو مفعول به ثان لـ﴿وَعَدَ﴾. والوعد الحسن هو الغفران والجنة. وجملة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ «مسوقة لدفع الدخّل فإن القاعد من المؤمنين ربّما أمكنه أن يتوهّم من قوله ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ إلى قوله ﴿دَرَجَةً﴾ أنه صفر الكفّ لا فائدة تعود إليه من إيمانه وسائر أعماله فدفع ذلك بقوله ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها تحريض آخر للجهاد.

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ الجملة الفعلية معطوفة على مشابهاها.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول مطلق ﴿فَضَّلَ﴾ . ﴿عَظِيمًا﴾ نعت.

قال في الميزان: «أمر الآية في سياقها عجيب، أما [١] أولاً: فلائها قيدت المجاهدين أولاً بقوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وثانياً بقوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وثالثاً أوردته من غير تقييد. وأما [٢] ثانياً: فلائها ذكرت في التفضيل أولاً أئها درجة، وثانياً أئها درجات منه.

أما [١] الأولى فلأن الكلام في الآية مسوق لبيان فضل الجهاد على القعود، والفضل إنما هو للجهاد إذا كان في سبيل الله لا في سبيل هوى النفس، وبالساحة والجدد بأعز الأشياء عند الإنسان وهو المال، وبها هو أعز منه، وهو النفس، ولذلك قيل أولاً: ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ليتبين بذلك الأمر كل التبين، ويرتفع به اللبس، ثم لما قيل: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، لم تكن حاجة إلى ذكر القيود من هذه الجهة لأن اللبس قد ارتفع بما تقدمه من البيان غير أن الجملة لما قارنت قوله ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ مسّت حاجة الكلام إلى بيان سبب الفضل، وهو إنفاق المال وبذل النفس على حسبها فلذا اكتفي بذكرهما قيداً للمجاهدين فقيل: ﴿الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وأما قوله ثالثاً ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فلم يبق فيه حاجة إلى ذكر القيود أصلاً لا جميعها ولا بعضها ولذلك تركت كلاً.

وأما [٢] الثاني فقوله ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ ﴿دَرَجَةً﴾ منصوب على التمييز، وهو يدل على أن التفضيل من حيث الدرجة والمنزلة من غير أن يتعرض أن هذه الدرجة الموجبة للفضيلة واحدة أو أكثر، وقوله ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾، كأن لفظة ﴿فَضَّلَ﴾ فيه مضمّنة معنى الإعطاء أو ما يشابهه، وقوله ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ بدل أو عطف بيان لقوله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والمعنى: وأعطى الله المجاهدين أجراً عظيماً مفضلاً إيّاهم على القاعدين معطياً أو مثيباً لهم أجراً عظيماً وهو الدرجات من الله، فالكلام يبين بأوله أن

فضل المجاهدين على القاعدين بالمنزلة من الله مع السكوت عن بيان أن هذه المنزلة واحدة أو كثيرة، ويبيّن بآخره أن هذه المنزلة ليست منزلة واحدة بل منازل ودرجات كثيرة، وهي الأجر العظيم الذي يثاب به المجاهدون»^١.

تنبيه: أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبو بكر

قال الفخر الرازي: «قالت الشيعة: دلّت هذه الآية على أن علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل من أبي بكر، وذلك لأنّ علياً كان أكثر جهاداً، فالقدر الذي فيه حصل التفاوت كان أبو بكر من القاعدين فيه، وعليّ من القائمين، وإذا كان كذلك وجب أن يكون عليّ أفضل منه لقوله تعالى ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فيقال لهم: إنّ مباشرة علي عليه السلام لقتل الكفار كانت أكثر من مباشرة الرسول لذلك، فيلزمكم بحكم هذه الآية أن يكون على أفضل من محمد صلى الله عليه وآله. وهذا لا يقوله عاقل.

فإن قلت إن مجاهدة الرسول مع الكفار كانت أعظم من مجاهدة عليّ معهم، لأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يجاهد الكفار بتقرير الدلائل والبيّنات وإزالة الشبهات والضلالات، وهذا الجهاد أكمل من ذلك الجهاد.

فنقول: فاقبلوا منّا مثله في حقّ أبي بكر»^٢.

ويرد عليه: «أولاً: أنّ كلّ مَنْ قاس محمّداً صلى الله عليه وآله بواحد من صحابته في تقرير الدلائل والبيّنات فقد خرج عن الإسلام من حيث يريد، أو لا يريد... اللهم إلاّ لشبهة علقّت بذهنه... ذلك أنّ محمّداً يقرر الدلائل والبيّنات بوحي من الله - كما سنشير - وصحابته يقررونها بتعلّم منه... فالمقام الأوّل لله وحده، ولا شريك معه، والمقام الثاني لمحمّد وحده، ولا أحد معه، والإيمان بهما معاً في رتبة واحدة، من حيث أنّ كلاّ من الإيمان بالله والإيمان برسوله ركنٌ مقومٌ للإسلام، ولا يتحقق بأحدهما، دون الآخر، وعليه تكون الخلافة والصحبة والجهاد، ونحوه فرعاً عن الإيمان بالنبوة،

١. الميزان ٥/ ٤٦ و ٤٧.

٢. التفسير الكبير ٩/ ١١.

والنبوة أصل، والفرع لا يقاس بالأصل.

ثانياً: أن المعنى الظاهر من لفظ المجاهدين في آية: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ هو الجهاد بالسيف، لا بغيره باعتراف الرازي في تفسيره... ولكنه ذهل عما قال، وناقض نفسه بنفسه... ولندع ظاهر الآية، وجميع التفاسير، ونرجع إلى من نزل القرآن على قلبه، ونسأله: أيّ الناس أفضل؟ ونستمع لما يجيب... وقد روى مسلم في صحيحه: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيّ الناس أفضل؟ فقال: «رجل جاهد في سبيل الله بنفسه وماله»^١... وكلنا يعلم (أنّ علياً أكثر جهاداً) على حد تعبير الرازي فيكون أفضل الناس، ما عدا النبي ﷺ، حيث لا شيء فوق مقام النبوة إلا مقام الألوهية - كما بينا - وأيضاً كلنا يعلم بالبداهة أنّ الجهاد بالنفس أفضل وأعظم من الجهاد بالمال، لأن المال يبذل في سبيلها، وهي لا تبذل في سبيله.

ثالثاً: أنّ الرسول الأعظم ﷺ - كما قدمنا - لم يقرر الدلائل والبيّنات، ولم يزح الشبهات والضلالات من عنده، بل الله سبحانه كان يلقتها لمحمد ﷺ، ومحمد يبلغها بالحرف: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^٢... ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^٣... ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا أَسْمَاءَ مَثَلَهُمْ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَبَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٤ ﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُنْفِيسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾^٥... إلى عشرات الآيات... وغريب أن يذهل الرازي عنها بعد أن أطال في شرحها وتفسيرها. والأعجب الأغرب قوله: «فاقبلوا منا مثله - أي مثل ما قبلتم من محمد - في حق أبي بكر». كلاً، وألف كلاً، لا نحن ولا أي مسلم يقبل منك ومن غيرك أن يكون لأبي بكر مثل ما كان لمحمد ﷺ (في تقرير الدلائل والبيّنات وازالة الشبهات والضلالات) وإلا كان أبو بكر نبياً ينزل الوحي عليه من الله... استغفره وأعوذ به...

١. صحيح البخاري ٣/٢٠١، طبعة دارالفكر، بيروت، ١٤٠١.

٢. سورة يس / ٧٩.

٣. سورة يونس / ٣٤.

٤. سورة يونس / ٣٨.

٥. سورة الرعد / ١٦.

هذا، إلى أن منزلة عليّ من العلم لا تدانيها منزلة واحد من الصحابة على الإطلاق، وكفى شاهداً على ذلك ما تواتر عن الرسول الأعظم: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^١. وقد حفظ التراث الإسلامي من علم عليّ ما لم يحفظه لأبي بكر، ولا لغيره من الصحابة»^٢.

شأن نزولها

«نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله أولي الضرر وهو عبدالله بن أم مكتوم ورواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره. وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي حين نزلت عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولم يذكر أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم: فكيف وأنا أعمى لا أبصر فتعشى النبي الوحي ثم سري عنه فقال اكتب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فكتبها»^٣.
في الرواية الأخيرة مناقشة واضحة وهي مذكورة في عوالي اللآلي^٤ مأخوذة من العامة العمياء.

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

﴿دَرَجَاتٍ﴾ بدل من ﴿أَجْرًا﴾. أو عطف بيان منه، وتفصيل بعد اجمال وبيان للأجر العظيم في الآية السابقة.
﴿مِّنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿دَرَجَاتٍ﴾ والضمير يرجع إلى الله تعالى وإن كان إرجاعه إلى ﴿أَجْرًا﴾ ممكن.

١. المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٣٧ و ١٣٨ للحاکم النیسابوری؛ ومعرفة الصحابة ١/ ١٠٦ للحافظ أبي نعيم الإصهاني.
٢. التفسير الكاشف ٢/ (٤١٦-٤١٤).
٣. مجمع البيان ٣/ ٩٦.
٤. عوالي اللآلي ٢/ ٩٩.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَغْفِرَةٌ﴾ معطوفة على ﴿دَرَجَاتٍ﴾ وبيان لها. لأن الدرجات هي المنازل من الله تعالى أيًا ما كانت فهي من مصاديق ﴿مَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَحْمَةٌ﴾ معطوفة على ﴿دَرَجَاتٍ﴾. «الرحمة - وهي الإفاضة الإلهية للنعمة - تتوقف على إزالة الحاجب ورفع المانع من التلبس بها، وهي المغفرة، ولازمه أن كل مرتبة من مراتب النعم، وكل درجة ومنزلة رفيعة مغفرة بالنسبة إلى المرتبة التي بعدها، والدرجة التي فوقها، فصح بذلك أن الدرجات الأخروية كائنة ما كانت مغفرة ورحمة من الله سبحانه، وغالب ما تذكر الرحمة وما يشابهها في القرآن تذكر معها المغفرة كقوله ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^١ وقوله ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^٢، وقوله ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^٣، وقوله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾^٤، وقوله ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾^٥ إلى غير ذلك من الآيات»^٦.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾.

﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. تأكيد لما وعد الله المجاهدين من المغفرة والرحمة ولا يخفى مناسبة الاسمين لمضمون الآية.

١. سورة المائدة / ٩.

٢. سورة الأنفال / ٤.

٣. سورة هود / ١١.

٤. سورة الحديد / ٢٠.

٥. سورة البقرة / ٢٨٦.

٦. الميزان / ٥ / ٤٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٩٧﴾

«هذه الآية نزلت في قوم أظهرها للنبي ﷺ الإسلام بمكة، فلما هاجر النبي ﷺ وهاجر أصحابه فتنوهم آباؤهم عن دينهم فافتنوا وخرجوا مع المشركين يوم بدر فقتلوا كلهم. وقيل: إنهم كانوا خمسة نفر. قال عكرمة: هم قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن أسد، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن ميثم بن الحجاج، وعلي بن أمية بن خلف. وذكر أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام مثله، فأنزل الله فيهم الآيات»^١.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿تَوَفَّيْتُهُمْ﴾ فعل ماضٍ أو مضارع ومفعول به. الوفاة: أخذ الشيء وافياً تاماً والمراد بها قبض الروح عند الموت. ولذا روي عن أبي جعفر عليه السلام: يعني قبض أرواحهم^٢.

﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ فاعله. نسب الوفاة إلى الملائكة لأنهم المباشرون في قبض الأرواح بعد صدور الإذن من الله تعالى.

وما يفعله الملائكة يكون بإذن ملك الموت - عزرائيل - وما يفعله ملك الموت يكون بإذن الله تعالى ويجوز أن يضاف عمل الكل إلى الله تعالى لأنهم فعلوه بإذنه وأمره تعالى. فحينئذ فلا تنافي بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^٣ وقوله عليه السلام: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^٤ وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ

١. التبيان ٣/٣٠٣.

٢. التبيان ٣/٣٠٣.

٣. سورة الزمر / ٤٢.

٤. سورة السجدة / ١١.

﴿الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ١.

﴿ظَالِمِي﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿تَوَفَّنَهُمْ﴾. وظلمهم هو إعراضهم عن دين الله «وترك إقامة شعائره من جهة الوقوع في بلاد الشرك والتوسط بين الكافرين حيث لا وسيلة يتوسل بها إلى تعلم معارف الدين، والقيام بما تندب إليه من وظائف العبودية» ٢.

﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿أَلْمَلِكَةِ﴾.

﴿فِيمَ﴾ حرف جر ﴿فِي﴾ و ﴿مَا﴾ اسم استفهام وسقطت الف ﴿مَا﴾ لأنها جرت بحرف جرّ. ومعنى ﴿فِيمَ﴾: في أي شيء؟! والجار والمجرور متعلق بخبر ﴿كُنْتُمْ﴾ الآتي. والسؤال يكون من دينهم والاستفهام تقريرى.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه. وجملة ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ في محل نصب مفعول به

ومقول القول.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى المتوفيين.

﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿مُسْتَضْعَفِينَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ اعتذاراً منهم بأن المشركين يستضعفهم في أرضهم وبلادهم لكثرة عدد المشركين وقوتهم فيمنعونهم عن الإيمان بالله تعالى واتباع رسوله ﷺ والأخذ بشرائع الدين والعمل بها وتعلم معارفه والقيام بوظائف العبودية لسطوتهم عليهم وشدّة سلطتهم وقسوتهم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾. وجملة ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي

الْأَرْضِ﴾ في محل نصب مقول القول.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿أَلْمَلِكَةِ﴾.

﴿أَمْ﴾ حرف استفهام توبيخي. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم. ﴿أَرْضُ﴾ اسم ﴿تَكُنْ﴾.

١. سورة الأنعام / ٦١.

٢. الميزان ٥ / ٤٩.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿وَأَسِعَةً﴾ خبر ﴿تَكُنَّ﴾. والجملة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةً﴾ في محل نصب مقول القول. يعني يمكنكم الخروج عن الاستضعاف لأن ﴿أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةً﴾.

﴿فَ﴾ تفرعية، على سعة ﴿أَرْضُ اللَّهِ﴾.

﴿تُهَاجِرُوا﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه معطوف على ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ وفاعله. أي

﴿تُهَاجِرُوا﴾ من البلد الذي يستضعفونكم فيه إلى غيره.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُهَاجِرُوا﴾. أي في ﴿أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةً﴾.

﴿فَ﴾ زائدة أو تفرعية من جهة ترتب العذاب على عدم الهجرة التي تصل إلى

حدّ الشرك وترك الدين.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة يرجع إلى المستضعفين، مبتدأ.

﴿مَأْوَاهُمْ﴾ مبتدأ ثان ومضاف إليه. ﴿جَهَنَّمَ﴾ خبره. ﴿وَ﴾ حالية.

﴿سَاءَتْ﴾ فعل ماض مؤنث وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾.

لأنّ فيها كلّ سوءٍ أو كل ما فيها سوءٌ.

﴿مَصِيرًا﴾ تمييز، أي ماوى.

استدلال الفقهاء على وجوب الهجرة

«قد استدل الفقهاء بهذه الآية على أنّ المسلم لا يجوز له أن يقيم في بلد الكفر إذا تعدّر عليه إقامة الدين فيه، حتّى ولو كان وطنه، وله فيه أملاك ومصالح.

ولا موضوع اليوم لهذا الحكم، لأنّ لكلّ انسان في كلّ بلد أن يعبد الله بالشكل

الذي يريد، فإذا ترك فهو وحده المسؤول.

وتسأل، إذا علم أنّ إقامته في بلد غير مسلم يؤدي به إلى ترك الفريضة... لا لأن

أحدًا يمنعه عنها، بل لضعف الدافع عليها، ووجود الصارف عنها، كالملاهي

ونحوها: فهل تجوز له الإقامة في هذا البلد؟

الجواب: إذا علم علماً يقينياً أنّ الذهاب إلى أيّ مكان كان بلداً أو مجلساً أو

سوقاً يوقعه حتماً في ترك الواجب، أو فعل الحرام وجب عليه الاحجام عنه، وإذا كان

مقيماً فيه وجب عليه الرحيل عنه، لأنّ السبب التام الذي يستلزم حتماً الحرام فهو

٢٧٢ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

حرام... قال تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^١. وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والهجرة قائمة على حدّها الأوّل»^٢ أي لم يزل حكمها الوجوب على من يتعدّد عليه القيام بأحكام دينه إلا في بلد مسلم. أمّا قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا هجرة بعد الفتح»^٣ فإنّ المراد به الهجرة من مكة، وتدلّ عليه لفظة الفتح»^٤.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾



﴿إِلَّا﴾ حرف استثناء.

﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مستثنى. والاستثناء منقطع لأنّ المذكورين في هذه الآية لم يقدرُوا على الهجرة في ﴿أَرْضُ اللَّهِ﴾ الواسعة، فليسوا من الذين ظلموا أنفسهم. «قال ابن عباس: كنت أنا وأمّي من المستضعفين. قال عكرمة وكان العباس منهم وكان النبي صلى الله عليه وآله يدعو في دبر صلاة الظهر اللهم خالص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. وبالجملة التي ذكرناها قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والسدي، وقتادة، والضحاك، وابن وهب، وابن جبير»^٥.

﴿مِنَ﴾ حرف جرّ بيانيّ. بتقدير حال كونهم أو متعلّق بصفة محذوفة.

﴿الرِّجَالِ﴾ مجروره. «ال» للجنس. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النِّسَاءِ﴾ معطوف على ﴿الرِّجَالِ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْوَالِدِينَ﴾ معطوف على ﴿الرِّجَالِ﴾. ﴿لَا﴾ نافية.

١. سورة الأنعام / ٦٨.

٢. نهج البلاغة، خطبة ١٨٩.

٣. صحيح البخاري ٣٨ / ٤، باب لا هجرة بعد الفتح، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٣ / ٩.

٤. التفسير الكاشف ١٩ / ٢ و ٤٢٠.

٥. التبيان ٣ / ٣٠٤.

﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿حَيْلَةً﴾ مفعول به. والمراد ﴿حَيْلَةً﴾ في الخروج والهجرة ودفع الكفر، للمرض
 أو الفقر أو الزمانة أو الجهل بالطرق.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَهْتَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به، أي ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ للتخلص من الذين استضعفوه
 والفرار عنهم والهجرة في ﴿أَرْضِ اللَّهِ﴾ الواسعة.

الروايات

خبر ابن الطيار عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن المستضعف، فقال:
 هو الذي لا يستطيع حيلة الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان [فيؤمن]،
 لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فهم الصبيان، ومن كان من الرجال والنساء
 على مثل عقول الصبيان من رُفِعَ عنه القلم. ١
 صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: المستضعفون الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حَيْلَةً﴾
 ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال لا يستطيعون حيلة إلى الإيمان ولا يكفرون الصبيان وأشباه
 عقول الصبيان من الرجال والنساء. ٢
 صحيحة عمر بن أبان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المستضعفين فقال: هم
 أهل الولاية، فقلت أي ولاية؟ فقال: أما إنها ليست بالولاية في الدين ولكنها الولاية
 في المناكحة والموارثة والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار ومنهم المرجون لأمر
 الله تعالى. ٣

معتبرة إسماعيل الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع
 العباد جهله، فقال: الدين واسع ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم،
 قلت: جعلت فداك فأحدثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى، فقلت: أشهد أن لا إله
 إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله وأتولاكم وأبرء من

١. تفسير القمي ١/ ٢١٨، ح ٢١.
 ٢. الكافي ٤/ ١٧٩، ح ٢ (٤٠٤/٢).
 ٣. الكافي ٤/ ١٨٠، ح ٥ (٤٠٥/٢).

عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمر عليكم وظلمكم حقكم، فقال: ما جهلت شيئاً! هو والله الذي نحن عليه، قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا المستضعفين، قلت من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم ثم قال: أرأيت أم أيمن؟ فإنني أشهد أنها من أهل الجنة وما كانت تعرف ما أنتم عليه. ١.

صحيحة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من عرف اختلاف الناس فليس

بمستضعف. ٢.

صحيحة جميل بن دراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني ربما ذكرت هؤلاء المستضعفين فأقول نحن وهم في منازل الجنة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يفعل الله ذلك

بكم أبداً. ٣.

معتبرة أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام في قول صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فقال: لا يستطيعون حيلة إلا النصب فينصبون ولا يهتدون سبيل أهل الحق فيدخلون فيه، وهؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وواجبتنا المحارم التي نهى الله صلى الله عليه وسلم عنها ولا ينالون منازل الأبرار. ٤.

خبر سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الآية، قال: يا سليمان في هؤلاء المستضعفين من هو أشخ رقة منك، المستضعفون قوم يصومون ويصلون تعف بطونهم وفروجهم لا يرون أن الحق في غيرنا، آخذين بأغصان الشجرة فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم إذا كانوا آخذين بالأغصان، وإن لم يعرفوا أولئك، فإن عفى عنهم فبرحمته، وإن عدبهم فبضلالتهم عما عرفهم. ٥.

١. الكافي ٤/١٨١، ح ٦ (٤٠٥/٢).

٢. الكافي ٤/١٨٢، ح ٧ (٤٠٥/٢) = ٤/١٨٣، ح ١٠ (٤٠٦/٢).

٣. الكافي ٤/١٨٢، ح ٨ (٤٠٦/٢).

٤. معاني الأخبار / ٢٠١، ح ٥.

٥. معاني الأخبار / ٢٠٢، ح ٩.

معتبرة سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن المستضعفين فقال: البلهاء في خدرها، والخدام تقول لها صلي فتصلي لا تدري إلا ما قلت لها، والجليب الذي لا يدري إلا ما قلت له، والكبير الفاني والصبي الصغير. هؤلاء المستضعفون. وأمّا رجل شديد العنق جدل خصم يتولى الشرى والبيع لا تستطيع أن تغبته في شيء، تقول: هذا مستضعف؟ لا ولا كرامة!^١

صحيحة أبي الصباح، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في المستضعفين الذين لا يجدون ﴿حِيلَةً وَلَا يَتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ يدخلوا في الكفر ولم يهتدوا فيدخلوا في الإيمان فليس هم من الكفر والإيمان في شيء^٢.
الروايات الواردة حول «المستضعف» كثيرة فإن شئت راجع الكافي^٣؛ ومعاني الأخبار^٤؛ وتفسير العياشي^٥؛ وتفسير نورالثقلين^٦؛ وتفسير البرهان^٧ وغيرها من كتب الأخبار والتفسير.

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾ ﴿١١﴾

بيان في حال هذا القسم الأخير من ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ﴾ الذين مرّ ذكرهم في الآية السابقة وإنّ الله يتفضل عليهم بالعفو والغفران لعلمه تعالى بعدم قدرتهم ويعلم ما في ضمائرهم.
﴿فَ﴾ استثنائية أو تفريعية. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم اشاره، مبتدأ.
﴿عَسَىٰ﴾ فعل ماض ناقص، قال الشيخ: «إِنَّ ﴿عَسَىٰ﴾ من الله معناه

١. معاني الأخبار / ٢٠٣، ح ١٠.

٢. معاني الأخبار / ٢٠٣، ح ١١.

٣. الكافي / ٤ / ١٧٨ (٢ / ٤٠٤).

٤. معاني الأخبار / ٢ / ٢٠٠.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٤٣٢.

٦. نورالثقلين / ٢ / ١٣٠.

٧. تفسير البرهان / ٢ / ١٥٤.

الوجوب^١.

﴿الله﴾ اسمه. ﴿أن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يعفو﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿الله﴾.

﴿عنهم﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يعفو﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿كان﴾ فعل ماض ناقص. ﴿الله﴾ اسمه. ﴿عفوًا﴾ خبره.

﴿عفورًا﴾ خبره ثان. لأن رحمة تعالى سبقت غضبه فهو أولى بالعفو والمغفرة بل

هو المتعين عليه لأنه تعالى من الأزل إلى الأبد ﴿كان الله عفوًا غفورًا﴾، اللهم عفوك وغفرانك.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

«قد وعد [الله] ﷻ في هذه الآية المباركة بأن المهاجر سوف يجد في الأرض سعةً وبسطةً، والله هو الكفيل ما دامت الهجرة في سبيل الله تعالى، وإذا وقع عليه الموت فإن الأجر يقع عليه ﷻ»^٢.

وتذكير بأن «الأرزاق لا تنحصر بالأوطان، والهجرة لا تستوجب الحرمان، فبلاد الله واسعة، ورزقه أوسع، ونعمه في كل بلد لا تعد ولا تحصى... وأن كثيراً من الفقراء قد جمعوا من مهاجرهم أموالاً لم يحملوا بجزء منها، وهم في أوطانهم»^٣.

﴿و﴾ استئنافية.

﴿من﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجملتا الشرط وجوابه في محل رفع

١. التبيان ٣/ ٣٠٤.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ١٩١.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٢٠.

خبره.

﴿يُهَاجِرْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط، والمهاجرة: ترك الوطن والذهاب إلى مكان آخر للتوطن فيه.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ويتعلق الأولان بـ﴿يُهَاجِرْ﴾. أي: «منهاج دين الله وطريقه الذي شرّعه لخلقه»^١ و «طلباً لمرضاته في التلبس بالدين علماً وعملاً»^٢.

﴿يَجِدْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، جواب الشرط. من الوجدان.
﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور يتعلق بـ﴿يَجِدْ﴾. أي ﴿يَجِدْ﴾ في ﴿أَرْضِ اللَّهِ﴾ الواسعة.

﴿مُرْغَمًا﴾ مفعول به. من «الترغام» بمعنى التراب الرقيق، أي ﴿يَجِدْ﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ طريقاً سهلاً سلوكه ومذهباً يذهب إليه برفق، مخلصاً يصله إلى الخير والنعمة.

وإلى ما ذكرنا أشار أعلام المفسرين القدماء كل بلفظه الخاص كما نقل عنهم الشيخ: «واختلف أهل التأويل في معناه، فقال ابن عباس: المرغم التحول من أرض إلى أرض وبه قال الضحاك، والربيع، والحسن، وقتادة، ومجاهد. وقال السدي: يعني معيشة. وقال ابن زيد يعني مهاجراً. وقال ابن عباس: يعني سعة في الرزق. وبه قال الربيع بن أنس والضحاك. وقال قتادة: سعة من الضلالة إلى الهدى»^٣.

﴿كَثِيرًا﴾ نعت. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿سَعَةً﴾ معطوفة على ﴿مُرْغَمًا﴾. أي وسعة من حيث إقامة دينهم وتعلمه وتوسعة بالنسبة إلى أموالهم وأرزاقهم. بل الهجرة توجب إقامة تمدن وثقافة.

﴿وَ﴾ عاطفة. تعطف ما بعدها على جملة ﴿مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.

١. التبيان ٣/ ٣٠٥.

٢. الميزان ٥/ ٥٣.

٣. التبيان ٣/ ٣٠٥.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا الشرط وجوابه في محل رفع خبره.
 ﴿تَخْرُجُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط.
 ﴿مِنْ بَيْتِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي في بداية مهاجرته.
 ﴿مُهَاجِرًا﴾ حال من الضمير الفاعلي ﴿تَخْرُجُ﴾.
 ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور يتعلّق بـ ﴿مُهَاجِرًا﴾. أي كانت هجرته بنية التقرب ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وإقامة دينه وشعائره وتعلّم دينه وأحكامه.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَسُولِهِ﴾ معطوف، أي وإقامة دين الرسول ﷺ.
 ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب بين الخروج لأجل الهجرة ثم الموت.
 ﴿يُذَرِكُهُ﴾ معطوفة على ﴿تَخْرُجُ﴾، فعل مضارع مجزوم ومفعول به. والادراك استعارة عن الوقوع والمفاجأة.
 ﴿أَلَمَوْتُ﴾ فاعله. ﴿فَ﴾ رابطة لجواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
 ﴿وَقَعَ﴾ فعل ماضٍ في محلّ جزم، جواب الشرط. والفعل الماضي يدلّ على حتمية وقوعه وقطعيته ولزومه.
 ﴿أَجْرُهُ﴾ فاعله ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الميت. أي ثواب عمله وجزاء هجرته.
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَجْرُهُ﴾. أي على عهدة الله وضمّانه.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
 ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. يغفر ذنوب عباده ويرحم بهم في الدنيا والآخرة.

شأن نزولها

«قيل في سبب نزول الآية: أنّ الله لما أنزل إنّ الذين ﴿تَوَفَّيْنَاهُمْ أَلْمَلَيْكَةَ ظَالِمِيْ أَنْفُسِهِمْ﴾ كتب المسلمون بالآيات وبعثوها إلى أخوانهم من أهل مكة فخرج حينئذٍ منها جماعة، فقالوا: لم يبق لنا عذر فهاجروا.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والسدي وابن زيد وابن عباس ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: أنّها نزلت في ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنباع أو

العيص بن ضمرة وكان مريضاً فأمر أهله أن يفرشوا له على سريرة ويحملوه إلى رسول الله ﷺ ، قال: ففعلوا فأتاه الموت بالتنعيم، فنزلت فيه الآية. وبه قال قتادة وقال: قال ضمرة: وأنا أعرف الطريق ولي سعة في المال أخرجوني فأخرج، فمات. وقال عمر بن شبة: هو أبو أمية ضمرة بن جندب الخزاعي. وقال الزبير بن بكار: هو خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام خرج مهاجراً فمات في الطريق»^١.

الروايات

صحيحة عبد الأعلى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول العامة: إن رسول الله ﷺ قال: مَنْ مات وليس له إمامٌ مات ميتة جاهليّة، فقال: الحقُّ والله، قلت: فإنَّ إماماً هلك ورجلٌ بخراسان لا يعلم مَنْ وصيّه لم يسعه ذلك؟ قال: لا يسعه إنَّ الإمام إذا هلك وقعت حجةٌ وصيّه على من هو معه في البلد وحقُّ النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^٢ قلت: فنفر قومٌ فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟ قال: إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ سَخِرَ مِنْ بَيْتِهِ مَهْجَرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، الحديث^٣.

صحيحة محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله بلغنا شكواك وأشفقنا، فلو أعلمتنا أو علمتنا من؟ قال: إنَّ عليّاً عليه السلام كان عالماً والعلم يتوارث، فلا يهلك عالمٌ إلَّا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله، قلت: أفيسع النَّاسُ إذا مات العالمُ إلَّا يعرفوا الذي بعده؟ فقال: أمَّا أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأمَّا غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إنَّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

١. التبيان ٣/٣٠٦.

٢. سورة التوبة / ١٢٢.

٣. الكافي ٢/٢٦٩، ح ٢ (١/٣٧٨).

٢٨٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾ قال: قلت: رأيت من مات في ذلك فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، قال: قلت: فإذا قدموا بأي شيء يعرفون صاحبهم؟ قال: يعطى السكينة والوقار والهيبة. ٢.

خبر أبي حَجْرٍ الأَسْلَمِيِّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ومن مات مهاجراً إلى الله ﷻ حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر. ٣.
عن ابن أبي عمير قال: وجّه زُرارة ابنه عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن عليه السلام وعبدالله، فمات قبل أن يرجع إليه ابنه.

قال محمد بن أبي عمير: حدّثني محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن الأول، فذكرت له زُرارة وتوجيهه ابنه عبيداً إلى المدينة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إني لأرجو أن يكون زُرارة ممن قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَخَرَّجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. ٤.

عن أبي الصباح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في رجلٍ دُعي إلى هذا الأمر فعرفه، وهو في أرضٍ منقطعة، إذ جاءه موت الإمام، فبينما هو ينتظر إذ جاءه الموت؟

فقال: هو والله بمنزلة من هاجر إلى الله ورسوله فمات، فقد وقع أجره على الله. ٥.
عن النبي ﷺ أنه قال: مَنْ فَرَّ بدينه مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ شَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ اسْتَوْجِبَ الْجَنَّةَ، وَكَانَ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عليهما السلام. ٦.

١. سورة التوبة / ١٢٢.

٢. الكافي ٢/ ٢٧٢، ح ٣ (١/ ٣٧٩).

٣. الكافي ٩/ ٢٤٥، ح ٥ (٤/ ٥٤٨).

٤. تفسير العياشي ١/ ٤٣٥، ح ٢٥٥.

٥. تفسير العياشي ١/ ٤٣٥، ح ٢٥٤.

٦. مجمع البيان ٣/ ١٠٠.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

بمناسبة الهجرة ذكر الله سبحانه حكم صلاة القصر في السفر وبين الحكمة الواردة في تشريعها.

و «ذكر الصلاة بعد الحث الشديد إلى الجهاد والترغيب الأكيد إلى الهجرة؛ للأهمية العظمى بها في شريعة الإسلام، حتى أن الخوف من الأعداء وفتنتهم وتحمل أهوال السفر ومشاقه ومتاعبه، لا تحول كل ذلك عن أداء الصلاة في أوقاتها»^١.
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان وأداة شرط غير جازمة خافض لشرط متعلق بجوابه.
﴿ضَرَبْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف
﴿ضَرَبْتُمْ﴾ أي سافرتم وسائرتم لأنَّ الضرب في الأرض هو السفر والسير كما مرَّ في الآية (٩٤) من هذه السورة، وحدَّ السفر الذي يجب فيه التقصير ثمانية فراسخ عندنا وهو ما يعادل تقريباً ٤٦ كيلومتراً ذهاباً وإياباً ولا بدَّ أن لا يكون ذهابه أقلَّ من نصف هذا المقدار. والقصر واجبٌ مع الشروط الثمانية المذكورة في الكتب الفقهية فراجعها.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿ضَرَبْتُمْ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَيْسَ﴾ فعل ماضٍ ناقص.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جارٍ ومجرور في محلِّ نصب متعلق بخبر ﴿لَيْسَ﴾ المتقدم.

﴿جُنَاحٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾ المؤخر، «والجناح: الإثم المائل بالإنسان عن الحقِّ وهو

مأخوذ من الجناح الذي في الطير»^٢. ﴿جُنَاحٌ﴾ أي حرج وإثم.

ونفيُّ الجناح الظاهر في الجواز لا ينافي الوجوب لأنَّه ورد في مقام التشريع «ويكفي فيه مجرد الكشف عن جعل الحكم من غير حاجة إلى استيفاء جميع جهات

١. مواهب الرحمن ٩/ ٢٢٠.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٢٢١.

الحكم وخصوصياته»^١. وورد نظير ذلك في الكتاب الكريم نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^٢ مع كون السعي واجباً أو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^٣ مع أن الصوم واجب في شهر رمضان.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَقْصُرُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله، ومفعوله محذوف تقديره: شيئاً. ﴿أَنْ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جرّ بحرف جر محذوف تقديره: في قصر، ويجوز أن يكون المصدر المؤول في محل نصب خبر ﴿لَيْسَ﴾. القَصْرُ: «خلاف المدّ، يقال: قصرت الشيء إذا جعلته قصيراً بحذف بعض أجزائه أو أوصافه»^٤.

﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ جار ومجرور، صفة وبيان لمفعول محذوف. والقصر ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ يعني من عددها فيقيمون الرباعيات ركعتين، مع رفع ندب نوافل الظهرين. ﴿إِنْ﴾ شرطية جازمة.

﴿خَفُّمٌ﴾ فعل ماض وفاعله. في محل جزم لأنه فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف بما مرّ من وجوب تقصير الصلاة. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَفْتِنَكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به. والفتنة هنا الأذية والتعذيب من قتل أو ضرب أو نحوهما.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل رفع فاعل ﴿يَفْتِنَكُمْ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿أَنْ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿خَفُّمٌ﴾ تقديره: ﴿إِنْ خَفُّمٌ﴾ فتنة الكافرين أي حملتهم وتهاجمهم.

١. الميزان ٥/ ٦١.

٢. سورة البقرة/ ١٥٨.

٣. سورة البقرة/ ١٨٤.

٤. مواهب الرحمن ٩/ ٢٢١.

وجملة ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان لحكمة القصر في ذلك الزمان لا علته فلا يدور القصر مدار الخوف ولذا قال الشيخ: «ولا خلاف اليوم أنّ الخوف ليس بشرط لأنّ السفر المخصوص بانفراده سبب للتقصير»^١.

﴿إِنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿الْكَافِرِينَ﴾ اسمه.
 ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿كَانُوا﴾.
 ﴿عَدُوًّا﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾، العدو: يستوى فيه الواحد والجمع.
 ﴿مُيَبَّنًا﴾ نعته، وقد وصف الله عدواة الكافرين بآثها واضحة لاخفاء فيها.
 وجملة ﴿كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُيَبَّنًا﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنْ﴾. في موضع التعليل لتوقع الفتنة.

الروايات

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ستّة لا يقصرون الصلاة: الجبابة الذين يدورون في جبايتهم، والتاجر الذي يدور في تجارته من سوق إلى سوق، والأمير الذي يدور في إمارته، والراعي الذي يطلب مواضع القطر ومنبت الشجر، والرجل يخرج في طلب الصيد يريد لهواً للدنيا، والمحارب الذي يقطع الطريق.^٢

رُوي عن زرارة ومحمد بن مسلم أنّهما قالوا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيفي هي، وكم هي؟ فقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر، قالوا: قلنا: إنّما قال الله تعالى ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولم يقل: افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال عليه السلام: أو ليس قد قال الله تعالى في الصفا والمروة: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^٣ ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض لأنّ الله تعالى ذكره في كتابه وصنعه نبيّه عليه السلام وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وذكره الله تعالى ذكره في كتابه.

١. التبيان ٣/٣٠٧.

٢. تفسير القمي ١/٢١٩، ح ٢٢.

٣. سورة البقرة / ١٥٨.

قالا: قلنا له فمن صلّى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير وفسّرت له فصلّى أربعاً أعاد وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه، والصلوات كلّها في السفر الفريضة ركعتان كلّ صلاة إلا المغرب فاتّما ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله ﷺ في السفر والحضر ثلاث ركعات.

وقد سافر رسول الله ﷺ إلى ذي حُشب وهي مسيرة يوم من المدينة يكون إليها بريدان - أربعة وعشرون ميلاً - فقصر وأفطر فصارت سنّة.

وقد سمّى رسول الله ﷺ قوماً صاموا حين أفطر: العُصاة، قال عائشة: فهم العُصاة إلى يوم القيامة وإنّا لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا. ١.

روى العياشي نحوها في تفسيره ٢.

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصلاة في السفر ركعتان ليس قبلهما ولا بعدها شيء إلا المغرب ثلاث. ٣.

صحيحة الحلبي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: صليت الظهر أربع ركعات وأنا في السفر؟ قال: أعد. ٤.

صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: سألته عن الصلاة تطوعاً في السفر؟ قال: لا تصل قبل الركعتين ولا بعدهما شيئاً نهراً. ٥.

١. الفقيه ١/٤٣٤، ح ١٢٦٥.

٢. تفسير العياشي ١/٤٣٦، ح ٢٥٦.

٣. التهذيب ٢/١٣، ح ٥.

٤. التهذيب ٢/١٤، ح ٧.

٥. التهذيب ٢/١٤، ح ٦.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا
 فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ
 أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ
 كَانَ بِكُمْ إِذَىٰ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿١٣﴾

الآية الشريفة تبيّنت كيفية إقامة صلاة الخوف في زمن فتنة الكفار أو غيرها من
 المخاوف الدنيوية.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرفية متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلّق بجوابه.

﴿كُنْتَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه، في محلّ جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف.
 فعل الشرط والخطاب للرسول الأعظم ﷺ لأنه إمام المسلمين ورئيسهم ولا
 ينحصر الحكم به ﷺ وكما لا ينحصر بأداء الصلاة جماعة يعني الخوف يكون من
 موجبات القصر في الصلاة جماعة كانت أم فرادى.

﴿فِيهِمْ﴾ جار ومجرور في محل نصب متعلق بنخبر ﴿كُنْتَ﴾، والضمير يرجع إلى
 المسلمين الخائفين.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿أَقَمْتَ﴾ فعل ماض وفاعله. إقامة الصلاة هي اتيانها.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَقَمْتَ﴾. أي إقامتها جماعة والايتمام به ﷺ.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به، والمراد بها الصلوات الواجبة اليومية.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَ﴾ لام الأمر.

﴿تَقُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿طَآئِفَةٌ﴾ فاعله، أي جماعة.

﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿طَآئِفَةٌ﴾، والضمير يرجع إلى

المسلمين الخائفين.

﴿مَعَكَ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. أي يعلمون معك جماعة وإمامتك. «ولم يذكر ما ينبغي أن تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَ﴾ لام الأمر.

﴿يَأْخُذُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفاعله.

﴿أَسْلِحْتَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي يصلون مع أسلحتهم ولا يتركونها حين الصلاة.

﴿فَ﴾ استثنائية أو تفرعية. ﴿إِذَا﴾ ظرفية.

﴿سَجَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله، أي إذا فرغوا من سجودهم والإمام قائم في الركعة الثانية يتمون صلاتهم ركعتين ولكن يقيمون الركعة الثانية فرادى.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، أي فإذا فرغوا من صلاتهم.

﴿لَ﴾ لام الأمر. ﴿يَكُونُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر واسمه.

﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿وَرَأَى﴾ مجروره، جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿يَكُونُوا﴾.

﴿كُمُ﴾ مضاف إليه. أي يرجعون إلى حراستهم وحفاظتهم وحرهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَ﴾ لام الأمر.

﴿تَأْتِ﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. وعلامة جزمه حذف الياء من آخره وبقية الكسرة الدالة عليها.

﴿طَائِفَةٌ﴾ فاعله. ﴿أُخْرَى﴾ نعته.

﴿لَمْ يَصَلُوا﴾ حرف نفي وجزم وقلب، وفعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿لِيَصَلُوا﴾ لام الأمر وفعل مضارع مجزوم بها وفاعله.

﴿مَعَكَ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه، أي يقتدون بك في الركعة الثانية من صلاة الإمام.

﴿وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ مرّت إعرابها. الحذر: آلة الدفاع التي يتحصّن

بها كانوا السلاح. وأمر بأخذ الحذر لأن لا يهجم عليهم العدو.
﴿وَدَّ﴾ فعل ماض، أي أرادوا وتمنوا، تعليل لما ورد من أخذ الحذر والسلاح.
﴿الَّذِينَ﴾ فاعله. ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض فاعله.
﴿لَوْ﴾ حرف مصدري لا محل لها من الإعراب.
﴿تَغْفُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ بتأويل مصدر مفعول به
﴿وَدَّ﴾.

﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَغْفُلُونَ﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَمْتَعْتِكُمْ﴾ معطوفة على ﴿أَسْلِحَتِكُمْ﴾. والمتاع واضح.
﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿يَمِيلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله أي يحملون.
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمِيلُونَ﴾.
﴿مَيْلَةً﴾ مفعول مطلق - مصدر - .
﴿وَاحِدَةً﴾ نعتها، أي دفعة واحدة مستأصلة. ﴿وَ﴾ استثنائية.
﴿لَا﴾ نافية للجنس، تخفيف وترخيص لهم في بعض الموارد التي تأتي.
﴿جُنَاحَ﴾ اسم ﴿لَا﴾، أي ﴿لَا﴾ إثم و ﴿لَا﴾ جرم.
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم لأنه فعل الشرط.
﴿بِكُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿كَانَ﴾. ﴿أَذَى﴾ اسم ﴿كَانَ﴾.
﴿مِنْ﴾ حرف جر بياني.
﴿مَطْرٍ﴾ مجروره. جار ومجرور متعلق بصفة من ﴿أَذَى﴾.
﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتخيير. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿مَرَضَى﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.
﴿تَضَعُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.
﴿أَسْلِحَتِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿خُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله.
﴿حِذْرَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي الآلة الدفاعية.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
 ﴿أَعَدَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.
 ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَعَدَّ﴾. ﴿عَذَابًا﴾ مفعول به.
 ﴿مُهِينًا﴾ نعته، وجملة ﴿أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

تذكرة

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على نبوة النبي ﷺ. وذلك أن الآية نزلت والنبي ﷺ بعسفان والمشركون بضجنان، فتوافقوا فصل النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع، والسجود فهم بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون العصر، فأنزل الله عليه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف، ويقال: إنه كان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد، لأنه كان همًّا بذلك فعلم أنه ما أطلع النبي ﷺ على ما هموا به غير الله تعالى فأسلم»^١.

الروايات

قال القمي: «فإنها نزلت لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية يريد مكة، فلما وقع الخبر إلى قريش، بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، ليستقبل رسول الله ﷺ [فكان يعارض رسول الله ﷺ] على الجبال، فلما كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر، فأذن بلال، وصلى رسول الله ﷺ بالناس.

فقال خالد الوليد: لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة فأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن تحيء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم! فنزل جبرئيل ﷺ بصلاة الخوف بهذه الآية: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ فِإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَّرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴿ ففَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ فَرَقَتَيْنِ: فوقف بعضهم تجاه العدو، وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلّوا مع رسول الله ﷺ قياماً، ومروا فوققوا مواقف أصحابهم، وجاء أولئك الذين لم يصلّوا، فصلّى بهم رسول الله ﷺ الركعة الثانية، [وهي لهم الأولى] وقعد وتشهد رسول الله ﷺ، وقام أصحابه فصلّوا هم الركعة الثانية، وسلّم عليهم»^١.

صحيحة الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صلاة الخوف، قال: يقوم الإمام وتجيئ طائفة من أصحابه فيقومون خلفه وطائفة بإزاء العدو فيصلّي بهم الإمام ركعة ثم يقوم ويقومون معه فيمثل قائماً ويصلّون هم الركعة الثانية ثم يسلم بعضهم على بعض ثم ينصرفون فيقومون في مقام أصحابهم ويجيئ الآخرون فيقومون خلف الإمام فيصلّي بهم الركعة الثانية ثم يجلس الإمام فيقومون هم فيصلّون ركعة أخرى، ثم يسلم عليهم فينصرفون بتسليمه، قال: وفي المغرب مثل ذلك يقوم الإمام وتجيئ طائفة فيقومون خلفه ثم يصلّي بهم ركعة ثم يقوم ويقومون فيمثل الإمام قائماً ويصلّون الركعتين فيتشهدون ويسلم بعضهم على بعض ثم ينصرفون فيقومون في موقف أصحابهم ويجيئ الآخرون ويقومون خلف الإمام فيصلّي بهم ركعة يقرأ فيها ثم يجلس فيتشهد ثم يقوم ويقومون معه ويصلّي بهم ركعة أخرى ثم يجلس ويقومون هم فيتمون ركعة أخرى ثم يسلم عليهم^٢.

صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف ففرّق أصحابه فرقتين أقام فرقة بإزاء العدو، وفرقة خلفه فكبر وكبروا فقرأ وأنصتوا وركع فركعوا وسجد فسجدوا ثم استتم رسول الله ﷺ قائماً وصلّوا لأنفسهم ركعة ثم سلّم بعضهم على بعض ثم خرجوا إلى أصحابهم فقاموا بإزاء العدو وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله ﷺ فصلّي بهم ركعة ثم تشهد وسلّم عليهم فقاموا فصلّوا لأنفسهم ركعة

١. تفسير القمي ١/٢١٩.

٢. الكافي ٦/٥٦٦، ح ١ (٤٥٥/٣).

ثم سلّم بعضهم على بعض. ١.


عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال: صلاة المغرب في الخوف أن يجعل أصحابه طائفتين: بإزاء العدو واحدة، والأخرى خلفه، فيصلي بهم، ثم ينصب قائماً، ويصلون هم تمام ركعتين، ثم يسلم بعضهم على بعض، ثم تأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم ركعتين، فيصلون هم ركعة، فيكون للأولين قراءة، وللآخرين قراءة. ٢.

عن زرارة ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: إذا حضرت الصلاة في الخوف، فرّقهم الإمام فرقتين، فرقة مقبلة على عدوّهم، وفرقة خلفه؛ كما قال الله تبارك وتعالى، فيكبر بهم، ثم يصلي بهم ركعة، ثم يقوم بعد ما يرفع رأسه من السجود، فيمثل قائماً، ويقوم الذين صلوا خلفه ركعة، فيصلي كل إنسان منهم لنفسه ركعة، ثم يسلم بعضهم على بعض. ٣.

وفي الفقيه قال: من صلى المغرب في خوف بالقوم صلى بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الثانية ركعتين. ٤.

للقوف على الروايات الواردة في صلاة الخوف وصلاة المطاردة راجع وسائل الشيعة^٥ أبواب صلاة الخوف والمطاردة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ

فَأَقِمْوهُ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ 

أمر الله سبحانه المؤمنين بذكره تعالى في جميع حالاتهم واطلاق أمره ﷻ يدل على عدم سقوط الصلاة بحال ووجوب إقامتها بأي وجه ممكن، فيدل على مراتب الصلاة

١. الكافي ٦/٥٦٧، ح ٢ (٤٥٦/٣).

٢. تفسير العياشي ١/٤٣٧، ح ٢٥٨.

٣. تفسير العياشي ١/٤٣٧، ح ٢٥٩.

٤. الفقيه ١/٤٦٣، ح ١٣٣٥.

٥. وسائل الشيعة ٨/٤٣٣.

من الصلاة الاختياري والاضطراري بجميع أقسامها وحتى وصلت إلى صلاة المطاردة والمواقفة والمسايقة وصلاة الغرقى.

﴿فَ﴾ استثنائية. ﴿إِذَا﴾ ظرفية زمانية، متضمن معنى الشرط.

﴿قَضَيْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي فرغتم واتمتم.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به، والمراد بها صلاة الخوف الواردة في الآية السابقة وغيرها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله، ومعنى الذكر واضح ولا يختص بالقولي بل

يشمل الذكر الفعلي من مراقبة الواجبات وإتيانها، والرغبة عن المحرمات وتركها، وعند المصائب والشدائد، وفي الحرب والقتال وميدان المبارزة.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿فَإِنَّمَا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَذْكُرُوا﴾، أي في حال قيامكم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿فَعُودًا﴾ معطوفة، أي في حال قعودكم.

﴿وَ﴾ حالية لأنها عطفت الجملة على حال.

﴿عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بحال بتقدير:

مضطجعين على جنوبكم. والجنوب جمع الجنب وهو الجانب.

وذكر الحالات الثلاث يدل على لزوم الذكر المستمر المستوعب لجميع

الأحوال.

﴿فَ﴾ استثنائية. ﴿إِذَا﴾ ظرفية زمانية، متضمن معنى الشرط.

﴿أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي استقررتم في اوطانكم أو زال عنكم

الخوف.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿أَفِيْمُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به، بحدودها وشروطها وإتمامها بمراتبها الاختياري.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿الصَّلَاةَ﴾ اسمه.

﴿كَانَتْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر.

﴿عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَتْ﴾. وذكر المؤمنين هنا يدل

على أنهم يقيمون الصلاة في أوقاتها وهم الذين يعرفون أهميتها.
 ﴿كَتَبْنَا﴾ خبر ﴿كَانَتْ﴾، كناية عن وجوبها وفرضها.
 ﴿مَوْقُوتًا﴾ نعته. وجملة ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ في محل رفع خبر
 ﴿إِنَّ﴾. أي: جعلت لها وقتاً وتؤدي في أوقاتها الخاصة.

الروايات

صحيحة داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ
 كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: كتاباً ثابتاً وليس إن عجلت قليلاً أو أخرت
 قليلاً بالذي يضرك ما لم تضيع تلك الاضاعة فإن الله ﷻ يقول لقوم: ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ
 وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ ٢.١

المراد بالتعجيل والتأخير عن الوقت الفضيلة.

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي موجوباً. ٣

صحيحة زرارة والفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ
 الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: يعني مفروضاً وليس يعني وقت
 فوتها إذا جاز ذلك الوقت ثم صلاها لم تكن صلاته هذه مؤداة ولو كان ذلك لهلك
 سليمان بن داود عليه السلام حين صلاها لغير وقتها ولكنه متى ما ذكرها صلاها، قال: ثم
 قال: ومتى استيقنت أو شككت في وقتها أنك لم تصلها أو في وقت فوتها أنك لم تصلها
 صلّيتها فإن شككت بعد ما خرج وقت الفوت فقد دخل حائل فلا إعادة عليك من
 شك حتى تستيقن فإن استيقنت فعليك أن تصلّيها في أي حال كنت. ٤

روى العياشي عن زرارة نحوها في تفسيره. ٥.

عن منصور بن خالد، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

١. سورة مريم / ٥٩.

٢. الكافي ٦/ ٢٣، ح ١٣ (٣/ ٢٧٠).

٣. الكافي ٦/ ٢٩، ح ٤ (٣/ ٢٧٢).

٤. الكافي ٦/ ٩٠، ح ١٠ (٣/ ٢٩٤).

٥. تفسير العياشي ١/ ٤٣٩، ح ٢٦١.

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا. قال: لو كانت مَوْقُوتًا كما يقولون لهلك الناس، ولكان الأمر ضيقًا، ولكنها كانت على المؤمنين كتاباً موحوباً. ١

عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. فقال: إن للصلاة وقتاً، والأمر فيه واسع، يُقدّم مرّة ويؤخّر مرّة إلا الجمعة، فإنها هو وقت واحد، وإنما عنى الله كتاباً موقوتاً أي واجباً، يعني بها أنّها الفريضة. ٢

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، قال: لو عنى أنّها في وقت لا تُقبل إلا فيه، كانت مُصيبةً، ولكن متى أدّيتها فقد أدّيتها. ٣ وفي رواية أخرى عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول في قول الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. قال: إنّها يعني وجوبها على المؤمنين، ولو كان كما يقولون إذاً لهلك سليمان بن داود عليه السلام حين قال: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾؛ لأنّه لو صلاها قبل ذلك كانت في وقت، وليس صلاةً أطول وقتاً من صلاة العصر. ٥

روى الصدوق نحوها في علل الشرائع ٦ والمجلسي في بحار الأنوار ٧.

وفي رواية أخرى عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. فقال: يعني بذلك وجوبها على المؤمنين، وليس لها وقت من تركه أفرط الصلاة، ولكن لها تضييع. ٨

عن عبد الحميد بن عوّاض، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

١. تفسير العياشي ١/٤٣٩، ح ٢٦٢.

٢. تفسير العياشي ١/٤٤٠، ح ٢٦٣.

٣. تفسير العياشي ١/٤٤٠، ح ٢٦٤.

٤. سورة ص / ٣٢.

٥. تفسير العياشي ١/٤٤٠، ح ٢٦٥.


٦. علل الشرائع / ٦٠٥، ح ٧٩.

٧. بحار الأنوار ٨٢/٣٥٤، ح ٢٩.

٨. تفسير العياشي ١/٤٤٠، ح ٢٦٦.

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا*، قال: إنما عنى وجوبها على المؤمنين، ولم يعن غيره. ١.

عن عبيد، عن أبي جعفر عليه السلام - أو أبي عبد الله عليه السلام - قال: سألتُه عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا*﴾. قال: كتابٌ واجبٌ، أما إنه ليس مثل الوقت للحج ولا رمضان، إذا فاتك فقد فاتك، وإن الصلاة إذا صلّيت فقد صلّيت. ٢.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ 

لو نزل اليوم وحيٌّ من السماء في وضعنا مع عدوّنا لما زاد حرفاً واحداً على هذه الآية.

لأن «أحوج ما نحتاج إليه لمقاومة العدو الشرس المتخترس، وردعه عن الغي والبغي هو أن نشد عزائمنا، ونثق بالله وبأنفسنا، وأن لانصغي إلى المستعمرين والانتهازين الذين يبعون استغلالنا وهزيمتنا، ويلفقون الدعايات والاشاعات المضللة ليخدعونا عن واقعنا وطاقاتنا.

إن مجرد القلق يفيد العدو، ويكون عوناً له على ما يريد فضلاً عن الخوف والانهيار، ومن أجل هذا نهانا سبحانه عن الخوف من عدو الله والانسانية، مهما كان ويكون، وأمرنا بالثبات على مقاومته، وأنبأنا بأنه يألم منا كما نألم منه، ولكننا أعلى منه، لإيماننا بالله واعتمادنا عليه... أما [العدو مثلاً] إسرائيل فإنّها تعتمد على الاستعمار والمستعمرين وإخوان الشياطين الذين أوجدوها، وأمدوها بالمال والسلاح، وشجعوها على الاعتداء، وناصروها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن. وما من شك أنه إذا وثقنا بأنفسنا، وثبتنا في المقاومة مخلصين، وبذلنا ما نملك من طاقات، كما أمرنا

١. تفسير العياشي ١/٤٤١، ح ٢٦٧.

٢. تفسير العياشي ١/٤٤١، ح ٢٦٨.

الله ﷻ يكون النصر لنا لا محالة»^١.

و «أمرٌ بالعزيمة والثبات في طلب أعداء الله تعالى، وعدم التواني في دركهم بعد الأمر بأخذ الحذر والاستعداد، فإنَّ الأمر عظيم الشوط طويل ويحتاج إلى بذل التضحيات كما يحتاج إلى الصبر والعزيمة، ومن المعلوم أنَّ الآلام والتضحيات ليست وقفاً على المؤمنين وحدهم، فإنَّ الناس كلَّهم معرَّضون لها، ويتألَّم منها الكافر كما يتألَّم المؤمن. ولا شك أنَّ ممَّا يزيد في عزيمة المؤمن المجاهد إذا علم أنَّه أحدث في العدو جرحاً وخسائر، فيشعر أنَّه ليس الوحيد الذي يتألَّم بل قد أحدث في عدوِّه الألم في ذات الوقت، إلَّا أن الفارق الأعظم بين الألمين أنَّ ألم المومن ذاهب به إلى الجنَّة يغسل به خطاياهم وذنوبهم ويزيل العذاب ويزيد له في الدرجات كلِّما زاد، ويعوِّض له النعيم الأبدي الذي لا ينغصه شيء ممَّا في الدُّنيا، بخلاف ألم العدو الكافر الذي يزيد في بلائه وشقائه وعذابه.

والآية الشريفة من الآيات المعدودة التي تعالج الجانب النفسي في الجهاد، حيث تبعث الطمأنينة في النفوس إذا أصابها الوهن والضعف، وتتكاسل إذا تألَّمت من الجراح والمرض، فتزيلها بأسلوب تربوي نفسي رصين، فتشرح لها أولاً بأنَّ المقام يستدعي التضحية وتلقِّي الآلام والمصائب، ثمَّ تزيد في الهمة والتشجيع بأنَّ الطرف الآخر المقابل أيضاً أصابه بمثل ما أصاب المؤمنين، ثمَّ تنشط العزيمة بإثبات الفرق بين الألمين، الألم الذي يصيب المؤمنين فإنَّ عاقبته الجنَّة ويزيد الثواب ويرفع العذاب، بخلاف الألم الذي يصيب الأعداء الكافرين فإنَّه محيط لهم ومنغص لعيشهم ويجرمهم من نعيم الدُّنيا، ويوردهم البوار والهلاك في الآخرة، فلا ينبغي الوهن والضعف في طلب القوم الذين ناصبوا لكم العداً ويريدون القضاء عليكم»^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَهْنُؤًا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. أي «لا تضعفوا، يقال: وَهَنَ فلانٌ في

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٢٧.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٢٣١.

٢٩٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

الأمر يهن وهناً ووهوناً^١. إذا ضَعُفَ الخطاب للمؤمنين المجاهدين المقاومين في قبال العدو.

﴿ فِي آيَتِنَا ﴾ جار ومجرور ويتعلقان بـ ﴿لَا تَهِنُوا﴾، أي ﴿ فِي ﴾ طلب. الابتغاء: الطلب.

﴿ أَلْقَوْمٍ ﴾ مضاف إليه. «و ﴿ أَلْقَوْمٍ ﴾ هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك»^٢ أو الكفر والنفاق.

﴿ إِن ﴾ حرف شرط جازم

﴿ تَكُونُوا ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لأنه فعل الشرط. وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين.

﴿ تَأْلُمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله، الجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿ تَكُونُوا ﴾، أي ﴿ تَأْلُمُونَ ﴾ مما ينالكم من الجراح والشدائد والمصائب في الدنيا.

﴿ فَ ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل جاء للتأكيد واسمه، والضمير يرجع إلى المشركين والكافرين الأعداء.

﴿ يَأْلُمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله، الجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿ إِنَّهُمْ ﴾. أي فهم ﴿ يَأْلُمُونَ ﴾ أيضاً مما ينالهم من الجراح والشدائد. الألم: ضد اللذة.

﴿ ك ﴾ حرف جر وتشبيه، ويجوز أن تكون اسماً بمعنى: «مثل» في محل نصب صفة للمصدر المحذوف.

﴿ مَا ﴾ مصدرية.

﴿ تَأْلُمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿ مَا ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر بـ ﴿ ك ﴾ والجار والمجرور متعلق بمفعول مطلق محذوف وتقديره: إنهم يالمون ألماً

كألمكم، وإذا كانت ﴿ ك ﴾ بمعنى مثل تكون تقديره: ألماً مثل ألمكم.

﴿ وَ ﴾ عاطفة أو حالية وما بعدها حال من الضمير الخطاب وهو الفارق بين

١. التبيان ٣/٣١٣.

٢. التبيان ٣/٣١٣.

الفريقين: المؤمنين والكافرين.

﴿تَرْجُونَ﴾ معطوفة على ﴿تَأْمُونَ﴾، من الرجاء. والمرجو هو الفتح والظفر في الدنيا والأجر والثواب والمغفرة في الآخرة. وقيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف أي تخافون ﴿مِنَ اللَّهِ مَا لَا﴾ يخافون. والأول أظهر.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَرْجُونَ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة في محل نصب مفعول به. ومر المراد به. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَرْجُونَ﴾ فعل مضارع فاعله. ﴿و﴾ استئنافية.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. أي عليم بالمصالح والأعمال والجهاد وحكيم في تدبير خلقه وتشريع أحكامه.

شأن نزولها

«قال ابن عباس وعكرمة: الآية نزلت في أهل أحد لما أصاب المسلمين ما أصابهم وصعد النبي ﷺ الجبل وجاء أبو سفيان وقال: يا محمد ﷺ يوم لنا ويوم لكم، فقال رسول الله ﷺ: أجيؤه، فقال المسلمون: لا سواء لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلكم في النار، فقال أبو سفيان: عزى لنا ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: قولوا له: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى، ونام المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ...﴾ ١ الآية. وفيهم نزلت ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ﴾ لأن الله تعالى أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم وأراد بذلك إرهاب المشركين فخرجوا إلى بعض الطريق وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة» ٢.

وفي تفسير القمي الآية معطوفة «على قوله في سورة آل عمران ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ

١. سورة آل عمران / ١٤٠.

٢. التبيان / ٣ / ٣١٤.

قَرَّحُ فَقَدَ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَّحٌ مِّثْلُهُ ﴿٢١﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾

خاطب الله هذه الآية نبيه ﷺ وبين للمؤمنين حقيقة حكمه ﷺ وعصمته وتوصي هذه الآية وما بعدها بحكم الحق في القضاء وعدم الحكم بالجور وأن العدالة رمز للاسلام وأحد مقوماته. وليس الدين إلا حقيقته ولا يكفى الاسم في التدين دون التلبس بأحكامه ومقوماته وآدابه ورموزه.

﴿إِنَّا﴾ الحرف المشبهة بالفعل واسمه، قال السبزواري: «أن كل موردي في القرآن الكريم يراد منه تثبيت قدرته ﷻ وعظمته وقهاريته وإظهار الحق، كانت النسبة إليه تعالى بضمير الجمع والعظمة، وكل موردي يراد منه إظهار عطفه ورحمته وحنانه وغفرانه، كانت النسبة إليه بضمير المفرد، وفي المقام إنما أسند ﷻ الإنزال إلى ضمير العظمة تعظيماً لأمر المسند؛ ولأن المقام يستدعي ذلك لتثبيت الحكم»^٣.

﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّا﴾.

﴿إِلَيْكَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾. والخطاب لمحمد ﷺ وهو خاتم أنبيائه ورسله.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به، وهو القرآن العظيم. وعلمك أحكامه وشرائعه وحكمه، فتحكم بين الناس وترفع بذلك خلافاتهم.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جارٍ ومتعلق بحال محذوف من ﴿الْكِتَابَ﴾، وتقديره: متلبساً. ويمكن أن يكون متعلقاً بصفة المصدر - مفعول مطلق - محذوف وتقديره: انزالاً متلبساً

١. سورة آل عمران / ١٤٠.

٢. تفسير القمي / ١ / ٢٢٠.

٣. مواهب الرحمن / ٩ / ٢٥٣.

﴿بِالْحَقِّ﴾. ويمكن أن يكون متعلقاً بحال من الضمير الخطاب في ﴿إِلَيْكَ﴾ ومعك الحق، أو من الضمير الفاعلي في ﴿أَنْزَلْنَا﴾ وتقديره ﴿أَنْزَلْنَا﴾ ه ومعنا الحق.
﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿تَحَكَّمْ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وفاعله ضمير مستتر. والحكم بين الناس هو القضاء بينهم في المخاصمات والمنازعات لرفع النزاع. وفي الآية إيحاء بأن الحكومة - وهي القضاء - من وظائف النبوة ومن شؤونها.
﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان.

﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه. يشمل جميع أفراد المجتمع بلا فرق بين المؤمن والكافر، البرِّ والفاجر.

﴿بِمَا﴾ حرف جر ومجروره اسم موصول متعلق بـ ﴿تَحَكَّمْ﴾.
﴿أَرْزَلْكَ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم، أي ﴿بِمَا﴾ علّمك في كتابه وآياته ووحيه.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿و﴾ استثنائية أو عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية.
﴿تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية واسمها ضمير مستتر «أنت».

﴿لِلْخَائِبِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿تَكُنْ﴾. والخائبن: هو الذي خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله. والخيانة: التعدي على حقوق الغير ممن لا ينبغي ذلك، لا خصوص الخيانة في الودائع.
﴿خَصِيمًا﴾ خبر ﴿لَا تَكُنْ﴾ فعيل بمعنى فاعل وجمعه خصماء. أي مخاصماً عنهم بمعنى مدافعاً عنهم.

الروايات

قال القمي: كان سبب نزولها أنّ قوماً من الأنصار من «بني أبيرق» إخوة ثلاثة كانوا منافقين: بشير وبشر ومبشر، فنقبوا على عمّ قتادة بن النعمان - وكان قتاده بدرياً - وأخرجوا طعاماً كان أعدّه لعياله وسيفاً ودرعاً!

فشكا قتادة ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ قوماً نقبوا على عمّي، وأخذوا طعاماً كان أعدّه لعياله، ودرعاً وسيفاً، وهم أهل بيت سوء. وكان

معهم في الرأي رجل مؤمن يُقال له: «لبيد بن سهل» فقال بنو أبيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل! فبلغ ذلك لبيداً، فأخذ سيفه وخرج عليهم، فقال: يا بني أبيرق أترمونني بالسرقة وأنتم أولى بها مني، وأنتم المنافقون تهجون رسول الله ﷺ وتنسبونه إلى قريش، لتبينن ذلك أو لأملأن سيفي منكم. فداروه، فقالوا له:

إرجع يرحمك الله فإنك بريء من ذلك. فمشى بنو أبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له: «أسيد بن عروة» وكان منطيقاً بليغاً، فمشى إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت من أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرقة، واتهمهم بما ليس فيهم! فاغتم رسول الله ﷺ لذلك وجاء إليه قتادة، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقة! وعاتبه عتاباً شديداً، فاغتم قتادة من ذلك ورجع إلى عمه، وقال: يا ليتني مت ولم أكلم رسول الله ﷺ فقد كلمني بما كرهته.

فقال عمه: الله المستعان. فأنزل الله في ذلك على نبيه ﷺ الآية^١.

ذكرها الشيخ مع غيرها في تبيانه^٢.

معتبرة عبد الله بن سنان قال أبو عبد الله عليه السلام لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة، قال عليه السلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام^٣.

خبر موسى بن أشيم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أريد أن تجعل لي مجلساً، فوعدني يوماً فأتيته للميعاد، فدخلت عليه فسألته عما أردت أن أسأله عنه، فبينما نحن كذلك إذ قرع علينا رجل الباب، فقال: «ما ترى، هذا رجل بالباب» فقلت: جعلت فداك أمّا أنا فقد فرغت من حاجتي فرأيك، فأذن له، فدخل الرجل فتحدث ساعة، ثم سأله عن مسائلي بعينها لم يُجزم منها شيئاً، فأجابه بغير ما أجبني، فدخلني من ذلك ما لا يعلمه إلا الله ثم خرج.

١. تفسير القمي ١/ ٢٢١.

٢. التبيان ٣/ ٣١٦.

٣. الكافي ١/ ٦٦٦، ح ٨ (١/ ٢٦٨).

فلم نلبث إلا يسيراً حتى استأذن عليه آخر فأذن له فتحدث ساعة، ثم سأله عن تلك المسائل بعينها، فأجابه بغير ما أجابني وأجاب الأول قبله، فازددت غمّاً حتى كدت أن أكفر، ثم خرج.

فلم نلبث إلا يسيراً حتى جاء آخر ثالث فسأله عن تلك المسائل بعينها، فأجابه بخلاف ما أجابنا أجمعين، فألظم عليّ البيت ودخلني غمّ شديداً، فلما نظر إليّ ورأى ما بي ممّا تداخطني، ضرب بيده على منكبي.

ثم قال: «يا ابن أشيم إنّ الله ﷻ فوّض إلى سليمان بن داود ﷺ ملكه، فقال ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^١ وإنّ الله ﷻ فوّض إلى محمد ﷺ أمر دينه فقال: ﴿تَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾، وإنّ الله فوّض إلينا ذلك كما فوّض إلى محمد ﷺ. ٢.

الإجابات المختلفة لعلّ لتعدد الموضوعات التي تخفي على موسى بن أشيم ولكن الإمام ﷺ يعلمه بالعلم الغيب الألهي كما يظهر من تمسكه ﷺ بالآية الشريفة وهي قوله تعالى ﴿بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾.

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

«ظاهر الخطاب في الآية المباركة للنبي ﷺ، فيكون المراد منه الطلب من الله تعالى الستر على ما في طبع الإنسان من الميل إلى الهوى من هضم الحقوق، والدليل عليه قوله تعالى في ذيل الآيات المباركة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^٣، فإنّ الآية المباركة تدلّ على عصمة الله تعالى لنبيه الكريم بعد بذل القوم غاية جهدهم في إضلاله وإيثار الباطل لديه وتحريره على الحقّ، ولكن الله تعالى جعله في أمنه وأخبرهم بأنهم لا

١. سورة ص / ٣٩.

٢. مختصر البصائر / ٢٦٥، ح ٥.

٣. سورة النساء / ١١٣.

يضرّونه، فلا يجور في الحكم ولا يميل إلى الباطل»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَسْتَغْفِرِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، والخطاب للرسول الأعظم ﷺ والمراد به أمته كما عليه الشيخ^٢ واستغفار الرسول ﷺ يمكن أن يكون لأجل عدم التوجّه التام للمقام الربوبي أو لأجل رَفْع الدرجة واستغفار غيره يكون من الذنب وبينهما بون بعيد.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر «هو».

﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية ﴿كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ خبر

﴿إِنَّ﴾. وتعليل لأمر الوارد بالاستغفار.

والروايات الواردة حول الاستغفار كثيرة جداً ولأجل الاطلاع عليها راجع كتابي موسوعة

أحاديث أهل البيت ﷺ^٣.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا

أَثِيمًا﴾

«نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم بمعنى يخونون

أنفسهم فيجعلونها بخيانتهم ما خانوا من الأموال. وهم الذين تقدّم ذكرهم من بني

إبريق فقال: لا تخاصم عنهم فيما خانوا فيه»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تُجَادِلْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية وفاعله ضمير مستتر «أنت»

١. مواهب الرحمن ٢٥٦/٩، تبعاً لصاحب الميزان ٧٢/٥.

٢. التبيان ٣١٧/٣.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ٢١٦/١.

٤. التبيان ٣١٨/٣.

والخطاب للرسول الأعظم ﷺ تعظيماً للأمر وتعليماً للأمة. المجادلة: المخاصمة، ﴿لَا تُجَدِلْ﴾ أي لا تخاصم ولا تدافع. والمراد بالخطاب بعض المؤمنين لا نفس الرسول لأنه معصوم.

﴿عَنِ الَّذِينَ﴾ جار ومجروره اسم موصول متعلق بـ ﴿لَا تُجَدِلْ﴾. ﴿تَحْتَاوُنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على الاستمرار مضافاً إلى صيغة مبالغة الآتية ﴿خَوَانًا﴾ والخيانة: معناها واضحة.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. خيانة النفس: هي حملها على ما يخالف الفطرة والدين الإلهي فتشمل كل معصية.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهِ﴾ اسمه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مَنْ﴾ موصولة بمعنى الذي، مفعول به.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر «هو».

﴿خَوَانًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. صيغة مبالغة أي كثير الخيانة وهو الذي كان صنعته

خيانة الناس في أموالهم وغيرها.

﴿أَثِيمًا﴾ خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾ أو نعت لـ ﴿خَوَانًا﴾. صفة مشبهة ومعناه: المنهمك

في الإثم.

وخيانتهم وإثمهم يوجب عدم محبوبيتهم لله تعالى.

﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾

ذكر الله تعالى أعظم صفات المنافقين و «أخبر الله تعالى أن هؤلاء الخائنين يكتمون خيانته من الناس الذين لا يقدر عليهم على شيء إلا الذكر لهم بقبيح ما أتوه من فعلهم وتشنيع ما ركبوه إذا اطلعوا منهم على ذلك حياء منهم وحذراً من قبح

٣٠٤..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

الاحدوثة ولا يستخفون من الله الذي هو معهم بمعنى أنه مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أمرهم ويده العقاب. والنكال وتعجيل العذاب فهو أحق بأن يستحيا منه وأولى بأن يعظم من أن يراهم حيث يكرهه»^١.

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بمعنى يكتُمون ويستترون حياءً وخوفاً. فالاستخفاء كناية عن الاستحياء.

﴿مِنَ النَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾، وعارهم. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ مرّت إعرابه ومعناه، والاستخفاء من الله أمر غير مقدور إذ لا يخفى على الله شيء فمقابله أيضاً غير اختياري لا يتعلّق به لوم أو تعبير، لكن قد مرّ أن المراد به الاستحياء.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور، وناره.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾ تعالى.

﴿مَعَهُمْ﴾ ظرف ومضاف إليه. خبر. والجملة الاسمية في محل نصب حال. و «معيته تعالى لخلقه معية قيومية إحاطية علمية، لا معية زمانية ومكانية، فإنه تعالى محيط بها»^٢.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان في محل نصب متعلّق بـ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾.

﴿يُبَيِّنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف.

المراد به أنهم يدبّرون الحيلة ليلاً للتبرّي من خيانتهم المذمومة أو لإجرائها.

﴿مَا﴾ اسم موصول، مفعول به. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَرْضَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر: «هو» يرجع إلى الله تعالى.

﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من الاسم الموصول. أي

يدبّرون ويبيّنون ويمهدون قولاً وتوجيهاً وحيلة لا يرضى بها الله تعالى.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

١. البيان ٣/٣١٨.

٢. مواهب الرحمن ٩/٢٦١.

﴿بِمَا﴾ حرف جر ومجروره اسم موصول أو مصدرية.
 ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿مُحِيطًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. إحاطة الله تعالى بهم وبأعمالهم وجرائمهم يكون في جميع الأحوال حتى حال الإتيان بها.
 معية الله وإحاطته تعالى علتان لعدم استخفاء أعمالهم من الله تعالى.

الروايات

صحیحة سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: يعني فلاناً وفلاناً وأبا عبيدة بن الجراح. ١.

عن عامر بن كثير السراج، وكان داعية الحسين بن عليّ [الشهيد بفخّ]، عن عطاء الهمداني، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: فلان وفلان وفلان وأبو عبيدة بن الجراح. ٢.

وفي رواية عمرو بن سعيد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: هما وأبو عبيدة بن الجراح. ٣.

وفي رواية عمر بن صالح، قال: الأوّل والثاني وأبو عبيدة بن الجراح. ٤.

﴿هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾



يذكر الله تعالى عدم انتفاع هؤلاء بالمجادلة عنهم في صورة الاستفهام وأنّ الدفاع عنهم لو نفعهم - ولن ينفعهم - فإنّما ينفعهم في الحياة الدنيا لا في حياتهم

١. الكافي ١٥/٧٤٣، ح ٥٢٥ (٣٣٤/٨).

٢. تفسير العياشي ١/٤٤١، ح ٢٦٩.

٣. تفسير العياشي ١/٤٤٢، ح ٢٧٠.

٤. تفسير العياشي ١/٤٤٢، ح ٢٧١.

الأخروية ولا مدافع عنهم هناك.

﴿هَتَّ﴾ حرف تنبيه.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، الضمير يرجع إلى بعض المؤمنين الذين يدافعون عن الخائنين.

﴿هَتَّ﴾ حرف تنبيه. ﴿وَأَلَاءَ﴾ اسم إشارة، خبر.

﴿جَدَلْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، أي دافعتم.

﴿عَنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿جَدَلْتُمْ﴾. والضمير يرجع إلى الخائنين.

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ جارٍ ومجرور، متعلق بـ ﴿جَدَلْتُمْ﴾.

﴿الدُّنْيَا﴾ نعت لـ ﴿الْحَيَاةِ﴾. ﴿وَأَسْتَنَافِيَةَ﴾. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿يُجَدِّلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر، خبر، أي: يدافع

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿عَنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور يتلحق بـ ﴿يُجَدِّلُ﴾. والضمير يرجع إلى الخائنين.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان.

﴿الْقِيَمَةِ﴾ مضاف إليه. «معناه من ذا يخاصم الله عنهم يوم تقوم الساعة يوم

يقوم الناس من قبورهم إلى محشرهم فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم. والمعنى إنكم إن

دافعتم في عاجل الدنيا فإنهم سيصيرون في الآخرة إلى من لا يدافع عنده عنهم أحد

فيما يفعل بهم من العذاب وأليم النكال»^١.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، حرف عطف بمعنى «بل». ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بخبر ﴿يَكُونُ﴾.

﴿وَكَيْلًا﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾. وجملة ﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ خبر مبتدأ ﴿مَنْ﴾.

والوكالة: القيام بأمر من يوكل له.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾

بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا الْإِنْسَانُ يَتَأَثَّرُ نَفْسُهُ مِنْهَا وَتَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ مَخْرَجٌ عَنْهَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَيَسْتَغْفِرَهُ فَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ وَجَدَ ﴿اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

«وَاحْتَلَفُوا فِيمَنْ عَنِي بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: عَنِي بِهَا الْخَائِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُولَى.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَنِي الَّذِينَ كَانُوا يَجَادِلُونَ عَنِ الْخَائِنِينَ. قَالَ لَهُمْ: ﴿هَتَأَنْتُمْ هَتُؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^١. وَالْأُولَى حَمَلُ الْآيَةِ عَلَى عَمُومِهَا فِي كُلِّ مَنْ عَمِلَ سُوءًا أَوْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَإِنْ كَانَ سَبَبَ نَزْوِلِهَا فِيمَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ الْخَائِنِينَ أَوْ الْمَجَادِلِينَ. وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ الْمَفْسَرِينَ: الطَّبْرِيُّ، وَالْبَلْخِيُّ، وَالْجُبَّائِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْقِلٍ، وَأَبُو وَائِلٍ، وَغَيْرُهُمْ^٢.

﴿وَ﴾ اسْتِثْنَائِيَّةٌ.

﴿مَنْ﴾ اسْمٌ شَرْطٌ جَازِمٌ، مُبْتَدَأٌ، وَجَمَلْنَا فِعْلَ الشَّرْطِ وَجَوَابَهُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرٍ.

﴿يَعْمَلُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ وَفَاعِلُهُ، فِعْلُ الشَّرْطِ.

﴿سُوءًا﴾ مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ التَّعْدِي إِلَى الْغَيْرِ أَوْ الذَّنْبَ الصَّغِيرَ.

﴿أَوْ﴾ عَاطِفَةٌ، يَسْتَفَادُ مِنْهَا التَّدْرِجُ مِنْ صِغَارِ الذَّنُوبِ إِلَى كِبَارِهَا.

﴿يَظْلِمُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ وَفَاعِلُهُ، مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يَعْمَلُ﴾.

﴿نَفْسَهُ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. وَالظَّلْمُ بِالنَّفْسِ هُوَ التَّعْدِي عَلَيْهِ أَوْ الذَّنْبَ

الْكَبِيرَ.

﴿ثُمَّ﴾ حَرْفٌ عَطْفٌ، لِلتَّرْتِيبِ.

﴿يَسْتَغْفِرُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ وَفَاعِلُهُ. مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يَظْلِمُ﴾. أَي: يَرْجِعُ

١. سورة النساء / ١٠٩.

٢. التبيان / ٣ / ٣٢١.

ويتوب إلى الله مما عمل من المعاصي الصغار والكبار.

﴿الله﴾ مفعول به.

﴿يجد﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. جواب الشرط. «والتعبير بالوجدان لبيان

سرعة الاستجابة» ١.

﴿الله﴾ مفعول به. والتصريح باسم الجلالة تأكيد لما يأتي بعده.

﴿غفوراً﴾ مفعول به ثان. ﴿غفوراً﴾ لذنوبه.

﴿رحيماً﴾ نعت. ﴿رحيماً﴾ به.

«واطلاق الآية المباركة يشمل جميع الذنوب الصغائر والكبائر كما إن سياقها

يدل على التفضل والامتنان» ٢.

الروايات

وعن رسول الله ﷺ، قال: «ما من عبد أذنب ذنباً فقام وتوضأ واستغفر الله

من ذنبه، إلا كان حقيقاً على الله أن يغفر له، لأنه يقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾» ٣.

وقال ﷺ: «ما كان الله ليفتح باب الدعاء ويغلق باب الإجابة، لأنه يقول:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٤، وما كان ليفتح باب التوبة ويغلق باب المغفرة، وهو يقول:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾» ٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ومن أعطي الاستغفار لم يُجرم المغفرة ٦.

١. مواهب الرحمن ٩/ ٢٦٣.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٢٦٣.

٣. البرهان ٢/ ١٧١، ح ٩؛ وفي إرشاد القلوب ١/ ٤٦ «نحوه».

٤. سورة غافر / ٦٠.

٥. البرهان ٢/ ١٧١، ح ١١؛ وتجد قطعة منه في أمالي الطوسي، المجلس الأول ح ٦/ ٥؛ وعدة الداعي

/ ٢٩؛ والفردوس للديلمي ٤/ ٨٨، ح ٦٢٧٣؛ وكنز العمال ٢/ ٦٨، ح ٣١٥٥.

٦. نهج البلاغه، قطعة من حكمة ١٢٨.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١١١﴾

هذه الآية كالمقدمة للآية الآتية وهي أن الإثم كسبٌ لفاعله وكاسبه ويُجعل في صحيفة أعماله، لا في صحيفة أعمال غيره، وإجمال معناها أن «لا تجادلوا أيها الناس الذين يجادلون عن هؤلاء الخونة - فإنكم وإن كنتم لهم عشيرة وقرابة - فيما أتوه من الذنب، ومن التبعة التي يتبعون بها، فإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتهم بسببهم كنتم مثلهم، لا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، معطوف على ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾، وجملتا فعل الشرط جوابه في محل رفع خبره.

﴿يَكْسِبْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر، فعل الشرط، أي «من يأت ذنباً على عمد منه ومعرفة»^٢.

﴿إِثْمًا﴾ مفعول به، أي ذنباً. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنَّمَا﴾ كافه مكفوفة، مسوق لقصر التعيين.

﴿يَكْسِبُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به، والضمير المفعولي

يرجع إلى الاثم.

﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَكْسِبْ﴾ ومضاف إليه. أي على غيره،

لأنه «هو الذي فعله لا غيره وإن رماه به أو تعهد له هو أن يحمل إثمه»^٣ كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^٤ وقوله عز من قائل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ

١. التبيان ٣/٣٢٢.

٢. التبيان ٣/٣٢١.

٣. سورة البقرة/٢٨٦.

٤. سورة الأنعام/١٦٤.

لَكَذِبُونَ ﴿١﴾

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. عالمًا بما تفعلون و ﴿حَكِيمًا﴾ في أفعاله وتدابيره.

﴿فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِجُرْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَعْاقِبُ الْوَالِدَ بِذُنُوبِ

الْآبَاءِ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَشْوِ﴾^٢.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ﴿١٢﴾

بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ «أَنَّ الْخَطِيئَةَ وَالْإِثْمَ الَّذِي يَرْتَكِبُهُ أَحَدٌ إِذَا رَمَى بِهِ بَرِيئًا كَانَ إِثْمًا وَخَطِيئَةً أُخْرَى»^٣ و «تَتَضَمَّنُ أَدْبًا مِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ، وَخَلْقًا كَرِيمًا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَهُوَ تَرْكُ رَمِي الْبَرِيِّ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ خَطِيئَةٌ أُخْرَى وَإِثْمٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالظُّلْمِ عَلَى الْغَيْرِ وَذَهَابِ الثِّقَةِ بَيْنَ الْمَجْتَمَعِ وَهَدْمِ الْإِعْتِمَادِ فِي الْأُسْرَةِ وَالْإِشَاعَةِ الْفَحْشَاءِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ؛ وَلِذَا كَانَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً تَوْجِبُ فُسَادَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، معطوف على ﴿مَنْ يَكْسِبُ إِثْمًا﴾، وجملتا فعل

الشرط وجوابه في محلِّ رفع خبره.

﴿يَكْسِبُ﴾ فعل الشرط.

﴿خَطِيئَةً﴾ مفعول به، وقد تطلق على الأثم العمد وغير العمد. على وزان فاعيل

وهو «يَدُلُّ عَلَى اخْتِرَانِ الْحَدِيثِ وَاسْتِقْرَارِهِ فَالْخَطِيئَةُ هِيَ الْعَمَلُ الَّذِي اخْتَرَنَ وَاسْتَقَرَّ

١. سورة العنكبوت / ١٢.

٢. التبيان / ٣ / ٣٢٢.

٣. مواهب الرحمن / ٩ / ٢٦٤.

٤. مواهب الرحمن / ٩ / ٢٦٦.

فيه الخطأ»^١.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿إِنَّمَا﴾ معطوف على ﴿خَطِيئَةٌ﴾. والإثم: الذنب الذي لا يكون إلا عمداً. و«الإثم ما يوجب قصر صاحبه عن الكمال أو ما يوجب الحرمان عن الخيرات»^٢.
﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، جاء للترتيب.

﴿يَرْمِ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. معطوف على ﴿يَكْسِبُ﴾، أي أضافه إلى من هو بريء منه.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَرْمِ﴾. والضمير يرجع إلى الإثم أو إلى الإثم والخطيئة معاً مع ادعاء توحيدهما.

﴿بَرِيئًا﴾ مفعول به. أي ينسبه إلى من هو بريء منه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَحْتَمَلَ﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جزم لأنه جواب الشرط. أي قد تحمّل بفعله ذلك فريئة. «وفي اطلاق الاحتمال بالنسبة إلى قبول وزر البهتان استعارة لطيفة، كأنّ المفترى يفتك بالمتهم البريء ويرميه بالإثم والخطيئة، فيوجب أن يتحمّل حملاً يشغله عن كلّ خير، لا يفارقه مدى حياته»^٣.

﴿هَيِّنًا﴾ مفعول به. وهو «الكذب الذي تتحير فيه من عظمه وبيانه»^٤. والتنكير للتفخيم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّمَا﴾ معطوف على ﴿هَيِّنًا﴾. أي جرماً.

﴿مُبِينًا﴾ نعت. أي عظيماً. المبين: الذي لا شك فيه ولا خفاء.

روايتان

عن عبدالله بن حمّاد الأنصاري، عن عبدالله بن سنان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

١. الميزان ٥/٧٦.

٢. مواهب الرحمن ٩/٢٦٤.


٣. مواهب الرحمن ٩/٢٦٥.

٤. التبيان ٣/٣٢٢.

٣١٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه مما قد ستره الله عليه، فأما إذا قلت ما ليس فيه،
فذلك قول الله: ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾^١.

قال الشيخ: «واختلفوا فيمن عنى به بقوله: ﴿بَرِيئًا﴾ بعد إجماعهم على أن
الرامي ابن أبيرق، فقال قوم: البريء رجل مسلم يقال له: لبيد بن سهل. وقال
آخرون: بل هو رجل يهودي يقال له زيد بن السمين... وبالأخير قال ابن سيرين،
ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام»^٢.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، هَمَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ 

«الآية الشريفة تدلّ على أنهم كانوا يهتّمون بإضلال النبي ﷺ ويرضونه
بالدفاع عن الخائنين والمجادلة عنهم، وهؤلاء هم الذين خاطبهم ﷺ بقوله: ﴿هَتَأْتُمْ
هَتُؤَلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٣، وتنطبق الآية الكريمة على القوم الذين اتهموا
بريئاً وأرادوا تعريض النبي ﷺ للمجادلة عنهم»^٤.

«والمعنى المحصل أنّ فريقاً من أنصار السارق وجماعته تأمروا على أن يخذعوك
عن الحق، وحاولوا أن يميلوك على الوقوف إلى جانبهم في نصره صاحبهم، وكدت
تركن إليهم مغترّاً بما أظهره لك من الصلاح، ولكن الله عصمك منهم، وأطلعك
على مؤامرتهم، وردّ كيدهم إلى نحورهم.

وهذه الآية ردّ صريح على من زعم من المفسرين أنّ النبي ﷺ دافع وجادل
عن الخائنين، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾. وقوله: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ

١. تفسير العياشي ١/٤٤٢، ح ٢٧٢.

٢. التبيان ٣/٢٢٣.

٣. سورة النساء/١٠٩.

٤. مواهب الرحمن ٩/٢٦٦.

من شَيْءٍ ﴿١﴾، لا يقبلان التأويل والشك في أنّ النبي لم يجادل عن السارق، ولم يبرئه من السرقة والخيانة، وأنّ الذي فعل هذا غيره ﴿١﴾.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَوْلَا﴾ حرف شرط غير جازم وحرف امتناع لوجود.

﴿فَظُلُّ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: موجود.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. والمراد بـ ﴿فَظُلُّ اللَّهِ﴾ هو العصمة والتأييد وإخبار الله تعالى

للنبيّ القصة وبيانه له والأوّل هو العمدة.

﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿فَظُلُّ﴾ أو بحال محذوفة منه. والضمير خطاب

للنبي الخاتم ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَحْمَتُهُ﴾ معطوفة على ﴿فَظُلُّ اللَّهِ﴾، ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾

تبارك وتعالى. ويمكن أن تكون ﴿رَحْمَتُهُ﴾ هنا تبيين الأمر للنبي ﷺ وإرشاده ﷺ إلى الحقيقة.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْلَا﴾، والجملة الفعلية بعدها جواب الشرط وتكون

غير جازم لا محلّ لها من الاعراب.

﴿هَمَّتْ﴾ فعل ماض، أي قصدت وبذلت.

﴿طَائِفَةٌ﴾ فاعله. وهم فرقة من ﴿الَّذِينَ تَحْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾^٢ الذين يدافعون

عن الخائن ويطلبون من النبي ﷺ الدفاع عنه.

﴿مِنْ﴾ حرف جري بياني هنا.

﴿هُمَّ﴾ مجروره. والجار ومجروره متعلّق بصفة محذوفة من ﴿طَائِفَةٌ﴾. والضمير

يرجع إلى ﴿الَّذِينَ تَحْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالدفاع عن الخائن وهم قومه وأنصاره.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُضْلُوكُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. ﴿أَنْ﴾ المصدرية وما

بعدها بتأويل مصدر في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف تقديره: لهموا بإضلالك.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٣٣.

٢. سورة النساء / ١٠٧.

﴿يُضِلُّوكَ﴾ أي يزلوك عن الحق ويخطئوك ويجدعوك بلحن القول وصلاح المظهر.
 ﴿وَ﴾ استنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿يُضِلُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر مع ﴿مَا﴾ نافية قبلها.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. لأنَّ محاولة الإضلال تستلزم ضلال المُضِلِّ، ولكن إضلال هؤلاء لا يتعدى إليك ولا يتجاوز عن أنفسهم لأنَّ وزر ضلالهم ووباله يرجع إليهم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يُضْرُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. عطف تفسيري، ومعناه لا تخاف من همهم وشدة جهدهم في تلبيس الحق بالباطل لأنهم لا ﴿يُضْرُونَكَ﴾.
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر بياني.

﴿شَيْءٍ﴾ مجروره، وتنكيره يدلُّ التصغير أو التعميم. فينفي الله تعالى إضرارهم النبي ﷺ نفيًا مطلقًا في علم أو عمل.

﴿وَ﴾ حالية والجملة الفعلية بعدها حال من الضمير الخطاب في ﴿يُضْرُونَكَ﴾. وتعليل له. ولعدم تأثير الإضلال.
 ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به. وهو القرآن العظيم، و ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢ و ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٣.
 ﴿وَ﴾ عاطفه.

﴿الْحِكْمَةَ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابَ﴾ والمراد بها هنا النبوة وتبعتها من الاطلاع على الحقائق ودقائق الكتاب وسائر المعارف الإلهية النافعة للدنيا والآخرة، والفصل في

١. سورة النساء/ ١١١.

٢. سورة النحل/ ٨٩.

٣. سورة آل عمران/ ١٣٨.

القضاء.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَلَّمَكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومعطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾، معقول به. تعليل آخر من عدم تأثير الإضرار والإضلال.

﴿مَا﴾ موصولة في محل نصب مفعول به ثانٍ.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم واسمه ضمير مستتر «أنت».

﴿تَعَلَّمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت». في محل نصب خبر ﴿تَكُنْ﴾.

قبل تعليمك ووحيك من خبر الأولين والآخرين وما كان وما هو كائن وهو غير المعارف الكلية العامة من الكتاب والحكمة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص، أي لم يزل، امتناناً على رسول الله ﷺ.

﴿فَضْلٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلَيْكَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾. يا رسول الله ﷺ.

﴿عَظِيمًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. «فاشكره على ما أولاك من نعمه وإحسانه»^١. وكذا

«فيجب على العرب أن يشكروا محمداً، حيث أصبحوا به شيئاً مذكوراً بعد جاهليتهم الجهلاء، ويشكروا الله، حيث جعل أشرف خلقه، دون استثناء منهم لا من غيرهم»^٢.

بل يجب على الإنسانية أن يشكروا محمداً ﷺ حيث جعل تيجان الكرامة على

بني آدم في آيات قرآنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^٣، وافتخروا به ﷺ.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناساً من رهط بشير الأذنين

إنطلقوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: نكلمه في صاحبنا ونعذره، فإن صاحبنا بريء،

فلما أنزل الله ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ إلى قوله

١. التبيان ٣/ ٣٢٥.

٢. التفسير الكاشف ٢/ ٤٣٤.

٣. سورة الاسراء / ٧٠.

٣١٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿وَكَيْلًا﴾ فأقبلت رهط بشير، فقال: يا بشير، استغفر الله وتب إليه من الذنب. فقال:
والذي أحلف به ما سرقها إلا لبيد، فنزلت:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ثم
إن بشيراً كفر ولحق بمكة وأنزل الله في النفر الذين أعذروا بشيراً وأتوا النبي ليعذروه.
قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ١.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

تعليم إلهي للناس وإرشاد لهم بأنهم إذا تناجوا فلا بد أن تكون نجواهم بالخير
 والمعروف والإصلاح بين الناس وتأليف القلوب بالموودة وإلا فلا خير في نجواهم
 ويكون وزره ووباله عليهم ولذا قال الشيخ: «أخبر الله تعالى أنه لا خير في كثير من
نجوى الناس جميعاً» ٢.

﴿لَا﴾ نافية للجنس تعمل عمل «إن».

﴿خَيْرٍ﴾ اسم ﴿لَا﴾. مبني على الفتح في محل نصب. وخبرها محذوف تقديره
موجود أو كائن. ومعنى «الخير» واضح وفي مقابله «الشر».

﴿فِي كَثِيرٍ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾ المحذوف، تقديره ﴿لَا خَيْرٍ﴾
موجود ﴿فِي كَثِيرٍ﴾....

﴿مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ جار ومجرور مضاف إليه. ويتعلق الأولان بصفة محذوفة من
﴿كَثِيرٍ﴾. «والنجوى: هو ما يفرد به الإثنان أو الجماعة [من القول] سراً كان أو
جهرًا» ٣.

١. تفسير القمي ١/٢٢٢، ح ٢٣.

٢. التبيان ٣/٣٢٦.

٣. التبيان ٣/٣٢٦.

وقال الراغب: «ناجيتُهُ أي ساررتُهُ وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض»^١.
«النجوى سرٌّ بين اثنين أو أكثر»^٢.

«فالنجوى: المسارة في الحديث وربما أُطلق على نفس المتناجين قال تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نُجْوَى﴾^٣ أي متناجون»^٤.

«وفي الحديث: «دعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه، فقال: ما انتجيتُه ولكن الله انتجاه»^٥، أي: أن الله تعالى أمرني أن أناجيه. وفي الدعاء: «اللهم بمحمد نبيك و صفيك، وبموسى نبيك»، أي: المناجي والمخاطب معك.

والضمير في ﴿نَجْوَاهُمْ﴾ يعود إلى القوم المختارين أنفسهم، الذين يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله تعالى، وقد غلب الشر عليهم فلا خير فيهم، لا في أفعالهم ولا أقوالهم ولا في مناجاتهم فيما بينهم. وإنما عبر بـ﴿بِ﴾ لـ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ﴾؛ لأن ما تناجوا فيه من الأمور التي نفى عنها الخير، فلا يحتاج إلى النجوى فيها، أو لأن النجوى إن كان راجعاً إلى شؤونهم الخاصة التي لا ربط لها بإبطال الحق وإحقاق الباطل، فليس داخلياً في مضمون الآية الشريفة، وهي قليلة عندهم. أو أن نفي الخير عن الكثير راجع إلى نفي الخير كله، باعتبار أن الكثير إذا لم يكن فيه الخير فقليله لا ينعف؛ لأن النجوى مظنة الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^٦، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا

١. المفردات في غريب القرآن / ٥٠٤.

٢. التفسير الكاشف / ٢ / ٤٣٤.

٣. سورة الاسراء / ٤٧.

٤. الميزان / ٥ / ٨١.

٥. راجع: أسد الغابة / ٢ / ٢٧؛ المعجم الكبير / ٢ / ١٨٦، ح ١٧٣٥ للطبراني؛ تحفة الأحوذى / ١٠ / ١٥٩؛ الكامل في التاريخ / ١ / ٤٢٨؛ المناقب / ١٣٧، ح ١٥٥ للخوارزمي؛ تاريخ بغداد / ٧ / ٤١٤، ح ٣٩٤٥؛ بشارة المصطفى لشيعه المرتضى / ٣٦٢، ح ٤٩.

٦. سورة المجادلة / ١٠.

٣١٨..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجَوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ^١، فَإِنَّ الإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ إِنَّمَا يَتَحَدَّثُ عَنْهَا فِي السَّرِّ، دُونَ الْخَيْرِ فَإِنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي الْمَلَأِ^٢.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، والاستثناء متصل أي ﴿إِلَّا﴾ نجوى من أمر...، ويمكن أن يكون منقطعاً بمعنى: لكن مَنْ أمر ﴿بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والأوّل أظهر.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جرّ بالاضافة إلى مستثنى المحذوفة المنصوبة وهي نجوى، أو بدل من ﴿كَثِيرٍ﴾.

﴿أمر﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بِصَدَقَةٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿أمر﴾. والصدقة: هي العطية للغير بقصد القربة والتبرع بها.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿مَعْرُوفٍ﴾ معطوف على ﴿صَدَقَةٍ﴾. والمعروف: ما اعترف بحسنه العقل ولم ينكره الشرع ويعمّ جميع أعمال البرّ. ومن أفرادها الصدقة ولكن اختصّها بالذكر «لكونها الفرد الكامل في الاحتياج إلى النجوى... غالباً»^٣.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف. ﴿إِصْلَاحٍ﴾ معطوف على ﴿صَدَقَةٍ﴾.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلّق بـ ﴿إِصْلَاحٍ﴾.

﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه.

«وعموم الإصلاح بين النَّاسِ يشتمل جميع أفرادهم، في الدماء والأموال والأعراض وفي كلّ شيء يرفع الاختلاف بين النَّاسِ»^٤.

﴿وَ﴾ استئنافية.

١. سورة المجادلة / ٩.

٢. مواهب الرحمن ٩ / ٢٦٩ و ٢٧٠.

٣. الميزان ٥ / ٨١.

٤. مواهب الرحمن ٩ / ٢٧١.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبره.
 ﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو».
 ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مفعول به، إشارة إلى الأمور الثلاثة.
 ﴿أَتَبْتَغَاءَ﴾ مفعول لأجله لـ ﴿يَفْعَلُ﴾. بغي الشيء: طلبه وابتغاه: شدة الطلب والاجتهاد فيه.

﴿مَرَضَاتٍ﴾ ١ مضاف إليه. أي: لوجه. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه ثان.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال.
 ﴿نُؤْتِيهِ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضممة المقدرة على الياء للثقل وفاعله ضمير مستتر «نحن»، ومفعول به أول. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط. ومعناه: نعطيهِ في المستقبل. والانتساب إلى الله يدل على تعظيم الأجر.
 ﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان. أي: ثواباً. ﴿عَظِيمًا﴾ نعته. أي جزيلاً كثيراً دائماً.

الروايات

صحيحة حماد [بل الحلبي] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله فرض التمحل في القرآن. قلت: وما التمحل جُعلت فذاك؟
 قال: أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك فتمحل له، وهو قوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ ٢.
 «المراد من التمحل ارتكاب الحيل الشرعية في قضاء حوائج الإخوان» ٣.
 وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم ٤.
 موثقة أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من

١. كُتِبَتْ كلمة ﴿مَرَضَاتٍ﴾ في المصحف الشريف بالتاء المبسوطة (الطويلة) وهي في قواعد رسم الكلمات المعروف خطأ بـ (الإملاء) تُكْتَبُ بالتاء القصيرة «مرضاة» بناءً على القاعدة التي منطوقها: «خطان لا يقاس عليها المصحف والعروض» [السيد عبدالستار الحسني].
 ٢. تفسير القمي ١/٢٢٣، ح ٢٤.
 ٣. مواهب الرحمن ٩/٢٧٢.
 ٤. تفسير القمي ١/٢٢٣، ح ٢٥.

كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه، إن رسول الله ﷺ نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن ﷻ يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾^١ وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْوُكُمُ﴾^٢ ٣.٢

موثقة إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال: يعني بالمعروف القرص.^٤
رواه العياشي عن إبراهيم بن عبد الحميد عن بعض القميين^٥، والصدوق في الفقيه مرتين^٦.
في صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى ﷺ في وصية أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَنَّ الْمَبِيرَةَ الْخَالِفَةَ لِلدِّينِ فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، الْوَصِيَّةُ^٧.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^٨

بَيَّنَّتْ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ حَالَ الْمُتَنَاجِينَ بِالشَّرِّ وَمُخَالَفَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَاتِّبَاعَهُمْ سَبِيلًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ - وَهُوَ طَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ - فَأَوْعَدَهُمُ اللَّهُ ﷻ الْإِمْلَاءَ وَالِاسْتِدْرَاجَ ثُمَّ الْإِصْلَاءَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ.

١. سورة النساء / ٥.

٢. سورة المائدة / ١٠١.

٣. الكافي / ١ / ١٥١، ح ٥ (٦٠ / ١).

٤. الكافي / ٧ / ٢٨٨، ح ٣ (٣٤ / ٤).

٥. تفسير العياشي / ١ / ٤٤٢، ح ٢٧٣.

٦. الفقيه / ٢ / ٥٨، ح ١٦٩٨ و ١٨٨ / ٣، ح ٣٧٠٦.

٧. الكافي / ١٣ / ٤٥٣، ح ٧ (٥١ / ٧).

﴿وَ عَاطِفَةٌ، عَطَفَتْ الْجُمْلَةَ الْوَالِحَةَ عَلَى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ...﴾ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿مَنْ﴾ اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٍ، مَبْتَدَأٌ، وَجُمَلْنَا فِعْلَ الشَّرْطِ وَجَوَابَهُ خَبْرَهُ.
﴿يُشَاقِقِ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ لِأَنَّهُ فِعْلُ الشَّرْطِ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «هُوَ»
يَرْجِعُ إِلَى ﴿مَنْ﴾. بِمَعْنَى مَنْ يَخَالِفُ ١ لِأَنَّ «الْمَشَاقِقَةَ مِنَ الشَّقِّ وَهُوَ الْقِطْعَةُ الْمَبَانِيَةُ مِنَ الشَّيْءِ فَالْمَشَاقِقَةُ وَالشَّقَاقُ كَوْنُكَ فِي شَقِّ غَيْرِ شَقِّ صَاحِبِكَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَخَالَفَةِ، فَالْمُرَادُ بِمَشَاقِقَةِ الرَّسُولِ بَعْدَ تَبَيَّنِ الْهُدَى مَخَالَفَتَهُ وَعَدَمَ إِطَاعَتِهِ» ٢.

فِيكُونُ مَعْنَى الْمَشَاقِقَةِ: الْمَعَادَاةُ.

﴿الرَّسُولِ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ، «مَعْنَى يُشَاقِقُ الرَّسُولَ بَيَانُ الرَّسُولِ مَعَادِيًّا لَهُ، فَيَفَارِقُهُ عَلَى الْعَدَاوَةِ، لِأَنَّ الْمَشَاقِقَةَ هِيَ الْمَبَانِيَةُ عَلَى وَجْهِ الْعَدَاوَةِ» ٣.

﴿مَنْ بَعْدَ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يُشَاقِقِ﴾.

﴿مَا﴾ مَصْدَرِيَّةٌ، وَهِيَ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِتَأْوِيلِ مَصْدَرٍ فِي مَحَلِّ جَرِّ بِالِإِضَافَةِ.

﴿تَبَيَّنَ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ. ﴿لَهُ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ يَتَعَلَّقُ بِ﴿تَبَيَّنَ﴾.

﴿أَلْهَدَى﴾ فَاعِلٌ ﴿تَبَيَّنَ﴾. «مَعْنَاهُ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ وَظَهَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقٌّ، وَهُدًى مُوَصَّلٌ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ مِثْلَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ» ٤.

و «دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ بَحِثَ وَدَقَّقَ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ الْهُدَى فَهُوَ مُعْذَرٌ، تَمَامًا كَمَا لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ، عَلَى شَرِيحَةِ أَنَّ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى طَلَبِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ مَتَى ظَهَرَ لَهُ.

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُكَلَّفٌ بِمَا يَفْهَمُهُ مِنَ الدَّلِيلِ، وَغَيْرُ مُسْئُولٍ عَنِ الْوَاقِعِ كَمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ مَجْرَدُ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيْبِ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْيَأْسُ مِنْ وَجُودِ الدَّلَائِلِ وَالْقُرَائِنِ، فَإِنَّ أَصَابَ الْوَاقِعِ بَعْدَ هَذَا الْبَحْثِ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ فَلَهُ

١. كما في تفسير القمي ١/ ٢٢٣.

٢. الميزان ٥/ ٨٢.

٣. التبيان ٣/ ٣٢٨.

٤. التبيان ٣/ ٣٢٨.

أجر واحد، كما جاء في الحديث^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه معطوف على ﴿يُشَاقِقِ﴾. وفاعله ضمير مستتر.

﴿غَيْرِ﴾ مفعول به. ﴿سَبِيلِ﴾ مضاف إليه.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه ثان. هذه الجملة «بيان آخر لمشاققة الرسول، والمراد

بسبيل المؤمنين إطاعة الرسول فإن طاعته طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٢.

وبعبارة أخرى: «يتبع غير سبيل من صدقه وسلك منهاجاً غير منهاجهم»^٤.

وبعبارة ثالثة: «سبيل المؤمنين إنما هو سبيل الهداية، وما هم عليه من الحنفيّة

الصافية الموافقة للفطرة الخالية عن كلّ شائبة، كما أنّ سبيلهم إنما يكون سبيل التقوى،

فكان سبيلهم طاعة الله، واجتماعهم إنما كان عليها»^٥.

﴿نُوَلِّهِ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة «ي» لأنه جواب الشرط

وفاعله ضمير مستتر «نحن» وضمير متصل «ه» مفعول به. أي نجعله على ما تولاّه

واختاره من الضلالة والغواية واتباع غير سبيل المؤمنين.

﴿مَا﴾ موصولة، في محلّ نصب لأتّما مفعول به ثان.

﴿تَوَلَّى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». «معناه نجعل ناصره ما

استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله

شيئاً»^٦.

و «أنّ الله سبحانه يكلّ كلّ إنسانٍ إلى ما انتصر به، واعتمد عليه، فمن اعتر بهال

أو منصب أو صحة أو عشيرة تخلى الله عنه، وتركه إلى ما اعتر به.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٣٧.

٢. سورة النساء / ٨٠.

٣. الميزان ٥/ ٨٢.

٤. التبيان ٣/ ٣٢٨.

٥. مواهب الرحمن ٩/ ٢٧٥.

٦. التبيان ٣/ ٣٢٨.

وفي الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لأقطعنَّ أمل كلِّ مؤمِّلٍ من النَّاسِ»^١.
وصريح في أنَّ الانسان مُخَيَّرٌ غير مجبورٍ ومُسَيَّرٌ وهذا جزاءُه الديني.
﴿وَ عَاطِفَةٌ﴾

﴿نُصَلِّهِ﴾ معطوفة على ﴿نُؤَلِّهِ﴾ وتعرب إعرابها. الصلاة: لزوم النَّار.
والإصلاء: إلزامه.

﴿جَهَنَّمَ﴾ مفعول به، وهذه جزاءُه الأخرى. ﴿وَ اسْتِنَافِيَةٌ﴾
﴿سَاءَتْ﴾ فعل ماضٍ مؤنث وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾.
﴿مَصِيرًا﴾ تمييز.

شأن نزولها

«نزلت هذه الآية في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^٢ لما أبى التوبة أبو طعمة بن الأبيرق ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدًا مفارقًا رسول الله ﷺ وهو قول مجاهد وقتادة، وأكثر المفسرين. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام^٣».

تنبيه

قال الفخر الرازي: «روي أنَّ الشافعي رحمه الله سئل عن آية في كتاب الله تعالى تدلُّ على أنَّ الإجماع حجة، فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتَّى وجد هذه الآية، وتقرير الاستدلال أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام، فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً»^٤.
وتبعه البيضاوي^٥.

ولكن ردَّه الشيخ الطوسي في تبيانه^٦ وكتابه العدة في أصول الفقه^٧ بالوجه الثمانية فراجعها.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٣٦.

٢. سورة النساء / ١٠٥.

٣. التبيان ٣/ ٣٢٨.

٤. التفسير الكبير ١١/ ٤٣.

٥. أنوار التنزيل / ١٠٦ من الطبعة الحجرية.

٦. التبيان ٣/ ٣٢٩.

٧. العدة في أصول الفقه ٢/ (٦١٣-٦٠٥).

وحاصل الردّ: «أنّ مفاد الآية وجوب اتباع المؤمنين بما هم مؤمنون؛ إذ تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية. ومن الواضح أنّ الإيمان بما هو إيمان بالله وبرسوله لا يقتضي إلاّ اطاعة الله واطاعة رسوله فيما يأتي به من الله تعالى وفيما يحكم به بولايته وسلطنته الألهية على الأمة.

وبالجملة: فمرجع الآية إلى وجوب اتباع المؤمنين فيما يقتضيه إيمانهم؛ من العمل بكتاب الله تعالى واطاعة رسوله والتسليم له، فيكون عبارة أخرى عن حرمة مشاقّة الرسول ومخالفته، والعطف تفسيري. وأين هذا من لزوم اتباعهم فيما اتفقوا عليه بأرائهم ولو لم تكن مما يقتضيه إيمانهم»^١.

مضافاً إلى أنّ «ال» في «المؤمنين» يمكن أن يكون للعهد لا للجنس والاستغراق، كما أنّ الآية تدلّ على حرمة مخالفة المؤمنين لاوجوب متابعتهم وبينهما بون بعيد.

ولذا وافقنا في الرد الغزالي من العمّة في كتابه المستصفى بقوله: «والذي نراه أنّ الآية ليست نصّاً في الغرض، بل الظاهر أنّ المراد بها أنّ من يقاتل الرسول ويشاقّه ويتبع غير سبيل المؤمنين في مشايعته ونصرتة ودفع الأعداء عنه نولّه ما تولى. فكأنّه لم يكتف بترك المشاقّة حتى تنضمّ إليه متابعة سبيل المؤمنين في نصرتة والذبّ عنه والإنقياد له فيما يأمر وينهى. وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم، فإن لم يكن ظاهراً فهو محتمل»^٢.

الروايات

عن حريز، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليه السلام، قال: لما كان أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة أتاه الناس، فقالوا: اجعل لنا إماماً يؤمّنا في شهر رمضان. فقال: لا، ونهاهم أن يجتمعوا فيه، فلما أمسوا جعلوا يقولون: ابكوا في رمضان، وارمضاناه، فأتاه الحارث الأعور في أناس، فقال: يا أمير المؤمنين، ضجّ الناس وكرهوا قولك، فقال عند ذلك: دعوهم وما يريدون، ليصلّي بهم من شاءوا، ثمّ قال:

١. نهاية الأصول / ٥٣٢.

٢. المستصفى / ١ / ١٧٥.

﴿وَمَنْ...يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ١.
 عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن رجلٍ من الأنصار، قال: خرجتُ أنا
 والأشعث الكندي وجريير البجلي حتى إذا كنا بظهر الكوفة بالفرس ٢، مرَّ بنا صبُّ
 فقال الأشعث وجريير: السلام عليك يا أمير المؤمنين! خلافاً على علي بن
 أبي طالب عليه السلام، فلما خرج الأنصاري قال لعلي عليه السلام، فقال علي عليه السلام: دَعَمُهَا فَهُوَ إِمَامُهَا
 يوم القيامة، أما تسمع إلى الله وهو يقول: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ ٣.
 الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا
 جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥.٤

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
 بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مرَّ ٦ بيانها في
 الآية ٤٨ من سورة النساء فلا نعيده.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملنا فعل الشرط وجوابه خبره.
 ﴿يُشْرِكُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.
 ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُشْرِكُ﴾ اختصار لمعلوماته وتقديره: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ﴾

١. تفسير العياشي ١/٤٤٣، ح ٢٧٤.

٢. قصر الفرس: أحد قصور الحيرة الأربعة. [مراصد الإطلاع ٣/١٠٢٧].

٣. تفسير العياشي ١/٤٤٣، ح ٢٧٥.

٤. سورة آل عمران / ٦٨.

٥. نهج البلاغة، حكمة ٩٠.

٦. راجع هذا المجلد صفحة ٩٢.

بِاللَّهِ﴾ الهاً آخرًا. «يعني من يجعل في عبادته مع الله شريكاً، فقد ذهب عن طريق الحقّ وزال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً لأنّه بإشراكه مع الله في عبادته فقد أطاع الشيطان، وسلك طريقه وترك طاعة ربّه»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدَّ﴾ حرف تحقيق.

﴿صَلَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿صَلَّلًا﴾ مفعول مطلق. ﴿بَعِيدًا﴾ نعت.

قال الشيخ: «أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه لا يغفر الشرك، وأنّه يغفر ما دونه، وقد بيّنا الاستدلال بذلك على ما نذهب إليه من جواز العفو عن مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة، وإن لم يتوبوا فيما مضى، فلا وجه لإعادته. وقيل أنه عنى بهذه الآية أباطمة الخائن حين أشرك ومات على شركه بالله، غير أن الآية وإن نزلت بسببه، فعندنا وعند جميع الأمة أنّ الله لا يغفر لمن أشرك به بلا توبة: لتناول العموم لهم.


فإن قيل: فعلى هذا من لم يشرك بالله بأن لا يعبد معه سواه، وإن كان كافراً بالنبى ﷺ من اليهود النصارى ينبغي أن يكون داخلاً تحت المشيئة، لأنّه ممّا دون الشرك!

قلنا: ليس الأمر على ذلك لأن كلّ كافر مشرك، لأنّه إذا جحد نبوة النبي اعتقد أن ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل الله، ونسبها إلى غيره، وأنّ الذي صدقه بها ليس هو الله، ويكون ذلك إشراكاً معه على أن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا: - يعني النصارى - ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ و ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ﴾^٢ وذلك هو الشرك بالله تعالى على أنه لو لم يكونوا داخلين في الشرك لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يغفر الكفر على وجه إلا بتوبة»^٣.

١. التبيان ٣/ ٣٣٠.

٢. سورة التوبة / ٣٠.

٣. التبيان ٣/ ٣٣٠.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ 

«بيان للآية السابقة ولذا ترك العطف بينهما»^١.

﴿إِنْ﴾ هنا معناها «ما» النافية لا عمل لها.

﴿يَدْعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿مَنْ يُشْرِكْ﴾

بِاللَّهِ﴾.

الدعاء: الطلب. ويمكن أن يكون الدعوة هنا «كناية عن العبادة لكون العبادة إنها نشأت بين الناس للدعوة على الحاجة، وقد سمى الله تعالى الطاعة عبادة قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنبِيَّءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾^٢»^٣. لأن من عبد شيئاً دعاه عند الحاجة.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ﴿يَدْعُونَ﴾ والضمير

يرجع إلى الله تعالى.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿إِنْتًا﴾ مفعول به. «الإناث جمع أنثى يقال: أنث الحديد أنثاً أي انفعل ولان،

وأنث المكان أسرع في الانبات وجاد، ففيه معنى الانفعال والتأثر، وبذلك سميت الأنثى من الحيوان أنثى وقد سميت الأصنام وكل معبود من دون الله إناثاً لكونها قابلات منفعلات ليس في وسعها أن تفعل شيئاً مما يتوقعه عبادها منها... قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^٤ وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

١. مواهب الرحمن ٩/ ٣٠٣.

٢. سورة يس / ٦٠ و ٦١.

٣. الميزان ٥/ ٨٤.

٤. سورة الحج / ٧٣ و ٧٤.

٣٢٨..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا^١.
فالظاهر أن المراد بالأنوثة الانفعال المحض الذي هو شأن المخلوق إذا قيس إلى الخالق عز اسمه^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا﴾ مرّت إعرابها.
﴿شَيْطَانًا﴾ مفعول به. والمراد به إبليس اللعين المتمرد على الله في ما أمر به ونهى عنه.

﴿مَرِيدًا﴾ نعت أوّل. المرید بفتح الميم مبالغة في العصيان والتمرد. «قال الزجاج: المرید هو الخارج عن الطاعة يقال حائط مُمَرَّد أي مُملَّس وشجرة مُرْدَاءُ إذا تناثر ورقها ومنه سمي أمرَد ومن لا لحية له أي أمْلَس موضع اللحية، ويقال مَرَدَ الرجل يَمَرُدُ مُدُودًا وَمَرَادَةً: إذا عتا وخرج عن الطاعة»^٣.

رواية

عن محمد بن إسماعيل الرازي، عن رجل سمّاه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقام على قدميه فقال: مه، هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام، الله سمّاه به، ولم يُسمّ به أحد غيره فرضي به إلا كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتي به، وهو قول الله في كتابه: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾^٤.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾

بيان نعت آخر للشيطان - وهو إبليس - ومقالته.
﴿لَعَنَهُ﴾ فعل ماض ومفعول به. نعت ثان لمنعوته شيطان. واللعن: هو الإبعاد

١. سورة الفرقان / ٣.

٢. الميزان ٥ / ٨٣.

٣. التبيان ٣ / ٣٣٢.

٤. تفسير العياشي ١ / ٤٤٣، ح ٢٧٦.

عن رحمة الله مقترناً بسخط وغضب فيشمل الطرد والإبعاد.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿و﴾ عاطفة أو استئنافية.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الشيطان وخطابه لله

سبحانه.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم مُقَدَّر كما ورد في قوله تعالى: ﴿فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١.

﴿أَتَّخِذَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «أنا». جواب

القسم المقدر.

﴿مِنْ عِبَادِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلّقان بـ﴿أَتَّخِذَنَّ﴾ أو بحال من

﴿نَصِيْبًا﴾ لآته صفة مقدّمة. والضمير الخطاب يرجع إلى الله تعالى. وقرار من الشيطان

بأنّهم مع تبعيته لا يخرجون عن عبودية الله تعالى فهو في جميع الأحوال ربّهم يحكم فيهم

بما شاء. ٢

﴿نَصِيْبًا﴾ مفعول به.

﴿مَفْرُوضًا﴾ نعت. أي حصّة واجبة وقدرًا معيّنًا. ونصيبه المعين هم مطيعيه ومنّ

أجابه واتبعه.

الروايات

في معتبرة أبان بن عثمان عن الصادق عليه السلام في حديث مولد النبي صلى الله عليه وآله: ...

قال: وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفرعك يا

سيدنا؟ فقال لهم: ويلكم، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في

الأرض حدثٌ عظيم ما حدث مثله منذ رُفِعَ عيسى بن مريم، فاخرجوا وانظروا ما

هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه، فقالوا: ما وجدنا شيئاً. فقال

إبليس: أنا لهذا الأمر. ثمّ انغمس في الدنيا، فجأها حتى انتهى إلى الحرم، فوجد الحرم

مخفوفاً بالملائكة، فذهب ليدخل، فصاحوا به فرجع، ثمّ صار مثل الصرّ - وهو

١. سورة ص / ٨٢ و ٨٣.

٢. كما في الميزان / ٥ / ٨٤.

٣٣٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

العُصفور - فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله، فقال له: حرفٌ أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد ﷺ، فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيتُ. ١.

عن تفسير أبي حمزة الثمالي: روي عن النبي ﷺ قال في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة.

وفي رواية أخرى: من كل ألفٍ واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس. ٢.
أقول: لا تنافي بينهما لأن المراد بهما الكثرة والاستحقاق لا مغفرة الله تعالى وعفوه ورحمته وغفرانه رزقنا الله وإياكم بمحمد وآله.

﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مُرْتَهَمٍ فَلْيَبْتِكُنْ إِذْ أَنْتَ الْأَتَّعَمِ وَلَا مُرْتَهَمٍ
فَلْيَغْيِرَنَّ حَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾

يذكر الله تعالى مراحل استحواذ الشيطان على الانسان وطرق استعباده إياهم
وخرائط أخذ نصيبه المفروض.

﴿وَ﴾ عاطفة، تعطف الجمل الفعلية الثلاثة ما بعدها على ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم مقدر كما مرّ.

﴿أُضِلُّنُهُمْ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «أنا»
ومفعول به، جواب القسم المقدر. والضمير المفعولي يرجع إلى عباد الله تعالى. وهذه
هي الخريطة الأولى له وهي إضلال عباد الله عن الصراط المستقيم والعقائد الصحيحة
والأعمال الصالحة. فيخرجهم إلى الكفر والفسق. والخريطة الأولى عام تشمل غيرها

١. أمالي الصدوق، المجلس الثامن والأربعون ح ١ / ٣٦٠، رقم ٤٤٤؛ ونقلت عنه في رسالتي المسماة

بـ«كتاب إبليس اللعين» / ٩٦، رقم ١٣٠.

٢. مجمع البيان ٣ / ١١٣.

من الخرائط.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَأْمِنِّيَنَّهُمْ﴾ مرّ إعرابها. الأمانى جمع أمنية وهي الأمل. والإغراء بالأمانى والتسويات والإيهام بأنهم ينالون في الآخرة خطأ عظيماً والإيحاء بأن طريق الشيطان هو أنفع وأروح وأحسن عاقبة من الصراط المستقيم الإلهي والترزين بما جعل في أنفسهم من طاعة الشيطان والشرك بالله تعالى كان أحسن وأجمل.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَأْمُرِّيَنَّهُمْ﴾ مرّ إعرابها. بعد أن يضلهم الشيطان ويأمنهم تصل النبوة إلى الخريطة الثالثة وهي صدور أوامره ودعوة المضلين وأرباب الأمانى إلى طاعة الشيطان. وهو لعنه الله يأمر بالشرك وعبادة الأنداد والوثان ويحلل حرائم الله ويحرم حلال الله ويشرع شريعة غير ما شرعه الله تعالى ويدعو الناس إليها ويأمرهم بها ويتبعونه النصيب المفروض من عباد الله تعالى.

﴿فَ﴾ زائدة. ﴿لَ﴾ للتوكيد.

﴿يُبَيِّنُكَنَّ﴾ فعل مضارع، حذف «ن» من آخره لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة وكذا «او» الجماعة لالتقاء الساكنين وهي فاعله.

البتك: القطع والشق، ﴿فَلْيَبَيِّنُكَنَّ﴾ أي فليقطعن.

﴿ءَأَذَانَ﴾ مفعول به. جمع أذن.

﴿الْأَتَعْمِرُ﴾ مضاف إليه. لأن في الجاهلية الأولى «كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها»^١ ويسمونها بحيرة وجمعها بحائر وبُحُر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَأْمُرِّيَنَّهُمْ﴾ مرّ إعرابها. تفصيل الخريطة الثالثة وهي ذكر العام بعد الخاص

السابق.

﴿ فَ ﴾ زائدة. ﴿ لِ ﴾ للتوكيد.

﴿ يُغَيِّرُنَّ ﴾ اعربت نحو ﴿ يُبَيِّنُكُنَّ ﴾. ومعنى التغيير واضح.
﴿ خَلَقَ ﴾ مفعول به.

﴿ اللَّهُ ﴾ مضاف إليه. و ﴿ خَلَقَ اللَّهُ ﴾ يشمل التغيير في نظام الخلقة بحيث لا يستفيد منها نوع الإنسان وفي نظام الفطرة لأنها أيضاً من ﴿ خَلَقَ اللَّهُ ﴾ ومن الواضح أن دين الله يعدّ من الفطرة كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ١.

فالشيطان يأمر بتغيير نظام التكوين والتشريع ويريد فسادهما.

فمما ذكرنا ظهر أن تغييرات نظام الكون إذا استفيد منها نوع الإنسان كالصنائع والحرف والاختراعات والاكتشافات خارج عن أمر الشيطان بالتخصص لا التخصيص. ٢.

﴿ وَ ﴾ استثنائية.

﴿ مِّن ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتنا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿ يَتَّخِذِ ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.

﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ مفعول به أول.

﴿ وَلِيًّا ﴾ مفعول به ثان. «الولي هو الله ولا ولاية لغيره على شيء وإن اتخذ ولياً» ٣

يكون ولياً اتخذياً انتخابياً لا ولياً واقعياً.

﴿ مِّن ﴾ حرف جر، بياني. ﴿ دُونَ ﴾ مجروره.

﴿ اللَّهُ ﴾ مضاف إليه. بيان لعدم وجود الوسطة فيما اتبع الشيطان واتخاذ ولياً

وإما اتبع الله تعالى فالدخول في ولاية الله، والقسم الثالث مفقود.

﴿ فَ ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿ قَدْ ﴾ حرف تحقيق.

١. سورة الروم / ٣٠.

٢. كما مرّ منّا في كتابنا الآراء الفقهية ١/ ٢٩٦، بحث حرمة تغيير الجنسية، وكما بحثنا عن الآية فيها

٢/ ٤٢ بحث حرمة حلق اللحية فلا نعيد هذه الأبحاث فراجعها إن شئت.

٣. الميزان ٥/ ٨٥.

﴿ حَسِرَ ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر. أي هلك.
 ﴿ حُسْرَانًا ﴾ مفعول مطلق أي: هلاكاً.
 ﴿ مُبِينًا ﴾ نعت. أي واضحاً وظاهراً.

الروايات

- عن محمد بن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى:
 ﴿وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَعْبِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾، قال: أمر الله بما أمر به. ١
 عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله ﴿وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَعْبِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾،
 قال: أمر الله بما أمر به. ٢
 عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَعْبِرْنَ خَلْقَ
 اللَّهِ﴾، قال: دين الله. ٣
 قال الشيخ: وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَلْيَعْبِرْنَ﴾ دين الله، وبه قال
 إبراهيم ومجاهد وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام. ٤
 قال الطبرسي: ﴿وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَعْبِرْنَ﴾ آذَانَ الْأَنْعَمِ ... وقيل: ليقطعن
 الآذان من أصلها وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام. ٦

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

بيان لكيفية تسلط الشيطان على الإنسان وليس للشيطان إلا أمران والثاني ينشأ
 من الأول وهما:

١. تفسير العياشي / ١ / ٤٤٤، ح ٢٧٧.
٢. تفسير العياشي / ١ / ٤٤٤، ح ٢٧٨.
٣. تفسير العياشي / ١ / ٤٤٤، ح ٢٧٩.
٤. التبيان / ٣ / ٣٣٤.
٥. مجمع البيان / ٣ / ١١٣.
٦. مجمع البيان / ٣ / ١١٣.

٣٣٤..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿يَعِدُّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الشيطان ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى عباد الله تعالى. وهذا هو الأمر الأول أعني المواعيد الكاذبة والوعود الباطلة وهي وساوسه من دون واسطة.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُؤْمِنِيهِمْ﴾ معطوف على ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ تعرب إعرابها. وهذا هو الأمر الثاني أعني الأمانى الموهومة والآمال الخيالية و «هي المتفرعة على وساوسه مما يستلذه الوهم من المتخيلات» ١.

«فالزاني أو شارب الخمر - مثلاً - يخيل إليه أنه يتمتع باللذائذ، وهو في واقعه يتحمّل أعظم المضارّ دنيّاً وآخرّةً» ٢.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَعِدُّهُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به أوّل، ذكر المواعيد دون الأمانى لأنّ الثانية نشئت من الأولى كما مرّ.
﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعله. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.
﴿غُرُورًا﴾ مفعول به ثان. الغرور: «الباطل وإيقاع النفس في الهلاك والبوار» ٣.

رواية

عن جابر، عن النبي ﷺ، قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنى، وأوّل من حدا، قال: لما أكل آدم من الشجرة تغنى، فلما أهبط حدا به، فلما استقرّ على الأرض ناح، فأذكره ما في الجنّة.

فقال آدم ﷺ: ربّ هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة، لم أقو عليه وأنا في الجنّة، وإن لم تعني عليه لم أقو عليه. فقال الله: السيئة بالسيئة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة.

قال: ربّ زدني، قال: لا يؤكّد لك ولد إلا جعلت معه ملكين يحفظانه. قال:

١. الميزان ٥ / ٨٥.

٢. التفسير الكاشف ٢ / ٤٤٣.

٣. مواهب الرحمن ٩ / ٣١٣.

رَبِّ زِدْنِي. قال: التوبة معروضة في الجسد مادام فيه الروح. قال: رَبِّ زِدْنِي. قال: أغفر الذنوب ولا أبالي. قال: حسبي.

قال: فقال إبليس: رَبِّ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ وَفَضَّلْتَهُ، وَإِنْ لَمْ تُفَضِّلْ عَلَيَّ لَمْ أَقْوَمْ عَلَيْهِ. قال: لا يُؤَلِّدُ لَهُ وَلَدًا إِلَّا وَلَدًا لَكَ وَلِدَان. قال: رَبِّ زِدْنِي. قال: تجري منه مجرى الدم في العروق. قال: رَبِّ زِدْنِي. قال: تتخذ أنت وذريتك في صدورهم مساكن. قال: رَبِّ زِدْنِي. قال: تَعِدُّهُمْ وَتَمْنِيهِمْ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ١.

﴿أَوْلَتِيكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾

«بيان لسوء عاقبة مَنْ أطاع الشيطان وتولاه من دون الله تعالى، أي أولئك الذين أضلهم الشيطان وأغواهم مستقرهم جميعاً جهنم مرغمون فيها، ولا يمكن الفرار منها لعدم وجود مُعَدِّلٍ وَمَهْرَبٍ يَفْرُونَ إِلَيْهِ» ٢.

﴿أَوْلَتِيكَ﴾ اسم إشارة. مبتدأ، إشارة إلى نصيب الشيطان من عباد الله.

﴿مَأْوَهُمْ﴾ مبتدأ ثان. ومضاف إليه.

﴿جَهَنَّمُ﴾ خبر المبتدأ الثاني. وجملة ﴿مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ خبر المبتدأ الأول.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَجِدُونَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿جَهَنَّمُ﴾.

﴿مَحِيصًا﴾ مفعول به. المحيص اسم مكان بمعنى: المَهْرَبِ وَالْمَقَرِّ وَالْمُعَدِّلِ، أو

«مصدر ميمي من حاص يحيص إذا عدل وولى. يقال: وقع في حيص ويحص: إذا وقع في أمر يعسر التخلص منه» ٣.

١. تفسير العياشي ١/ ٤٤٤، ح ٢٨٠.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٣١٤.

٣. مواهب الرحمن ٩/ ٣١٤.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿١٢٢﴾

«لما ذكر الله تعالى حكم من يشاقق الرسول، ويتبع غير سبيل المؤمنين، وذكر أن من يشرك به لا يغفر له ويبين حكم من يتبع الشيطان ويكون من نصيبه، ذكر في هذه الآية حكم من يؤمن به ويوحده، ويقرُّ بنبيِّه ويصدِّقه ويضيف إلى ذلك عمل الصالحات، وأنه سيدخلهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ثواباً على أعمالهم، وجزاء إيمانهم، ويخلدهم فيها»^١.

و «التفات من التكلّم إلى الغيبة، تعظيماً للمطيعين وتنوياً بجلالة مقامهم، ثم الرجوع إلى التكلّم مع الغير الذي بني الكلام عليه في الآية الكريمة للإشارة إلى قرب حضورهم، ومن عادته ﷺ أنه إذا ذكر حال الكافرين يذكر أحوال المؤمنين، فيقرن بين الوعد والوعيد؛ تمييزاً للفائدة وتذكيراً للطائفتين، وترغيباً للكافرين إلى الإيـان وتخويفاً للمؤمنين، وفي المقام بين ﷺ حال المؤمنين وحسن حالهم وما أوجب دخولهم الجنة، وهو الإيـان بالله تعالى وتركهم طاعة الشيطان وفعلهم الصالحات، فكان جزاؤهم دخول الجنّات التي تجري من تحتها الأنهار لتزيد روعتها وبهاؤها وبهجتها فتمت بها سرورهم، فكان هنا إيـان بالله العظيم، وفعل الصالحات، وجنّات وخلود فيها، وهناك طاعة الشيطان وعود منه وتخيّل من مطيعيه وجهنّم وخلوداً فيها، فكان تقابلاً كاملاً بين الطائفتين»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. لأنّ العمل الصالح من لوازم الإيـان.

﴿الصَّالِحَاتِ﴾ مفعول به. ﴿سَ﴾ حرف استقبال للقريب.

١. التبيان ٣/٣٣٦.

٢. مواهب الرحمن ٩/٣١٥.

﴿نُدْخِلُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» و ﴿هُمَّ﴾ مفعول به أول،
والجملة الفعلية خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.

لم يذكر لفظ الجلالة واكتفى بالضمير «نحن» مستتر «إيحاء» إلى قرب الحضور
وعدم احتجابه تعالى عن عباده المؤمنين وهو وليهم^١.

﴿جَنَّتٍ﴾ مفعول به ثان. وهي «التي وعدّها الله تعالى للمؤمنين به تشمل جنّة
الأفعال، وجنّة الصفات، وجنّة الذات؛ والأول ما يمنحها الله تعالى لعامل الفعل
الحسن والعمل الصالح، والثانية هي التي تمنح للصفات الحميدة أو على الأفعال
الناشئة منها. والثالثة هي مقام القرب والرفق لديه ﷻ، وهي أعلى مراتب الجنان^٢.
ويمكن حملها على درجات الجنة واختلاف الماهوي بينها بحيث كلّ منها يعدّ
جنة مستقلة ذات مختصات تختص بها.

﴿تَجْرِي﴾ فعل مضارع.

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿تَجْرِي﴾ أو بحال محذوفة من
﴿الْأَنْهَارِ﴾.

﴿الْأَنْهَارِ﴾ فاعل.

والجملة الفعلية ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في محلّ نصب نعت لـ ﴿جَنَّتٍ﴾.
﴿خَالِدِينَ﴾ حال من الضمير المفعولي ﴿هُمَّ﴾، «والمعنى أنّ هذه الحال ستدوم لهم
وتتأبّد^٣» «والخلود إنّما كان نتيجة إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي استولت على
مشاعرهم، فلو عمّروا طول الدهر لفعّلوا الصالحات»^٤.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَالِدِينَ﴾.

﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان يدلّ على الاستمرار. تأكيد أوّل للخلود بأنّه يدوم لهم إلى
أبد الآباد.

١. الميزان ٥ / ٨٥.

٢. مواهب الرحمن ٩ / ٣١٥.

٣. التبيان ٣ / ٣٣٦.

٤. مواهب الرحمن ٩ / ٣١٦.

﴿وَعَدَ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾. وشرع في تأكيد ثان.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿حَقًّا﴾ حال من ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾. أو نائب عن مفعول مطلق وتقديره ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ وعداً ﴿حَقًّا﴾. أو ينصب على المصدر وتقديره: حق ذلك ﴿حَقًّا﴾. ومقابلة بين مواعيد الله التي كانت حقاً ومواعيد الشيطان التي لا تكون إلا ﴿غُرُورًا﴾^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، واستفهام تقريرياً وإنكارياً «والمعنى لا أحد أصدق من الله»^٢ وهذه الجملة بداية تأكيد ثالث.

﴿أَصْدَقُ﴾ خبره. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَصْدَقُ﴾.

﴿قِيلاً﴾ مصدر منصوب على التمييز. أي قولاً ووعداً.

«مصدر قال يقول، ومثله القال، وعن ابن السكيت ﷺ أئمة اسمان لا مصدران، ونصبه في المقام على التمييز»^٣.

«لأنه لا يجوز عليه خلف الميعاد ولا الاخلال بما يجب عليه من الثواب. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^٤.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ

لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾



هذه الآية الشريفة كالنتيجة المحصلة الملخصة من الآيات السابقة بأن الدين الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه ليس هو عقيدة محضة بل هو العمل على طبق العقيدة، فالدين عقيدة وعمل على نهجها، وليس بين الله وبين أحد قرابة، من كانت عقيدته

١. سورة النساء / ١٢٠.

٢. التبيان / ٣ / ٣٣٦.

٣. مواهب الرحمن / ٩ / ٣١٦.

٤. التبيان / ٣ / ٣٣٦.

صحيحة وأعماله صالحه فهو متدينٌ وإلا فهو يتخيل أو يتوهم أو يزعم أو يأمل بأنه مؤمن وليس هو بمؤمنٍ واقعيٍّ فلا يدخل في ولاية الله ولا يجد الله له نصيراً.

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها محذوف لدلالة الكلام عليه وهو الأمر أو الدين أو الثواب أو عدم العذاب أو الفوز أو النجاة.

﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَيْسَ﴾، ومضاف إليه. والباء ليست بزائدة فأتى مثل الباء في قولك: «زيد بالباب».

أمانيتهم ما مرّ في اسم ﴿لَيْسَ﴾. والضمير الخطاب يرجع إلى المسلمين. «وسمى هذه المزاعم بالأمانى استعارة لأنها كالأمانى ليست إلا صوراً خيالية ملذة لا أثر لها في الأعيان»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي. ﴿أَمَانِيَّ﴾ معطوفة على ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾. ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. من اليهود والنصارى وأقاربهم الباطلة كما يحكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ﴾^٢ ونقل عنهم: ﴿وَقَالُوا كُنُوزًا هُودًا أَوْ نَصْرَى هَتَدُوا﴾^٣.

«يعني ليس ما تتمنون أنتم ولا أهل الكتاب أن لا تعدّوا بأفعالكم»^٤.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَعْمَلُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.

﴿سُوءًا﴾ مفعول به.

﴿تُجْرَى﴾ فعل مضارع مجهول مجزوم لأنه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة في آخره وهي الألف المقصورة ونائب فاعله ضمير مستتر، ويشمل الجزاء الدنيوي والأخروي.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُجْرَى﴾. والضمير يرجع إلى ﴿سُوءًا﴾.

١. الميزان ٥/ ٨٦.

٢. سورة المائدة / ١٨.

٣. سورة البقرة / ١٣٥.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٢٤.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ حرف نفي.
﴿تَجِدْ﴾ معطوف على ﴿تُجَزَّ﴾. فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو».
﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَجِدْ﴾.
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ﴿تَجِدْ﴾. ويجوز أن يكونا في محل نصب حالاً من ﴿وَلِيًّا﴾ لأنه صفة مقدمة عليه.
﴿وَلِيًّا﴾ مفعول به، لأنه لا يدخل في ولاية الله مع أعماله الفاسدة وأفعاله القبيحة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد معنى النفي.
﴿نَصِيرًا﴾ معطوف على ﴿وَلِيًّا﴾. وهو الذي يصرف عنه السوء في الدنيا والآخرة.

قال الشيخ: «ثم لا خلاف أن الآية مخصوصة، لأن التائب ومن كانت معصيته صغيرة، لا يتناولها العموم، فإذا جاز لهم تخصيص الفريقين، جاز لنا أن نخص من يتفضل الله عليه بالعفو»^١.

الروايات

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا بِهِ﴾ قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: ما أشدّها من آية! فقال لهم رسول الله ﷺ: أما تبتلون في أموالكم وأنفسكم وذرائعكم؟ قالوا: بلى. قال: هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات، ويمحو به السيئات^٢.
خبر أبي الصلت الهروي؛ قال: سمعت الرضا عليه السلام يحدث عن أبيه، ان إسماعيل قال للصادق عليه السلام: يا أبتاه ما تقول في المذنب منّا ومن غيرنا؟ فقال عليه السلام: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا بِهِ﴾^٣.
خبر أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة

١. التبيان ٣/٣٣٨.

٢. تفسير العياشي ١/٤٤٥، ح ٢٨١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٢٣٤، ح ٥.

والمفوضة، فقال: الغلاة كفار والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو أكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو آمنوا أو اتتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله ﷻ وولاية رسول الله ﷺ وولايتنا أهل البيت. ١

روى أبوهريرة أنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: فادفعوا وتشددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها.

وقيل لبعض الصحابة: أليس يمرض، اليست تصيب الأواء؟ قال: بلى فهو ما تجزون به. ٢

رواه الواحدي في تفسيره مرفوعاً كما ذكره الطبرسي. ٣

عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة، وقالوا: يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءاً غيرك وكيف الجزاء؟ فقال: منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن يجازي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلب آحاده أعشاره. ٤

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾

يذكر الله تعالى مقابلة ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا تُجْزَىٰ بِهِ﴾ بأن من يعمل صالحاً - بلا فرق بين الرجل والمرأة - يدخل الجنة مشروطاً بالإيمان فالنجاة في الدنيا والآخرة إنما تكون بالإيمان والأعمال الصالحة وهذه هو الدين الحقيقي وصاحبه يدخل الجنة ﴿لَا

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٢٠٣، ح ٤.

٢. التبيان ٣/ ٣٣٧.

٣. مجمع البيان ٣/ ١١٥.

٤. الكشف والبيان ٣/ ٣٩٠؛ روض الجنان ٦/ ١٢٤.

يُظَلِّمُونَ ﴿بِقَدْرِ النُّقْطَةِ الَّتِي فِي النُّوَاةِ﴾^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَعْمَلُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر.

﴿مَنْ أَلْصَلِحَتِ﴾ جار ومجرور يتلحق بصفة حذفية من مفعول أي: ﴿يَعْمَلُ﴾

عملاً ﴿مِنْ أَلْصَلِحَتِ﴾، ومن هنا تبعيضية لكثرتها وتعددتها وعدم انحصارها. وتدل على «توسعة في الوعد في الجنة»^٢، لأن «الفضل الإلهي عمم الجزء الحسن لمن آمن وأتى ببعض الصالحات»^٣.

﴿مِنْ﴾ حرف جرّ بياني. بيان لـ ﴿مَنْ﴾ في أول الآية.

﴿ذَكَرَ﴾ مجروره ويتعلقان بحال محذوفة لـ ﴿مِنْ﴾ وتقديره: حال كونه ﴿مِنْ﴾

﴿ذَكَرَ﴾. أي من رجل.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿أُنْثَى﴾ معطوفة على ﴿ذَكَرَ﴾. بيان لتساوي الرجال والنساء في أمور الدين،

والحكم المذكور مشترك بينهما ولا فرق عند الله تعالى في الجزاء والأجر ودخول الجنة بين القبيلين كما قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^٤.

﴿وَ﴾ حالية، والجملة الاسمية بعده ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في محل نصب حال.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ، يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ في أول الآية.

﴿مُؤْمِنٌ﴾ خبره، تقييد للعامل الذين يعمل الصالحات بأن يأتي بها مع الإيمان

بالله تعالى والعقائد الصحيحة وإلا يحبط العمل كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ

١. التفسير القمي ١/ ٢٢٤.

٢. الميزان ٥/ ٨٧.

٣. الميزان ٥/ ٨٧.

٤. سورة آل عمران / ١٩٥، وقد مرّ تفسيرها في أجود البيان في تفسير القرآن ٤/ ٣٠٩.

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^١ وقال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا^٢﴾.

والجملة الاسمية ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط لدخول الجنة فقط «وليس شرطاً لغيرها من الجزاء والمكافأة على العمل الصالح، فالكافر إذا عمل الخير بوجه الخير، لا للشهرة والاتجار، كافأه الله عليه، لأنه عادل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كيف وهو القائل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ^٣﴾. وليس من الضروري أن تكون الجنة جزاء المحسن، فقد يكون الجزاء في الدنيا، أو في الآخرة بتخفيف العذاب.^٤ ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها في محلّ جزم جواب الشرط.

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، اسم إشارة يشير إلى العاملين بالصالحات وهم مؤمنون بلا فرق بين رجالهم ونسائهم. ف«النساء ذوات نصيب في المثوبة كالرجال»^٥. ﴿يَدْخُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، وقرأ بعض^٦ «يَدْخُلُونَ» بضم الياء وفتح الخاء ليزدوج الكلام مع ﴿لَا يُظَلَّمُونَ﴾. ﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به، و«ال» في أولها للجنس فلاتنافي بينها وما مرّ في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿سَنَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ^٧﴾. ﴿وَا﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يُظَلَّمُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله «واو». ﴿نَقِيرًا﴾ تمييز. «وهي النقطة التي في ظهر النواة وقيل منها تنبت النخلة»^٨.

١. سورة الأنعام / ٨٨.

٢. سورة الكهف / ١٠٥.

٣. سورة الرحمن / ٦٠.

٤. التفسير الكاشف ٢ / ٤٤٦.

٥. الميزان ٥ / ٨٨.

٦. ذكرهم الشيخ في تبيانه ٣ / ٣٣٨.

٧. سورة النساء / ١٢٢.

٨. التبيان ٣ / ٣٣٨.

«يضرب به المثل للشيء الطفيف»^١.

والجملة الأخيرة تدلّ على عدم الفرق بين الجنتين من حيث الزيادة والنقيصة في المثوبة كما مرّ في الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

تنبيه

قال الشيخ: «فإن قيل: ظاهر الآية يقتضي أنّه لا يثيب إلا من آمن وعمل الصالحات فمن انفرد بالإيمان، لا يستحق الثواب، وكذلك من فعل بعض الصالحات. قلنا: ظاهر العموم مخصوص بلا خلاف لأنّه لو آمن بالله واليوم الآخر واحترم عقبيه، لا خلاف أنّه يدخل الجنة، فكذلك إذا اخل ببعض الصالحات أو ارتكب معصية، فإننا نعلم دخوله الجنة بدليل آخر على أن ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقتضي أنه لو فعل بعض الصالحات لأدخل الجنة، لأنّها للتبعيض. وإنما تقتضي الاستغراق إذا حملت على أنّ معناها بيان الصفة، فإذا احتمل الظاهر ما قلناه، سقطت المعارضة.

فأما من قال: أنّ ﴿مِنْ﴾ زائدة فلا يعول على قوله، لأنّه إذا امكن حمل الكلام على فائدة، لم يميز أن يحمل على الزيادة»^٢.

رواية

روي عن النبي ﷺ أنّه وجّه علياً كرم الله وجهه إلى بعض الوجوه، فقال له في بعض ما أوصى به: يا عليّ، قد بعثتك وأنا بك صنيئ، فلا تدعنّ حقاً لغد؛ فإنّ لكلّ يوم ما فيه، وأبرز للنّاس، وقدم الوضيع على الشريف، والضعيف على القويّ والنساء قبل الرجال، ولا تُدخلنّ أحداً يغلبك على أمرك، وشاور القرآن؛ فإنّه إمامك. ^٣

١. أعراب القرآن الكريم ٢/ ٤٧٤.

٢. التبيان ٣/ ٣٣٩.

٣. نشر الدرّ ١/ ١٥٨؛ رسائل الجاحظ ٢/ ٣٠؛ ونقل عنها في موسوعة المرأة في الأخبار والآثار ١/ ٣٦، ح ٨٨.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

جعلت الآيات السابقة الجزاء على العمل قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ١ و ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ ٢ فيتطرق سؤال وهو: إذا كان الجزاء على الأعمال فما فائدة الدين والإيمان والاعتقاد والإسلام؟ وأجيب على نحو دفع دخل مقدر و «بالاستفهام على طريق إرسال المسلم فإن الانسان لا مناص له عن الدين، وأحسن الدين إسلام الوجه لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، والخضوع له خضوع العبودية، والعمل بما يقتضيه ملة إبراهيم حنيفاً وهو الملة الفطرية، وقد اتخذ الله سبحانه إبراهيم الذي هو أول من أسلم وجهه لله محسناً، واتبع الملة الحنيفية خليلاً» ٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، استفهامٌ تقريرى.
﴿أَحْسَنُ﴾ خبره. يدلُّ على التفضيل ومعناه: أصوب طريقاً وأهدى سبيلاً.
﴿دِينًا﴾ تمييز، بعد أن يفرض لزوم الاعتقاد بالدين.
﴿مِمَّنْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحْسَنُ﴾.
﴿أَسْلَمَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر، استسلم وانقاد وأخلص لله ولرسوله ﷺ بالطاعة لأنَّ ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾؛ كما مرَّ.
﴿وَجْهَهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي: نفسه وذاته كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٥.
﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَسْلَمَ﴾.

١. سورة النساء / ١٢٣.

٢. سورة النساء / ١٢٤.

٣. الميزان / ٥ / ٨٨.

٤. سورة النساء / ٨٠.

٥. سورة القصص / ٨٨.

﴿ وَ ﴾ حالية والجمله الاسمية بعدها في محل نصب حال للضمير الفاعلي في ﴿ أَسْلَمَ ﴾ .

﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ. والضمير يرجع إلى ﴿ مَنْ ﴾ .

﴿ مُحْسِنٌ ﴾ خبره. أي «فاعل للفعل الحسن مما أمره الله به»^١. وتارك السيئات.

﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ اتَّبَعَ ﴾ فعل وفاعله ضمير مستتر، معطوف على ﴿ أَسْلَمَ ﴾ ،

أي اقتدى.

﴿ مَلَّةٌ ﴾ مفعول به، أي دين.

﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مضاف إليه، وهو أب التوحيد ورئيس الأديان الأهلية وهو الذي

أعرض عن كل شيء سوى الله تعالى.

«وتسأل: لماذا قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، ولم يقل ملة محمد ﷺ ؟

الجواب: أولاً: إنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ: ﴿ إِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ

لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٢.

ثانياً: إنَّ نبوة إبراهيم محل وفاق عند أهل الأديان جميعاً، لا عند المسلمين

فحسب، فالاحتجاج بها على غير المسلمين أقوى وأبلغ... إن صح التعبير»^٣.

﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، الحنيف: المائل عن الزيغ والضلال فيصير

معناه: المستقيم. والمِلَّة الحنيفية: المِلَّة المائلة عن الشرك والوثيقة والزائغة عن الآراء

الفاسدة.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ اتَّخَذَ ﴾ فعل ماضٍ، أي جعل وصير.

﴿ اللَّهُ ﴾ فاعله. ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مفعول به أول.

﴿ خَلِيلًا ﴾ مفعول به ثانٍ. فعيل بمعنى المفعول كالحبيب بمعنى المحبوب. مشتق

من الخُلَّة: أي المحبة والصدقة.

«ثمَّ إِنَّ الخُلَّةَ الإلهية كاخُلَّة التي هي بين الناس، تبتني على فرط الحب بين

١. التبيان ٣/ ٣٣٩.

٢. سورة آل عمران / ٦٨.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٤٨.

الحبيبين، وتخللها في القلب، وتمازجها مع النفس، إلا أن الخلّة الإلهية تخالف الخلّة الدائرة بين الناس المبتنية على الأمور المادية التي تكون الأواصر الدنيوية فيها أشد من الأواصر المعنوية الروحانية. وأمّا الخلّة الإلهية، فهي ليس فيها خلل، فقد أحبه الله تعالى محبة تامّة، واصطفاه عندما أظهر صدقه وإخلاصه لله تعالى ومحبتته له محبة كاملة ملأت جميع مشاعره، فلم يتوجّه إلا إليه ﷻ ولم يتخللها وهن ولا ضعف ولا فترة ولا شائبة من شوائب المادة، وبذلك صار إبراهيم ﷺ خليلاً لله تعالى وبها أصبح قدوة لكل خليل إلهي وإماماً لجميع الأنبياء والمرسلين^١.

الروايات

معتبرة مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد ﷺ، قال: إن إبراهيم ﷺ هو أوّل من حوّل له الرمل دقيقاً؛ وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام، فلم يجده في منزله، فكره أن يرجع بالحمار خالياً، فملاً جرابه رملاً، فلما دخل منزله، خلّى بين الحمار وبين سارة، إستحياءً منها، ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون! فخبزت وقدمت إليه طعاماً طيباً، فقال إبراهيم ﷺ: من أين لك هذا؟

قالت: من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصريّ. فقال إبراهيم: أما إنّه خليلي، وليس بمصري، فلذلك أعطي الخلّة، فشكر الله وحمده وأكل^٢.
قال القمي: «ثم أنزل الله تعالى على إبراهيم ﷺ الحنيفة وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة في الرأس وخمسة في البدن، فأما التي في الرأس، فأخذ الشارب، وإعفاء اللحي، وطم الشعر، والسواك، والخلال. وأمّا التي في البدن، فحلق الشعر من البدن، والختان، وقلم الأظفار، والغسل من الجنابة، والظهور بالماء، فهذه خمسة في البدن وهي الحنيفة الطاهرة التي جاء بها إبراهيم ﷺ، فلم تُنسخ ولن تُنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٣.

١. مواهب الرحمن ٩ / ٣٤١.

٢. تفسير القمي ١ / ٢٢٤، ح ٢٦.

٣. تفسير القمي ١ / ٩٢.

أقول: الرواية كما ترى مقطوعة لم تنسب إلى معصوم، ولكن نسب الطبرسي هذه الرواية إلى الصادق عليه السلام وقال بعد نقلها: «ذكرها علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره»^١.

وهكذا نقل صاحب الوسائل^٢ عن الطبرسي فيمكن نسبة الرواية إلى المعصوم عليه السلام.^٣

خبر زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف وإنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلتها بإذن ربها - يردّد ذلك ثلاث مرّات - فعرف إبراهيم عليه السلام أنه جبرئيل، فحمد الله، ثم قال: أرسلني ربك إلى عبد من عبيده يتّخذ خليلاً، قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت هو، قال: وممّ ذلك؟ قال: لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قطُّ ولم تسأل شيئاً قطُّ فقلت: لا.^٤

خبر محمد بن مروان، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما اتّخذ الله ﷻ إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلّة فجاءه ملك الموت في صورة شابّ أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون من الرجال فأخذه بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داري؟ فقال: ربها أدخلنيها، فقال: ربها أحقُّ بها مني فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت ففزع إبراهيم عليه السلام فقال: جئتني لتسلميني روعي؟ قال: لا ولكن اتّخذ الله عبداً خليلاً فجئت لبشارته قال: فمن هو لعلّي أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو، فدخل على سارة عليها السلام فقال لها: إن الله تبارك وتعالى اتّخذني خليلاً.^٥

وروى مثلها العياشي^٦ والصدوق^٧.

١. مجمع البيان ١/٢٠٠، ذيل آية ١٢٤ من سورة البقرة.

٢. وسائل الشيعة ٢/١١٧، ح ٥، الباب ٦٧ من أبواب آداب الحمام.

٣. الآراء الفقهية ٢/٤٦ للمؤلف.

٤. الكافي ٧/٣٠٣، ح ٦ (٤٠/٤).

٥. الكافي ١٥/٨٥٥، ح ٥٩٠ (٣٩٢/٨).

٦. تفسير العياشي ١/٤٤٦، ح ٢٨٣.

٧. علل الشرائع ٣٥/٣٥، ح ٥.

وفي صحيح سُليم الفَرَّاء عمَّن ذكره عن أبي عبدالله مثله [أي مثل ما ورد في الرواية السابقة] إلا أنه قال في حديثه: إنَّ الملك لما قال: أدخلنيها ربها عَرَفَ إبراهيم ﷺ أنه ملك الموت ﷺ فقال له: ما أهبطك؟ قال: جئت أُبشِّر رجلاً أنَّ الله تبارك وتعالى اتَّخذه خليلاً، فقال له إبراهيم ﷺ: فمن هذا الرَّجل؟ فقال له الملك: وما تريد منه؟ فقال له إبراهيم ﷺ: أخدمه أيَّام حياتي، فقال له الملك: فأنت هو. ١

عن ابن سنان، عن جعفر بن محمد ﷺ، قال: إذا سافر أحدكم، فقدم من سفره، فليأت أهله بما تيسر ولو بحجرٍ، فإنَّ إبراهيم صلوات الله عليه كان إذا ضاق أتى قومه، وإنه ضاق ضيقة فأتى قومه، فوافق منهم أزيمة^٢، فرجع كما ذهب، فلما قَرَّب من منزله نزل عن حماره، فملاً خُرَّجه رَملاً، إرادة أن يُسكن به من روح سارة، فلما دخل منزله حطَّ الخُرَّج عن الحمارة، وافتتح الصلاة، فجاءت سارة، ففتحت الخُرَّج، فوجدته مملواً دقيقاً، فاعتجنت منه واختبزت، ثم قالت لإبراهيم ﷺ: انفتل من صلاتك^٣ فكل. فقال لها: أني لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخُرَّج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنك الخليل. ٤

معتبرة الحسين بن خالد عن الرضا ﷺ قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يحدث عن أبيه ﷺ أنه قال: اتخذ الله ﷻ إبراهيم خليلاً لأنه لم يرد أحداً ولم يسأل أحداً غير الله ﷻ. ٥

صحيح ابن أبي عمير، عمَّن ذكره قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ لم اتخذ الله ﷻ إبراهيم خليلاً؟ قال: لكثرة سجوده على الأرض. ٦

خبر عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري ﷺ يقول: إنَّما اتخذ الله ﷻ إبراهيم خليلاً، لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله

١. الكافي ١٥/٨٥٦، ح ٥٩١ (٨/٣٩٢).

٢. أي: شدة وقحط.

٣. أي انصرف منها.

٤. تفسير العياشي ١/٤٤٥، ح ٢٨٢.

٥. علل الشرائع / ٣٤، ح ٢؛ عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/٧٦، ح ٤.

٦. علل الشرائع / ٣٤، ح ١.

عليهم ١.

خبر جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أتخذ الله إبراهيم خليلاً، إلا لإطعامه الطعام، وصلاته بالليل والناس نيام. ٢.
خبر عبدالله بن هلال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما جاء المرسلون إلى إبراهيم عليه السلام جاءهم بالعجل، فقال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتى تجربنا ما ثمنه، فقال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا حمد الله، قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل رئيسهم، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلاً.
قال أبو عبدالله عليه السلام: لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار تلقاه جبرئيل عليه السلام في الهواء، وهو يهوي، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ٣.

خبر يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما أراد الله ﷻ قبض روح إبراهيم عليه السلام هبط إليه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، فقال: وعليك السلام يا ملك الموت، أداع أم ناع؟ قال: بل ناع يا إبراهيم فأجب، فقال إبراهيم: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت، حتى وقف بين يدي الله ﷻ فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم، فقال الله ﷻ: يا ملك الموت اذهب إليه فقل له هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحب لقاء حبيبه. ٤.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾

«لما ذكر الله تعالى أنه اتخذ إبراهيم خليلاً لطاعته ربه وإخلاصه له العبادة، ومسارعته إلى رضاه، بين ذلك بفضله لا من حاجة إلى خلته، فقال: وكيف يحتاج إلى خلته من له ما في السماوات والأرض من قليل وكثير ملكاً، ومع ذلك مستغن عن

١. علل الشرائع / ٣٤، ح ٣.

٢. علل الشرائع / ٣٥، ح ٤.

٣. علل الشرائع / ٣٥، ح ٦.

٤. علل الشرائع / ٣٦، ح ٩.

جميع خلقه. وجميع الخلق يحتاجون إليه فكيف يحتاج إلى خلة إبراهيم، لكنه اتخذ خليلاً لمسارعتة إلى رضاه وامثالته ما يأمره به»^١.

وبعبارة أخرى: «تعليل لما ذكره ﷺ في الآية الكريمة السابقة، أي أن الله تعالى مالك لجميع ما في السماوات وما في الأرض، وأن جميع الموجودات له تعالى خلقاً وأمرأاً وملكاً، فلا يخرج عن ملكه وملكوته شيء، فلا بد أن تكون عمل الصالحات له، وهو يختار من عباده من يشاء ويصطفيه بمحض مشيئته، كما اختار إبراهيم ﷺ وجعله خليلاً، وأن اختياره لم يكن لأجل حاجة وافتقار كما في الخلة بين الناس، فإنها قائمة على الفقر والحاجة بين الطرفين، والله تعالى منزّه عنهما.

والآية الشريفة تدلّ على أن جميع ما سواه محتاج إليه ﷺ، وهو مُستغنٍ عنها، كما ثبت ذلك أيضاً بالبراهين العقلية»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدّم. ﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر.
 ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلّق بفعل محذوف مثل: «استقر». ﴿عَاطِفَةٌ﴾.
 ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾.
 ﴿بِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿كَانَ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.
 ﴿مُحِيطًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أحاطةً خلقٍ وربوبيةً وعلم وقدرة وقهر وغلبة وعزة وجزاء لأن الأشياء كلها مسخرة تحت إرادته ومشيته وقدرته.

١. التبيان ٣/٣٤٢.

٢. مواهب الرحمن ٩/٣٤٢.

﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾

هذه الآية معطوفة على «ما في أول سورة من الآيات النازلة في أمر النساء من آيات الإزدواج والتحريم والإرث وغير ذلك، الذي يفيد السياق أن هذه الآيات إنما نزلت بعد تلك الآيات، وإن الناس كما أمر رسول الله ﷺ في أمر النساء حينما نزلت آيات أول السورة فأحيت ما أماته الناس من حقوق النساء في الأموال والمعاشرات وغير ذلك.

فأمره الله سبحانه أن يجيبهم أن الذي قرره لهم على الرجال من الأحكام إنما هو فتيا إلهية ليس له في ذلك من الأمر شيء، ولا ذاك وحده بل ما يتلى عليهم في الكتاب في يتامى النساء أيضاً حكم إلهي ليس لرسول الله ﷺ فيه شيء من الأمر، ولا ذاك وحده بل الله يأمرهم أن يقوموا في التيامى بالقسط»^١.

﴿وَ عَاطِفَةٌ أَوْ اسْتِنَافِيَةٌ﴾

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. «الاستفتاء: طلب الفتيا وهي الجواب عما يشكل من الأحكام وما دق من الأمور وقد استعمل في كل تبيين للحكم»^٢. يستفتونك: يسألونك يا محمد ﷺ أصحابك.

﴿فِي النِّسَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾. أي «في أمر النساء والواجب لهم وعليهن» واكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة الكلام على المراد»^٣.

﴿قُلِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا محمد ﷺ. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

١. الميزان ٥/ ٩٨.

٢. مواهب الرحمن ٩/ ٣٦٦.

٣. التبيان ٣/ ٣٤٣.

﴿يُفْتِيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. خبر. يعني إن الله يجعل فيهن أحكاماً وأنزل الله فيهن أموراً تعلقها شأنهن وقدرهن وتصير سبباً لسعادتهن وبالتالى سعادة المجتمع الإنساني. نسب ذوالجلال الفتيا إلى نفسه لئلا يتوهم أحداً أنّها من بقايا ميراث العرب الجاهلي قبل الإسلام.

﴿فِيهِنَّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُفْتِيكُمْ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، تعطف ما بعدها على ﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أو على ضمير ﴿فِيهِنَّ﴾.

﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على فاعل ﴿يُفْتِيكُمْ﴾، أو على ضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ على ما جوزه الفراء، قال الشيخ: «وقالاً [أي الزجاج والفراء] معاً يجوز أن يكون موضع ﴿مَا﴾ خفصاً بالعطف على ﴿فِيهِنَّ﴾ إلا أن الزجاج ضعف هذا وقال: هذا بعيد لأن عطف المظهر على المضمّر لا يجوز. وقال الفراء: يجوز»^١.

﴿يُتْلَى﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». «التلاوة: القراءة بعناية وتقع وصفاً للفظ وقد يوصف المعنى بها أيضاً كما في المقام أي الأحكام المتلوّة»^٢.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُتْلَى﴾.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ الموصولة تقديره: حال كونه مدوناً ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي القرآن الكريم.

﴿فِي يَتَمَى الْيَسَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَسْتَفْتُونَ﴾ ومضاف إليه. بالنسبة إلى أموالهنّ ونكاحهنّ ومعاشرتهم. «وإنما أفردهنّ ﷻ بالذكر لأنهنّ يستحقن العطف أكثر من غيرهنّ ليطمئنّنّ وتوجه الظلم إليهنّ أكثر»^٣.

﴿الَّتِي﴾ اسم موصول في محلّ جر صفة لـ﴿الْيَسَاءِ﴾. ﴿الَّتِي﴾: جمع ألتي.

﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ومفعول به أول.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل نصب لأنه مفعول به ثان.

١. التبيان ٣/٣٤٣.

٢. مواهب الرحمن ٩/٣٦٧.

٣. مواهب الرحمن ٩/٣٦٧.

﴿كُتِبَ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». من الميراث كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ١. فيكون المراد ما كتب الله له من الميراث في آيات الفرائض أو ما جعل له من حق اختيار الزوج والتزويج به.

﴿لَهُنَّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿كُتِبَ﴾. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿تَرَعَّبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَنَكِّحُوهُنَّ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به.

وقد يقال: بتقدير حرف «عن» بعد ﴿تَرَعَّبُونَ﴾، لأنَّ اليتيمة إذا كانت جميلة مقبولة يرغبون الذين هي في بيوتهم في نكاحها فلا يحتاج إلى تقدير «عن»، وإذا كانت دمية شوهاء يرغبون عن نكاحها ويمنعونها عن التزوج بالغير طمعاً في مالها ويحتاج إلى تقدير «عن».

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مجرور لأنه معطوف على ﴿يَتَمَى الْيَسَاءِ﴾. وصفهم بهذا الوصف لإثارة العطف في النفوس.

﴿مِنَ الْوَالِدَانِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. فيحرمونهم عن ميراثهم. «فإنَّ أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبي الصغير، ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً، وكانوا لا يعطون الميراث إلا لمن يُقاتل، وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً.

فلما أنزل الله فرائض الموارث وجدوا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا:

انطلقوا إلى رسول الله ﷺ فنذكر له ذلك لعله يدعه أو يُغيره! فأتوه، فقالوا:

يا رسول الله! للجارية نصف ما ترك أبوه وأخوها، ويُعطى الصبي الصغير

الميراث، وليس أحدٌ منهما يركب الفرس، ولا يحوز الغنيمة، ولا يقاتل العدو؟!

فقال رسول الله ﷺ: بذلك أمرتُ ٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

١. التبيان ٣/٣٤٤؛ مجمع البيان ٣/١١٨.

٢. تفسير القمي ١/٢٢٥.

﴿تَقُومُوا﴾ فعل مضارع منصوب، ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ بتأويل المصدر «قيامكم» معطوف على ﴿يَتَنَمَى النِّسَاءُ﴾ أو في محل نصب بفعل محذوف تقديره: يأمركم القيام والمراد به العناية والاهتمام.

﴿لِيَتَنَمَى﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾، والجملة الأخيرة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِيَتَنَمَى بِالْقِسْطِ﴾ «معطوف على محلّ قوله ﴿فِيهِنَّ﴾ والمعنى: قل الله يفتيكم أن تقوموا لليتامى بالقسط، وهذا بمنزلة الإضراب عن الحكم الخاص إلى ما هو أعم منه أعني الانتقال من حكم بعض يتامى النساء والولدان إلى حكم مطلق اليتيم في ماله وغير ماله»^١.

ولأنهم كانوا يفسدون مال اليتيم فأمرهم أن يُصلِحُوا أموالهم^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿مَا﴾ اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدّم.

﴿تَفَعَّلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. ﴿مَنْ﴾ حرف جرّ بيانيّ.

﴿خَيْرٍ﴾ مجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ تقديره: أيُّ شيءٍ تفعلوه حالة

كونه من خير.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها في محلّ جزم جواب

الشرط.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهِ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر «هو».

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿كَانَ﴾.

﴿عَلِيمًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. جملة ﴿كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ترغيب

للعمل بالخيرات وما ورد من الارشادات.

الآية الشريفة تشمل ثلاث مراحل:

«المرحلة الأولى: ترك الظلم عليهم والإعراض عن العادة الجائرة والسنة

١. الميزان ٥/ ١٠٠.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٢٦.

الباطلة التي كانت في الجاهلية، والتحذير من اتباعها.

الثانية: مراعاة القسط والعدل بدقة فيهم، وعلى أتم الوجوه وأكملها.

الثالثة: الزيادة على ذلك بفعل الخير فيهم، وذلك بإكرامهم والفضل عليهم»^١.

رواية

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَسَتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النِّسَاءِ مَا لَهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: الرَّبُّعَ وَالثُّمْنَ^٢.

﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

بيّن الله تعالى حكماً فقهياً اجتماعياً يعالج الخلاف الواقع بين الزوجين وما يهدد العلاقات الأسرية بكاملها ويذكر الله طرق الإصلاح فيها.

شأن نزولها والآية اللاحقة

«نزلت في ابنة «محمد بن مسلمة» كانت امرأة «رافع بن خديج» وكانت امرأة قد دخلت في السن، فتزوج عليها امرأة شابة كانت أعجب إليه من ابنة محمد بن مسلمة، فقالت: له ابنة محمد بن مسلمة: ألا أراك معرضاً عني مؤثراً علي؟ فقال رافع: هي امرأة شابة، وهي أعجب إليّ، وإن شئت أقررت على أن لها يومين أو ثلاثة مني، ولك يوم واحد! فأبت ابنة محمد بن مسلمة أن ترضى، فطلقها تطليقة واحدة، ثم طلقها أخرى، فقالت: لا والله لا أرضى أن تُسوي بيني وبينها. يقول الله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ وابنة محمد لم تطب نفسها بنصيبتها وشحت عليه، فعرض عليها رافع:

١. مواهب الرحمن ٩ / ٣٧٠.

٢. تفسير القمي ١ / ٢٢٥.

إِذَا أَنْ تَرْضَى، وَإِنَّمَا أَنْ يَطْلُقَهَا الثَّالِثَةُ، فَشَحَّتْ عَلَى زَوْجِهَا وَرَضِيَتْ، فَصَالِحَتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.
فَلَمَّا رَضِيَتْ وَاسْتَقَرَّتْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمَا، فَتَنَزَلَتْ:

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^١ أَنْ تَأْتِيَ وَاحِدَهُ وَتَذُرَ الْأُخْرَى، لَا أَيْمَ وَلَا ذَاتَ بَعْلٍ، وَهَذِهِ السَّنَّةُ فِيهَا كَانَ كَذَلِكَ إِذَا أَقْرَتِ الْمَرْأَةُ وَرَضِيَتْ عَلَى مَا صَالِحَهَا عَلَيْهِ زَوْجِهَا، فَلَا جُنَاحَ عَلَى الزَّوْجِ وَلَا عَلَى الْمَرْأَةِ، وَإِنْ هِيَ أَبَتْ طَلَّقَهَا، أَوْ يَسَاوِي بَيْنَهُمَا لَا يَسَعُهُ إِلَّا ذَلِكَ^٢.

وَرَوَاهَا الشَّيْخُ مَخْتَصِرًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا شَابَةً فَأَثَرَ الشَّابَةَ عَلَيْهَا، فَأَبَتْ الْأُولَى أَنْ تَقْرَ عَلَى ذَلِكَ، فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً حَتَّى إِذَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا يَسِيرًا قَالَ: إِنْ شِئْتَ رَاجِعْتِكَ وَصَبَرْتَ عَلَى الْأَثَرِ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكَتِكَ حَتَّى يَخْلُوَ أَجْلُكَ، ثُمَّ طَلَّقَهَا الثَّانِيَةَ، وَفَعَلَ فِيهَا مَا فَعَلَ أَوَّلًا، قَالَتْ: بَلْ رَاجِعْنِي وَأَصْبِرْ عَلَى الْأَثَرِ، فَارْجِعْهَا. فَذَلِكَ الصُّلْحُ الَّذِي بَلَّغْنَا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِ ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ﴾ الْآيَةَ^٣.

﴿وَ﴾ اسْتِثْنَائِيَّةٌ. ﴿إِنْ﴾ حَرْفٌ شَرْطٌ جَازِمٌ.

﴿أَمْرًا﴾ فَاعِلٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ الْآتِي.

﴿خَافَتْ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ، مَوْثُوثٌ وَفَاعِلُهُ «هِيَ» مَسْتَتِرٌ تَرَجَعَ إِلَيْهَا، فِي مَحَلِّ جَزْمٍ لِأَنَّهُ فِعْلٌ الشَّرْطِ. «وَإِنَّمَا اعْتَبِرَ خَوْفَ النِّشْوِزِ وَالْإِعْرَاضِ دُونَ نَفْسِ تَحْقِيقِهَا لِأَنَّ الصُّلْحَ يَتَحَقَّقُ مَوْضُوعَهُ مِنْ حِينَ تَحْقِيقِ الْعِلَاطِمِ وَالْآثَارِ الْمَعْقِبَةِ لِلْخَوْفِ»^٤.

بِعِبَارَةٍ أُخْرَى: «الْخَوْفُ: تَوَقُّعُ الْمَكْرُوهِ بِظُهُورِ بَعْضِ أَمَارَاتِهِ وَأَسْبَابِهِ، وَإِنَّمَا اعْتَبِرَ بِالْخَوْفِ خَوْفَ النِّشْوِزِ وَالْإِعْرَاضِ دُونَ نَفْسِهَا؛ لِأَنَّ مَوْضُوعَ الصُّلْحِ يَتَحَقَّقُ مِنْ حِينَ

١. سورة النساء / ١٢٩.

٢. تفسير القمي / ١ / ٢٢٦.

٣. التبيان / ٣ / ٣٤٧.

٤. الميزان / ٥ / ١٠١.

ظهرت العلامات والأمارات التي يتعقبها الخوف»^١. ﴿خَافَتْ﴾ أي علمت.
 ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، يتعلقان بـ﴿خَافَتْ﴾ أو بحال محذوف
 من ﴿نُشُوزًا﴾. ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ أي: من زوجها.

﴿نُشُوزًا﴾ مفعول به. النشوز: الارتفاع، يقال: أرض ناشزة: أي مرتفعة، وفي
 حديث خاتم النبوة: «بضعة ناشزة» أي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم، ونشوز أحد
 الزوجين ترفعه عن القيام بالحقوق الزوجية. ونشوز الزوج يتحقق بإيذاء الزوجة أو
 عدم الإنفاق عليها أو ترك القسمة لها إذا كانت عند الزوج أكثر من زوجة أو ترك
 الحقوق الواجبة الجنسية لها ونحوها.
 ﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿إِعْرَاضًا﴾ معطوف على ﴿نُشُوزًا﴾. الإعراض: الميل والانحراف عن الشيء،
 «يعني انصرفاً بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه»^٢.
 فالمراد «بالإعراض جنوته الدالة على كرهه لها وأما انصرافه إلى أشغاله
 ومشاكله فعليها أن تعذره فيه، وتصبر عليه، مادام غير كاره لها»^٣.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها جواب الشرط في محلّ
 جزم.

﴿لَا﴾ نافية للجنس، تعمل عمل «إن».
 ﴿جُنَاحَ﴾ اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محلّ نصب. ﴿جُنَاحَ﴾: حرج، والتعبير
 بـ﴿لَا جُنَاحَ﴾ يدلّ على عدم الوجوب والالزام الشرعي.
 ﴿عَلَيْهِمَا﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿لَا﴾ وتقديره: كائن أو موجود. والضمير
 يرجع إلى الزوجين.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة، مع ما بعدها بتأويل مصدر في محلّ جر بحرف مجرور
 محذوف تقديره: في الإصلاح ﴿بَيْنَهُمَا﴾.

١. مواهب الرحمن ٩ / ٣٧١.

٢. التبيان ٣ / ٣٤٦.

٣. التفسير الكاشف ٢ / ٤٥٢.

﴿يُصْلِحًا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.

﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. مفعول به ﴿يُصْلِحًا﴾، ويمكن حذف مفعول به اختصاراً تقديره: ﴿يُصْلِحًا﴾ الحال ﴿بَيْنَهُمَا﴾.

﴿صُلْحًا﴾ مفعول مطلق. «والسياق يدلُّ على أنَّ المراد بالصلح هو الصلح بغضِّ المرأة عن بعض حقوقها في الزوجية أو جميعها لجلب الأُنس والألفة والموافقة والتحفُّظ عن وقوع المفارقة»^١.

﴿وَ﴾ اعتراضية والجملة الاسمية بعدها معترضة. ﴿الْصُّلْحُ﴾ مبتدأ.

﴿خَيْرٌ﴾ خبره.

تبيّنت الجملة الاعتراضية حكماً اجتماعياً عاماً ترشد إلى أنَّ الصلح خيرٌ وحسنٌ في جميع الأحوال، وأنَّ الإسلام دين الصلح والسَّلام والأمن والاستقرار، لا دين النزاع والحرب والإرهاب والقتل والخصومة والتباغض والاضطراب والفتنة. ﴿وَ﴾ اعتراضية.

﴿أُحْضِرْتِ﴾ فعل ماض مؤنث مبني للمجهول تتعدى إلى مفعولين بواسطة همزة التعديّة. أي جُبلت أو جُعِلت.

﴿الْأَنْفُسُ﴾ نائب فاعل ساد مسدّ مفعول به أوّل.

﴿الشُّحُّ﴾ مفعول به ثان. ﴿الشُّحُّ﴾: «افراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الأعراض يقال: هو شحيح بمودّتك أي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة»^٢.

«معناه: أن الشحّ من الغرائز النفسانية التي جبلها الله عليها لتحفظ بمنافعها، وتصونها عن الضيعة، فما لكلِّ نفسٍ من الشحّ هو حاضر عندها، فالمرأة تبخل بمالها من الحقوق في الزوجية كالكسوة والنفقة والفراش والوقاع، والرجل يبخل بالموافقة والميل إذا أحبَّ المفارقة، وكره المعاشرة، ولا جناح عليهما حينئذٍ أن يصلحا ما بينهما

١. الميزان ٥/١٠١.

٢. التبيان ٣/٣٤٧.

باغماض أحدهما أو كليهما عن بعض حقوقه»^١.

«احضرت الشح: فمنها ما اختارته ومنها ما لم تختره»^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية وما بعدها موعظة تختص بالرجال لأنهم قوامون عليهنّ.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُحْسِنُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، لأنّه فعل الشرط.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَتَّقُوا﴾ معطوفة على ﴿تُحْسِنُوا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو». ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة في محل جر، ﴿بِمَا﴾ متعلّق بخبر ﴿كَانَ﴾، أو مصدرية فتكون

﴿مَا﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلّق بخبر

﴿كَانَ﴾ تقديره: خبير بأعمالكم.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿حَيْرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾.

«يعني ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء، وتتقوا من الجور

عليهنّ في النفقة والعشرة بالمعروف، فإنّ الله عالم بذلك. وكان عالماً بما تعملون فيما قبل

فيجازيكم على ذلك»^٣.

الروايات

صحيحه الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾

خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ فقال: هي المرأة تكون عند الرجل فيكرهها فيقول

لها: إنّي أريد أن أطلقك، فتقول له: لا تفعل إنّي أكره أن تشمت بي ولكن انظر في ليلتي

فاصنع بها ما شئت وما كان سوى ذلك من شيء فهو لك ودعني على حالتي فهو قوله

١. الميزان ٥/ ١٠١.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٢٧.

٣. التبيان ٣/ ٣٤٨.

تبارك وتعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وهو هذا الصلح. ١.

رواها العياشي في تفسيره. ٢.

موثقة أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قال: تكون عنده المرأة لا تعجبه فيريد طلاقها فتقول له: أمسكني ولا تطلقني وأدع لك ما على ظهرك وأعطيك من مالي وأحللك من يومي وليتي فقد طاب ذلك له كله. ٣.

خبر علي بن أبي حمزة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ فقال: إذا كان كذلك فهمم بطلاقها قالت له: أمسكني وأدع لك بعض ما عليك وأحللك من يومي وليتي حلّ له ذلك ولا جناح عليها. ٤.

رواها العياشي في تفسيره. ٥.

عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، في قول الله: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.

قال: النشور الرجل يهيم بطلاق امرأته، فتقول له: ادع ما على ظهرك وأعطيك كذا وكذا، وأحللك من يومي وليتي، على ما اصطلحا، فهو جائز. ٦.

عن زرارة قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن النهارية يشترط عليها عند عقد النكاح أن يأتيها ما شاء نهاراً، أو من كل جمعة أو شهر يوماً، ومن النفقة كذا وكذا.

قال: فليس ذلك الشرط بشيء، من تزوج امرأة فلها ما للمرأة من النفقة والقسمة، ولكنه إن تزوج امرأة خافت منه نشوراً، أو خافت أن يتزوج عليها،

١. الكافي ١١/٦٩٧، ح ٢ (١٤٥/٦).

٢. تفسير العياشي ١/٤٤٧، ح ٢٨٧.

٣. الكافي ١١/٦٩٨، ح ٣ (١٤٥/٦).

٤. الكافي ١١/٦٩٦، ح ١ (١٤٥/٦).

٥. تفسير العياشي ١/٤٤٧، ح ٢٨٥.

٦. تفسير العياشي ١/٤٤٦، ح ٢٨٤.

فصاحت من حقها على شيءٍ نم قسمتها أو بعضها، فإن ذلك جائز لا بأس به. ١
الصلح بترك بعض الحق جائز إذا كان بطيبة من نفسها «فإن لم يكن كذلك، فلا يجوز له إلا ما يسوغ في الشرع من القيام بالكسوة والنفقة، والقسمة وإلا يطلق. وهذه الجملة قال علي عليه السلام» ٢.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٢٦)

«نفى الله تعالى في هذه الآية أن يقدر أحد من عباده على التسوية بين النساء والازدواج في حبهنَّ والميل إليهنَّ حتى لا يكون ميله إلى واحدة منهنَّ إلا مثل ما يميل إلى الأخرى. لأن ذلك تابع لما فيه من الشهوة، وميل الطبع. وذلك من فعل الله تعالى، ولا صنع للخلق فيه، وإن حرص على ذلك كل الحرص. وليس يريد بذلك نفى القدرة على التسوية بينهنَّ في النفقة، والكسوة والقسمة، لأنه لو كان كذلك لما أمر الله تعالى بالتسوية في جميع ذلك، لأنه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه. كما قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ٣ وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتِنَهَا﴾ ٤ ولا تجوز المناقضة في كلامه تعالى. ولو حملنا على أنه نفى الاستطاعة في التسوية بينهنَّ في النفقة، جاز أن يكون المراد به أن ذلك لا يخف عليكم بل يثقل ويشق عليكم تسويتهنَّ، لميلكم إلى بعضهنَّ، فأباح الله تعالى حيثنَّذ ورخص ان يفضل بعضهنَّ على بعض في ما زاد على الواجب من القسمة والنفقة، ولا يؤاخذ به بذلك» ٥.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَنْ﴾ حرف نفى ونصب واستقبال.

١. تفسير العياشي ١/٤٤٧، ح ٢٨٦.

٢. التبيان ٣/٣٤٦.

٣. سورة البقرة ٢٨٦.

٤. سورة الطلاق / ٧.

٥. التبيان ٣/٣٤٩.

﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ فعل مضارع منصوب. نفى إلى الأبد عدم امكان التعديل ﴿بَيْنَ النَّسَاءِ﴾ في العلاقات الزوجية والمحبة.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة، وهي مع ما بعدها بتأويل المصدر مفعول به ﴿لَنْ تَسْتَطِيعُونَ﴾ تقديره: العدل ﴿بَيْنَ النَّسَاءِ﴾.

﴿تَعَدَّلُوا﴾ فعل مضارع منصوب. ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿تَعَدَّلُوا﴾.

﴿النِّسَاءِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ امتناعية وشرطية غير جازمة.

﴿حَرَصْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على التعديل.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَمِيلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿كُلِّ﴾ مفعول مطلق، لأن لها حكم ما تضاف إليه فإن كان مصدرًا كانت

مصدرًا وان كان ظرفًا كانت ظرفًا. أو نائب عن المصدر المضاف إليه لبيان نوعه.

﴿الْمَيْلِ﴾ مضاف إليه، أو ﴿كُلِّ الْمَيْلِ﴾ قام مقام المفعول المطلق تقديره:

لا تميلوا ميلاً كل الميل ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ مع الزوجة المحبوبة وتحرموا الأخرى من حقوقها.

﴿فَ﴾ عاطفة تفرعية، أو سببية.

﴿تَذَرُوهَا﴾ تفریع ومعطوف على ﴿تَمِيلُوا﴾، فعل مضارع مجزوم وفاعله

ومفعول به.

«يعني تذروا التي لا تميلون إليها كالمعلقة يعني كالتي هي لا ذات زوج، ولا

هي أيم»^١. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام.^٢

﴿كَ﴾ حرف جر للتشبيه، أو تكون اسماً بمعنى «مثل» مبنياً على الفتح في محل

نصب حالاً.

﴿الْمُعَلَّقَةِ﴾ مجروره متعلق بـ ﴿تَذَرُوهَا﴾، أو مضاف إليه اسم ﴿كَ﴾ بمعنى مثل.

أي: لا مزوجة لها ما للزوجات ولا معلقة تستطيع الزواج بمن تريد.

١. التبيان ٣/٣٤٩؛ مجمع البيان ٣/١٢١.

٢. مجمع البيان ٣/١٢١.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها موعظة أخرى للرجال أمرهم الله تعالى بالمصالحة ومراعاة التقوى في حقوق الزوجية.

﴿إِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ تعرب اعراب ﴿وَإِنْ تَحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ في الآية السابقة.
﴿رَحِيمًا﴾ نعت لـ ﴿غَفُورًا﴾ أو يكون خبراً ثانياً لـ ﴿كَانَ﴾.

الروايات

قال القمي: إنه روي لما سأل رجل من الزنادقة أبا جعفر الأحول، فقال: أخبرني عن قوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتَلْتَّ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^١ وقال في آخر السورة ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فيين القولين فرق؟

فقال أبو جعفر الأحول: فلم يكن في ذلك عندي جواب، فقدمت المدينة، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألته عن الآيتين؟ فقال:

أما قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^٢ فإنها عنى به [في] النفقة، وقوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فإنها عنى به [في] المودة، فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودة. فرجع أبو جعفر الأحول إلى الرجل فأخبره، فقال: هذا ما حملته الإبل من الحجاز.^٣
قد مرّ مثلها في صحيحة نوح بن شعيب ومحمد بن الحسن.^٤

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، قال عليه السلام: في المودة.^٥

الصدوق بإسناده إلى آخر خطبة خطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة قال: ... ومن

١. سورة النساء / ٣.

٢. سورة النساء / ٣.

٣. تفسير القمي / ١ / ٢٢٧.

٤. أجود البيان في تفسير القرآن ٤ / ٤١٣، ذيل الآية ٣ من سورة النساء.

٥. الكافي / ١٠ / ٦٧٣، ح ١ (٣٦٢ / ٥).

٦. تفسير العياشي / ١ / ٤٤٨، ح ٢٨٨.


كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القَسَم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً
مائلاً شقّه حتّى يدخل النَّار، الخطبة. ١

خبر عبدالمملك بن عُتْبَةَ الهاشمي قال: سألت أباالحسن عليه السلام عن الرجل تكون له
امرأتان يريد أن يؤثر إحداهما بالكسوة والعطية، أيصلح ذلك؟ قال: لا بأس واجتهد
في العدل بينهما. ٢

روي عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقسم
بين نسائه في مرضه، فيطاف [به] بينهن. ٣

روي عن علي عليه السلام انه كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في
بيت الأخرى. ٤

روى أبو قلابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يقسم بين نسائه ويقول: اللهم هذه
قسمتي في ما أملك فلا تأمني فيما تملك، ولا أملك. ٥

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ 

يذكر الله تعالى في هذه الآية حكماً علاجياً بعد أن لم تنفع المصالحة ولم تتحقق
الموافقة، وأراد الرجل وزوجته الطلاق فإن الله يغني كل واحد منهما من فضله ورزقه.
وحاصل ما تقدم في الآيتين السابقتين وهذه الآية يدور حول محورين وهما
﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ ٦ «والإمساك أفضل مع عدم المفسدة ومعها

١. عقاب الأعمال / ٣٣٣؛ ونقل عنه وسائل الشيعة ٢١/ ٣٤٢، ح ١، الباب ٤ من أبواب القسم
والنشوز والشقاق.

٢. التهذيب ٧/ ٤٢٢؛ الاستبصار ٣/ ٢٤١؛ ونقل عنها في وسائل الشيعة ٢١/ ٣٤١، ح ١.

٣. التبيان ٣/ ٣٥٠؛ مجمع البيان ٣/ ١٢١؛ وروى عن الأخير في وسائل الشيعة ٢١/ ٣٤٣، ح ٢.

٤. التبيان ٣/ ٣٥٠؛ مجمع البيان ٣/ ١٢١؛ وروى عن الأخير في وسائل الشيعة ٢١/ ٣٤٣، ح ٣.

٥. التبيان ٣/ ٣٤٩؛ مجمع البيان ٣/ ١٢١.

٦. سورة البقرة / ٢٢٩.

فالتسريح هو الأفضل»^١.

قال الشيخ: «وفي الآية دليل على أن الأرزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها لعباده وإن كان ربها أجراها على يدي من يشاء من عباده»^٢.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ شرطية جازمة.

﴿يَتَفَرَّقَا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط، والمراد بالتفرق الطلاق.

﴿يُغْنِ﴾ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة «الياء» وبقيت الكسرة دالة عليها جواب الشرط. «الإغناء بقرينة المقام إغناء في جميع ما يتعلّق بالازدواج من الايتلاف والاستيناس والمسّ وكسوة الزوجة ونفقتها فإن الله لم يخلق أحد هذين الزوجين للآخر حتى لو تفرّقا لم يوجد للواحد منهما زوج مدى حياته بل هذه السنّة سنّة فطرية فاشية بين أفراد هذا النوع يميل إليها كلّ فرد بحسب فطرته»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿كُلًّا﴾ مفعول به، أي كلّ واحد من الزوجين.

﴿مَنْ سَعَتِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ﴿يُغْنِ﴾. «يعني من فضله

ورزقه»^٤.

﴿وَ﴾ استثنائية، وما بعدها تعليل لما قبلها. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿وَإِسْعًا حَكِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾.

رواية

خبر عاصم بن حميد قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه رجلٌ فشكا إليه الحاجة فأمره بالتزويج قال: فاشتدّت به الحاجة فأتى أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن حاله فقال له: اشتدّت بي الحاجة فقال: ففارق، ثمّ أتاه فسأله عن حاله فقال: أثريت وحسن حالي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إني أمرتك بأمرين أمر الله بهما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ﴾

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٥٤.

٢. التبيان ٣/ ٣٥٠.

٣. الميزان ٥/ ١٠٢.

٤. التبيان ٣/ ٣٥٠.

﴿ مِنْكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^١ وقال: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ ﴾^٢.
أثرى فلان أي كثر ماله واستغنى.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ ﴿٣١﴾

فقرتها الأولى تعليل لما ورد قبلها ثم الثانية تأكيد في الدعوة إلى مراعاة التقوى
في جميع مراحل الحياة ومنها المعاشرة والزوجية وفي الثالثة جعل ترك التقوى مساوياً
للكفر الباطني....

﴿ وَ ﴾ استئنافية.

﴿ لِلَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر مقدم. واللام للملكية وهي أعم من الحقيقية
والاعتبارية.

﴿ مَا ﴾ موصولة، مبتدأ.

﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: استقر أو وجد.

﴿ وَ ﴾ عاطفة.

﴿ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾ معطوفة على ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ وتعرب إعرابها. وهذه الفقرة
تعليل آخر لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ ﴾^٣. فلا يتعذر عليه تعالى

إغناء كل واحد من الزوجين عند التفرق لأن ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾.

﴿ وَ ﴾ استئنافية. ﴿ لَ ﴾ لام الابتداء والتوكيد. ﴿ قَدْ ﴾ حرف تحقيق.

﴿ وَصَّيْنَا ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، أي أمرنا.

١. سورة النور / ٣٢.

٢. الكافي / ١٠ / ٥٨٨، ح ٦ (٣٣١ / ٥).

٣. سورة النساء / ١٣٠.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به.
 ﴿أُوتُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.
 ﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به، من التوراة والإنجيل.
 ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَصَيَّنَّا﴾ ومضاف إليه. ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
 من الأمم السابقة مثل اليهود والنصارى.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِيَّاكُمْ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾. خطاب للمسلمين. فالدعوة عامة لجميع
 الأمم.

﴿أَنْ﴾ مصدرية، أو مفسرة لأن التوصية ﴿وَصَيَّنَّا﴾ في معنى القول والجملة
 بعدها تكون تفسيرية.
 ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، أي بتقوى ﴿اللَّهِ﴾. بناءً على مصدرية ﴿أَنْ﴾. أمر بتقوى الله
 تعالى في جميع مواقف الحياة البشرية وكل الأمور الاجتماعية والفردية ومنها الحياة
 الزوجية والتعايش الأسرية.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ معطوف على ﴿أَنْ اتَّقُوا﴾ وتعرب مثلها. قابل بين التقوى والكفر
 تشديداً لمرعاة التقوى وتهديداً على من أعرض عنها، جعل ترك التقوى كفراً باطنياً.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المستفاد من مفهوم الفقرة السابقة أي إن كفرتم
 بالله في عدم مراعاة تقوى.

﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مرّ اعرابها في مستهل الآية. أي كفرتم
 لا يضر الله سبحانه شيئاً لعدم حاجته ﴿إِلَيْكُمْ﴾ وإلى تقواكم لأن ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. ﴿غَنِيًّا﴾ أي غير محتاج إلى خلقه والخلق محتاجون
 إليه لغنائه بذاته، ﴿حَمِيدًا﴾ أي محموداً بذاته لذاته لأن كل ما في الوجود يصدر منه

تعالى فيرجع الحمد كله له ﷻ وهو مصدر جميع المحامد.

الروايات

- السيد الرضي رفعه عن إمام المتقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: اتقوا معاصي الله في الخلوات فإنَّ الشاهد هو الحاكم. ١
- وقال ﷺ في خطبة: ... فإنَّ التقوى في اليوم الحرز والجنته وفي غد الطريق إلى الجنة... ولا تضعوا من رفعته التقوى، الخطبة. ٢
- وقال ﷺ: فإنَّ تقوى الله مفتاح سدادٍ وذخيرة معادٍ، الخطبة. ٣
- وقال ﷺ: ولا عزَّ أعزَّ من التقوى؛ الحكمة. ٤
- قال الشيخ في ذيل قوله تعالى: ﴿حَمِيدًا﴾: يعني مستوجب الحمد عليكم بصنائه الحميدة إليكم، وآلائه الجميلة، فاستدعوا ذلك باتقاء معاصيه، والمسارة إلى طاعته فيما يأمركم به وهذه الجملة مروية عن علي ﷺ.
- ثم قال: وهو قول جميع المفسرين. ٥
- والروايات الواردة في شأن التقوى كثيرة جداً فإن شئت فراجع كتابي «موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ» ٦.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

«جملة استثنائية، توطئة لما يأتي من إظهار قدرته، فإنَّ له التصرف في خلقه كيفما يشاء إيجاباً وإحياء وإماتة، وتأكيداً لما سبق وإيداناً بأنَّ جميع ما سواه مخلوق له تعالى محتاج بذاته لذاته، وهو الوكيل عليهم يدبر شؤونهم ويرعى مصالحهم.

١. نهج البلاغة، حكمة ٣٢٤.

٢. نهج البلاغة، خطبة ١٩١.

٣. نهج البلاغة، خطبة ٢٣٠.

٤. نهج البلاغة، حكمة ٣٧١.

٥. التبيان ٣/٣٥٢.

٦. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ٢/ (٢٢٠-٢١٣).

ولعلّ الوجه في تكرار هذه الآية الشريفة ثلاث مرّات، لبيان تمام قدرته واستجماعه لجميع صفات الكمال، ولإرشاد النَّاس إلى التفكر لما في السموات وما في الأرض ممّا فيها من آيات تدلّ على وحدانيّته وعلمه الأتمّ وحكمته التامة^١.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَرَّتْ ۖ وَكَيْفَ تَعْلَمُونَ مَا يُدْعٰٓؤُنَا بِهِ ۗ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ﴾^٢.
﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض.

﴿بِ﴾ حرف جر زائد. ﴿اللَّهِ﴾ مجروره في محل رفع فاعل.

﴿وَكَيْلًا﴾ تمييز، «والمراد به القيم على أمور خلقه والمهيمن عليهم، واستقلاله بشؤون الموكل إليه»^٣. لأنه قادر على انجاز كل ما أوعده وحافظ لجميع خلقه و «لا يعزب عنه علم شيء ولا يؤوده حفظه وتدبيره»^٤.

﴿فإن قلت: ما وجه تكرار قوله ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ فقد أُورد

ثلاث مرّات.

قلت: أما الأوّل فإنّه تعليل لقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^٥، وأما الثاني فإنّه واقع موقع جواب الشرط في قوله ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾^٦، والتقدير: وإن تكفروا فإنّه غني عنكم، وتعليل للجواب وقد ظهر في قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾^٧.
وأما الثالث فإنّه استيناف وتعليل بوجه لقوله ﴿إِن يَشَأْ﴾^٨٩.

١. مواهب الرحمن ٩/ ٣٨٠.

٢. سورة النساء/ ١٣٣.

٣. مواهب الرحمن ٩/ ٣٨٠.

٤. التبيان ٣/ ٣٥٢.

٥. سورة النساء/ ١٣٠.

٦. سورة النساء/ ١٣١.

٧. سورة النساء/ ١٣١.

٨. سورة النساء/ ١٣٣.

٩. الميزان ٥/ ١٠٣.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾

الآية الشريفة «ناظرة إلى تبديل الناس إن كانوا غير متقين بآخرين من الناس يتقون الله»^١.

﴿إِنْ﴾ شرطية جازمة.

﴿يَشَأْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، فعل الشرط.

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي: يهلككم ويفنيكم أو يؤخركم عن الآخرين.

﴿أَيُّهَا﴾ اسم منادى بأداء نداء محذوفة تقديرها: يا ﴿أَيُّهَا﴾.

﴿النَّاسُ﴾ بدل من ﴿أَيُّهَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَأْتِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه معطوف على ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر.

﴿بِآخَرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْتِ﴾. أي ﴿يَأْتِ﴾ بقوم ﴿آخَرِينَ﴾ عليكم وهم يقومون لما يحبّه ويرتضيه ويتقون الله تعالى حقّ تقاته.

دعوة «إلى ملازمة التقوى الذي أوصى الله به هذه الأمة ومن قبلهم من أهل الكتاب يدلّ على أنّ إظهار الاستغناء وعدم الحاجة المدلول عليه بقوله ﴿إِنْ يَشَأْ﴾، إنّما هو في أمر التقوى.

والمعنى أنّ الله وصّاكم جميعاً بملازمة التقوى فاتقوه، وإن كفرتم فإنّه غني عنكم، وهو المالك لكلّ شيء المتصرف فيه كيفما شاء ولما شاء إن يشأ أن يعبد ويتقى ولم تقوموا بذلك حقّ القيام فهو قادر أن يؤخركم ويقدم آخرين يقومون لما يحبّه ويرتضيه، وكان الله على ذلك قديرًا»^٢.

١. الميزان ٥/ ١٠٤.

٢. الميزان ٥/ ١٠٣.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.
﴿قَدِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. تعليل لمشيئته وإذهابه وإيتائه ﴿بِغَاخِرِينَ﴾.

رواية

روي عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان، فقال: هم قوم هذا رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ^١.
رواها الزمخشري^٢ والبيضاوي^٣ في تفسيريهما وفسره الأول بـ«أبناء فارس»^٤ والطبرسي^٥ بـ«عجم الفرس».

وهم اليوم الإيرانيون - حفظهم الله ورعاهم وأدام شوكتهم وقدرتهم - لأن لهم الأهلية بتبديل الناس و«العرب» خصوصاً بهم للصفة اللائقة لذلك فيهم وهي التقوى، فالأمر يدور مدار التقوى لا القومية والعنصرية والحدود والدول والماليك.
والحمد لله على ما أجرى في لسان رسوله الأعظم ﷺ من فخر العرب والعجم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

«بيان للعلّة التي توجب صرف الناس عن التقوى، إعراضهم عن الطاعة، وهي الإقبال على الدنيا والرغبة في متاعها، أي من ترك التقوى وضيع وصيته ﷺ التي أوصاها لجميع الأمم ابتغاء ثواب الدنيا والرغبة في متاعها، فإن ذلك خطأ وسوء

١. التبيان ٣/٣٥٢؛ مجمع البيان ٣/١٢٢.

٢. الكشف ١/٥٧٤.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/١٣٠ من الطبعة سنة ١٤٣٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ (١٠٨/ من الطبع الحجري).

٤. الكشف ١/٥٧٤.

٥. مجمع البيان ٣/١٢٢.

تقدير منه؛ لأن الله تبارك تعالى مالك الدنيا والآخرة»^١.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، في محلّ جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر فيه.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر خبر ﴿كَانَ﴾.

﴿ثَوَابٌ﴾ مفعول به، والمراد به عرض الدنيا ومتاعها.

﴿الدُّنْيَا﴾ مضاف إليه. فيترك تقوى الله للوصول إلى نعيم الدنيا وزخارفها

وثرواتها ومغانمها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ثَوَابٌ﴾ متبداً مؤخر.

﴿الدُّنْيَا﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْآخِرَةَ﴾ معطوفة على ﴿الدُّنْيَا﴾. يعني: «أن ثواب الدنيا والآخرة وسعادتها

معاً إنّها هو عند الله سبحانه فليتقرب إليه حتى من أراد ثواب الدنيا وسعادتها فإنّ

السعادة لا توجد للإنسان في غير تقوى الله الحاصل بدينه الذي شرعه له فليس الدين

إلا طريق السعادة الحقيقية، فكيف ينال نائل ثواباً من غير إيتائه تعالى وإفاضته من

عنده»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. «إنّ الله سميع لأقوال عباده وما يهجس في

خواطريهم، بصير لأفعالهم، لا يخفي عليه خافية. وفيه من التوبيخ - بتركهم ما عنده


تعالى، وإعراضهم عن الطاعة، والاقْتِصَار على ما يريدونه - ما لا يخفي، فلا بدّ من

مراقبته ﷻ في جميع الأمور»^٣.

١. مواهب الرحمن ٩/ ٣٨٢.

٢. الميزان ٥/ ١٠٤.

٣. مواهب الرحمن ٩/ ٣٨٢.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ
أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّرًا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ 

«آية تربية توجيهية لإقامة العدل الإلهي في هذه الأرض المليئة بالعدوان؛ ليتنعم البشرية وتقوم بالقسط. وهذه المهمة لا يمكن أن يقوم لها أساس إلا بتربية من يقوم بها تربية خاصة صالحة؛ ليتجرد للحق وإقامة العدل، فإن الإنسان عرضة للميل إلى الأهواء، فأمر ﷺ أن يكونوا قوامين شديدي التمسك بالقسط في كل شؤونهم وما يتعلق أو من يتعلق أو من يتعلّق بهم حتى يكونوا شهداء لله تعالى، لا إلى المصالح والمنافع ولا رثاء الناس، وهو يتطلّب التضحية، فلا يكون الغنى والفقر ولا غيرهما هو الميزان في العدل، بعد أن كان إقامة القسط والعدل لله تعالى وأن مرضاته ﷻ هي الهدف والغاية، لا الأهواء التي تزيغ الإنسان وتحدّه عن إقامة العدل.

والآية المباركة تؤكد على أخذ الحيطة والاجتناب عن اتباع الهوى الذي هو السبيل الوحيد للضلال، ويعتبر جانب الضعف في الإنسان الذي به يستولي الشيطان على مشاعره، فهذه الآية الشريفة من الآيات التربوية التي تعدّ الأمة إعداداً فكرياً تربوياً لتطبيق العدل الرباني ليكونوا شهداء على الخلق أجمعين»^١.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطابٌ للمؤمنين. ﴿كُونُوا﴾ فعل أمر ناقص واسمه.

﴿قَوَّامِينَ﴾ خبر ﴿كَانِ﴾. أي: قائمين «أتم قيام وأكمّله من غير انعطاف وعدول

عنه إلى خلافه لعامل من هوى وعاطفة أو خوف أو طمع أو غير ذلك»^٢.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿قَوَّامِينَ﴾. القسْط: العدل، «والقيام بالقسط

العمل به والتحفّظ له»^٣ و «هذه الصفة أقرب العوامل وأتم الأسباب لاتباع الحقّ

١. مواهب الرحمن ١٠/٥ و ٦.

٢. الميزان ١٠٨/٥.

٣. الميزان ١٠٨/٥.

وحفظه عن الضيعة»^١.

﴿شُهَدَاءَ﴾ خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾، أو صفة لـ ﴿قَوْمِينَ﴾، أو حال من الضمير في ﴿قَوْمِينَ﴾ وهو ضمير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأنَّ قَوَّام اسم فاعل. ﴿شُهَدَاءَ﴾ جمع شهيد بمعنى شاهد.

﴿لِلَّهِ﴾ اللام للغاية «أي كونوا شهداء تكون شهادتكم لله»^٢ وإقامة الشهادة لله تعالى تكون من متفرعات القيام بالقسط والعدل ولأجل إظهار الحق وإحيائه واتباعه. ﴿وَ﴾ اعتراضية أو حالية والجملة بعدها على الأولى اعتراضية وعلى الثانية حال. ﴿لَوْ﴾ للتمني. ﴿عَلَى﴾ حرف جر.

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ مجروره ومضاف إليه، والجار والمجرور يتعلقان بـ ﴿قَوْمِينَ﴾. أو بمحذوف تقديره: ﴿لَوْ﴾ شهدتم ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي: ولو كانت الشهادة على خلاف منافعكم ومصالحكم.

﴿أَوْ﴾ عاطفة، كسرهما لالتقاء الساكنين.

﴿الْوَالِدِينَ﴾ معطوف على ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ معطوف على ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾. ﴿لَوْ﴾ شهادتكم ﴿عَلَى﴾ أقرب النَّاس إليكم فقوموا فيها بالعدل والقسط وأقيموها على صحتها وواقعها وقولوا فيها الحق. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لأنَّه فعل الشرط واسمه ضمير مستتر «هو». أو اسم كان محذوف تقديره: ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه. وبما ذكرنا ظهر مرجع ضمير «هو» على تقدير أنه اسم كان.

﴿غَنِيًّا﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾، وهو صاحب الثروة والمكنة والقدرة والعزَّة و... .

﴿أَوْ﴾ عاطفة جرياً على المعنى لا اللفظ ولذا يُثنى الضمير ﴿بِهِمَا﴾ الآتي.

﴿فَقِيرًا﴾ معطوف على ﴿غَنِيًّا﴾ ومعناه واضح.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها جواب الشرط في محلِّ

١. الميزان ٥/ ١٠٨.

٢. الميزان ٥/ ١٠٨.

جزم.

﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿أولى﴾ خبره.

﴿بهما﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أولى﴾. أي ﴿أولى﴾ بغنى الغني وفقير الفقير لأن كل ذلك منه تعالى. «والمراد - والله أعلم - : لا يحملنكم غنى الغني أن تميلوا عن الحق إليه، ولا فقر الفقير أن تراعوا حاله بالعدول عن الحق بل أقيموا الشهادة لله سبحانه ثم خاوا بينه وبين الغني والفقير فهو أولى بهما وأرحم بحالهما، ومن رحمته أن جعل الحق هو المتبع واجب الاتباع، والقسط هو المندوب إلى إقامته، وفي قيام القسط وظهور الحق سعادة النوع التي يقوم بها صلب الغني، ويصلح بها حال الفقير. والواحد منهما وإن انتفع بشهادة محرّفة أو متروكة في شخص واقعة أو وقائع لكن ذلك لا يلبث دون أن يضعف الحق ويميت العدل، وفي ذلك قوة الباطل وحياة الجور والظلم، وفي ذلك الداء العضال وهلاك الإنسانية»^١.

﴿ف﴾ تفرعية. ﴿لأ﴾ ناهية جازمة. ﴿تتبعوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. ﴿ألهوى﴾ مفعول به. أي هوى أنفسكم وأميالكم. ﴿أن﴾ مصدرية ناصبة. ﴿تعدّلوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أن تعدّلوا﴾ بتأويل مصدر مفعول لأجله المحذوف وتقديره: كراهة أو إرادة أن تعدّلوا، أو يكون المصدر مجروراً إمّا باضافته إلى مفعول لأجله محذوف وتقديره: كراهية العدل، أو مجروراً بتقدير اللام متعلقاً بالاتباع أي لـ﴿أن تعدّلوا﴾. وأمّا معناه فيمكن أن يكون: «مخافة أن تعدّلوا عن الحق والقسط باتباع الهوى وترك الشهادة لله»^٢.

ويمكن أن يكون: كراهة ﴿أن تعدّلوا﴾ أي: إنكم تتبعون الهوى كرهاً بالعدل وبغضاً به. ويمكن أن يكون: انكم تصيرون من أهل العدل بترك الهوى ومخالفته. ﴿و﴾ استثنائية. ﴿إن﴾ حرف شرط جازم. ﴿تلوّأ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله. الي: المطل والتسويق،

١. الميزان ٥/ ١٠٩.

٢. الميزان ٥/ ١٠٩.

والي بالشهادة: تأخيرها وتسويقها وتبديلها وتحريفها.

«وقرىء ﴿وَإِنْ تَلَّوْا﴾ بضم اللام وإسكان الواو من ولي يلي ولاية، والمعنى: وإن وليتم أمر الشهادة وأتيتم بها»^١.
﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿تُعْرَضُوا﴾ معطوفة على ﴿تَلَّوْا﴾ وتعرب مثلها. الإعراض هنا: ترك الشهادة أصلاً وكتمانها كما هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ٢.
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.
﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر «هو».
﴿بِمَا﴾ جار ومجرور، موصولة متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.
﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
﴿حَيْرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. بأعمالكم، والجملة ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرًا﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. «توعّد بأن من يفعل ذلك يعلم به الله ويعاقبه عليه»^٣.

الروايات

في تفسير القمي: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سَبْعَ حَقُوقٍ: فَأَوْجِبُهَا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ حَقًّا وَإِنْ كَانَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى وَالِدِيهِ، فَلَا يَمِيلُ لَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا﴾ يعني عن الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرًا﴾»^٤.
في خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «... وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا﴾ فقال: إن تلووا الأمره وتعرضوا عما أمرتم به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرًا﴾»^٥.

١. الميزان ٥/ ١٠٩.

٢. التبيان ٣/ ٣٥٦؛ مجمع البيان ٣/ ١٢٤.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٠.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٢٨، ح ٢٩.

٥. «إن تلووا الأمر»، أي تملوا من جانب إلى جانب. راجع: النهاية، ج ٤، ص ٢٧٨ (لوا).

٦. الكافي ٢/ ٣٨٦، ح ٤٥ (١/ ٤٢١).

خبر علي بن سويد السائي عن أبي الحسن عليه السلام قال: كتب أبي في رسالته إليّ وسألته عن الشهادة لهم: فأقم الشهادة لله ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا. ١.

الضيم: الظلم والانتقاص، ورواه الكليني في روضة الكافي ٢ أيضاً والشيخ في التهذيب ٣. صحيحة علي بن سويد قال: قلت لأبي الحسن الماضي عليه السلام «يُشهدني هؤلاء على إخواني؟ قال: نعم أقم الشهادة لهم وإن خفت على أخيك ضرراً». ٤. قال الصدوق عليه السلام: «هكذا وجدته في نسختي، ووجدت في غير نسختي «وإن خفت على أخيك ضرراً فلا» ومعناها قريب» ٥.

خبر داود بن الحصين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أقيموا الشهادة على الوالدين والولد ولا تقيموها على الأخ في الدين الضير قلت: وما الضير؟ قال: إذا تعدى فيه صاحب الحق الذي يدعيه قبله خلاف ما أمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومثل ذلك أن يكون لرجل على آخر دين وهو معسر، وقد أمر الله تعالى بإنظاره حتى ييسر، فقال: ﴿فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ ٦ ويسألك أن تقيم الشهادة وأنت تعرفه بالعسر، فلا يحل لك أن تقيم الشهادة في حال العسر. ٧.

١. الكافي ١٤/٥٦٦، ح ٣ (٧/٣٨١).

٢. الكافي ١٥/٣٠٣، ح ٩٥ (٨/١٢٥).

٣. التهذيب ٦/٢٧٦، ح ٧٥٧.

٤. الفقيه ٣/٧٢، ح ٣٣٦٠.

٥. المصدر.

٦. سورة البقرة / ٢٨٠.

٧. الفقيه ٣/٤٩، ح ٣٣٠٤.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ء
 ءَالِكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ
 ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَكَذَّبَ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾

«أمر المؤمنين بالإيمان ثانياً بقريظة التفصيل في متعلق الإيمان الثاني أعني قوله ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ﴾ (إلخ) وأيضاً بقريظة الإيعاد والتهديد على ترك الإيمان بكل واحد من هذا التفاصيل إنما هو أمر ببسط المؤمنين إجمال إيمانهم على تفاصيل هذه الحقائق فإنها معارف مرتبطة بعضها ببعض، مستلزمة بعضها لبعض، فالله سبحانه لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهي الموجبة يخلق خلقاً ويهديهم إلى ما يرشدهم ويسعدهم ثم يبعثهم ليوم الجزاء، ولا يتم ذلك إلا بإرسال رسل مبشرين ومنذرين، وإنزال كتب تحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وتبين لهم معارف المبدء والمعاد، واصول الشرائع والأحكام.

فالإيمان بواحد من حقائق هذه المعارف لا يتم إلا مع الإيمان بجميعها من غير استثناء، والرد لبعضها مع الأخذ ببعض آخر كفر لو أظهر، ونفاق لو كنتم وأخفى، ومن النفاق أن يتخذ المؤمن مسيراً ينتهي به إلى رد بعض ذلك، كأن يفارق مجتمع المؤمنين ويتقرب إلى مجتمع الكفار ويواليهم، ويصدقهم في بعض ما يرمون به الإيمان وأهله، أو يعترضوا أو يستهزؤون به الحق وخاصته، ولذلك عقب تعالى هذه الآية بالتعرض لحال المنافقين ووعيدهم بالعذاب الأليم»^١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين مجدداً.

﴿ءَامِنُونَ﴾ فعل أمر وفاعله. أي: «أقرؤا وصدقوا»^٢ أو التزموا بإيمانكم في العمل أو تداوموا عليه أو اثبتوا عليه أو آمنوا تفصيلاً وجملَةً أو آمنوا حقيقةً وباطناً.
 ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامِنُونَ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. الميزان ٥/ ١١١ و ١١٢.

٢. كما في تفسير القمي ١/ ٢٢٨.

٣٨٠..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

﴿رَسُولِهِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾، والمراد به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد رسول الله ﷺ .
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْكِتَابِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾، والمراد به المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ وهو القرآن العظيم بما فيه من العقائد الحقة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والأوامر الألهية الثابتة والنواهي الرادعة وغيرها من العلوم والمعارف التوحيدية الخالصة.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جر نعت لـ ﴿الْكِتَابِ﴾.
﴿نَزَلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.
﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿الْكِتَابِ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابِ﴾ السابق، والمراد به الكتب السماوية السابقة كالنوراة والإنجيل الأصليين.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جر نعت لـ ﴿الْكِتَابِ﴾.
﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر.
﴿مِنْ قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. أمر الله بتصديقها وأن أصلها من عند الله تعالى.
﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.
﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر، فعل الشرط، أي: كفراً اعتقادياً أو عملياً فمن «يكفر بشيء من أجزاء الإيمان» ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^٢.
﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَكْفُرُ﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة بمعنى ﴿أَوْ﴾، لأن الكفر بكل واحد مما يأتي يعدّ كفراً وضلالاً.

١. الضمير يرجع إلى الكتب السماوية السابقة.
٢. الميزان ٥/ ١١٢.

﴿مَلْتِكَيْهٖ﴾ معطوف على اسم الجلالة ﴿يَاللّٰهٖ﴾. ﴿الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ﴾ ١ و ﴿يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهٖمْ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ﴾ ٢. وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُوْمٌ﴾ ٣، وقال الله تعالى في شأنهم: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا اُولٰٓئِىْ اٰجْنِحَةٍ مِّثْنٰى وَتُلْتَمَسُ الْوُجُوْهُ لِلَّذِيْ يَخْتَلِفُ اِلَيْهِ اِنْ شَاءَ اِنَّ اِلٰهًا عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ ٤.

﴿وَكُتُبِهٖ﴾ معطوف على اسم الجلالة، وقد مرَّ أنّ المراد بها الكتب السماوية السابقة الاصلية دون المحرّفة الموجودة في أيدي أهلها.

﴿وَرُسُلِهٖ﴾ معطوف على اسم الجلالة، وهم الأنبياء الماضون على درب التوحيد الذين أخذ الله ميثاقهم بتصديق مَنْ مَضَى مِنْ رُسُلِهٖ وتبشير بَمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ. هم قبيلة وسلسلة واحدة.

﴿وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ معطوف على اسم الجلالة و ﴿الْاٰخِرِ﴾ نعت ﴿الْيَوْمِ﴾، وهو اليوم القيامة الكبرى، اليوم البعث والنشور والعرض على رحمة الله ومغفرته الواسعتان والدخول في جنته بفضله وكرمه وعفوه وجوده ورحمانيته وعظمته و... بغير حساب.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدَّ﴾ حرف تحقيق.

﴿صَلَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿مَنْ يَكْفُرُ﴾، في محل جزم لأنّه جواب الشرط. «معناه: فقد ذهب عن قصد السبيل وجاز عن محجة الطريق إلى المهالك» ٥.

﴿صَلَّلًا﴾ مفعول مطلق. ﴿بَعِيدًا﴾ نعته.

١. سورة الزخرف / ١٩.

٢. سورة الشورى / ٥.

٣. سورة الصافات / ١٦٤.

٤. سورة فاطر / ١.

٥. التبيان ٣ / ٣٥٨.

تنبيه

الآية الشريفة تدلّ على «أركان الإيمان الصحيح، هي:

الركن الأول: الإيمان بالله الواحد الأحد المستجمع لجميع صفات الكمال، المنزه عن النواقص التي هي صفات الجلال، وهذا الاعتقاد يستدعي نبذ الشرك والأنداد والاتّصاف بصفات الواحد المنان.

الركن الثاني: الإيمان بجنس الملائكة الذين هم رسل الله تعالى، لا يعصون الله ما أمروا به، وهم وسائط الوحي والفيض.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل، الحاوية لجميع المعارف الإلهية والتشريعات السماوية. والإيمان بالكتب يستدعي نبذ التعصّب واتباع الهوى.

الركن الرابع: الإيمان بجميع رسل الله تعالى الذين هم وسائط الفيض، أرسلهم ﷺ لهداية البشر وإرجاعهم إلى المبدأ وتذكيرهم منسي الفطرة.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر، والاعتقاد به يستدعي مراقبة النفس والعمل بما أمره الله تعالى، فإنّ ذلك اليوم يوم الجزاء على الأعمال ولا يفلت منه أحد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^١.

هذه هي أركان الإيمان المطلوب في الإنسان، وهي مجمع الخير والسعادة، وأمّا غير ذلك فهو الضلال والبعد عن منبع الخير والكمال، وهو يستدعي الشقاء والحرمان»^٢.

١. سورة الزلزلة / ٨-٧.

٢. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ

لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٧﴾

«بيّن تعالى حقيقة الردّة وأحوال أهلها، فإنّ الردّة هي الذبذبة في الإيمان وعدم الاستقرار فيه، والمرتدّ مَنْ يدّعي الإيمان ثمّ يكفر ثمّ يؤمن ثمّ يكفر ثمّ يزداد في الكفر والطغيان، فلم يستقرّ الإيمان في قلوب أهل الردّة، ولم يصدر منهم صدوراً جدياً، بل يتلاعبون به ويستهزئون أمر الله تعالى فيه»^١... «عدم استقرار أهل الردّة على الإيمان، وعدم الثبات فيه، والتذبذبت في الاعتقاد، ويتبعون الأهواء الباطلة، ويطلبون المنافع والمصالح، فطبع الغيّ والطغيان على قلوبهم، واستقرّ الاستكبار واللجاج في نفوسهم، فلم يهتدوا سبيلاً؛ لأنّ بصائرهم عميت عن الحقّ، وانقطع المدد الربوبي عنهم، وانطفأ نور الفطرة فيهم، فلا يرجى لهم الاهتداء وقد خسروا خساراً مبيناً»^٢.

ولكن هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها على سياق واحد فهذه الآية تكون في مقام التعليل للآية السابقة ولهما مصداق واحد أي «من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هو الذي آمن ثمّ كفر ثمّ آمن ثمّ كفر ثمّ ازداد كفراً، ويكون أيضاً هو من المنافقين الذين تعرّض تعالى لهم في قوله بعد ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إلى آخر الآيات»^٣.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، جاء للتأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ

لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

١. مواهب الرحمن ١٠/٣٦.

٢. مواهب الرحمن ١٠/٣٧.

٣. الميزان ٥/١١٤.

﴿كَفَرُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ وتعرب اعرابها.

﴿ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ عطفان ومعطوفان، ويختلف معناهما بحسب المراد من

الآية السابقة «من تفاسيره المختلفة:

فإن فسر بأن آمنوا بالله ورسوله في الباطن كما آمنتهم به في الظاهر كان معنى الإيمان ثم الكفر ثم الإيمان ثم الكفر ما يبتلى به المنافقون من اختلاف الحال دائماً إذا لقوا المؤمنين وإذا لقوا الكفار.

وإن فسر بأن اثبتوا على الإيمان الذي تلبستم به كان المراد من الإيمان ثم الكفر وهكذا هو الردة بعد الردة المعروفة.

وإن فسر بأن المراد دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالله ورسوله كان المراد بالإيمان ثم الكفر وهكذا الإيمان بموسى ثم الكفر به بعبادة العجل ثم الإيمان بعزير أو بعيسى ثم الكفر به ثم الازدياد فيه بالكفر بمحمد ﷺ وما جاء به من عنده، كما قيل.

وإن فسر بأن ابسطوا اجمال إيمانكم على تفاصيل الحقائق كما استظهرناه كان قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، تعليلاً منطبقاً على حال المنافقين المذكورين فيما بعد، المفسرين بقوله ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن من اتصل بالكفار منفصلاً عن مجتمع المؤمنين لا يخلو عن الحضور في محاضرتهم والاستيناس بهم، والشركة في محاوراتهم، والتصديق لبعض ما يتذكرونه من الكلام الذي لا يرتضيه الله سبحانه، وينسبونه إلى الدين وأوليائه من المطاعن والمساوي ويستتهزون ويسخرون به.

فهو كلما لقي المؤمنين واشترك معهم في شيء من شعائر الدين آمن به، وكلما لقي الكفار وأمضى بعض ما يتقولونه كفر، فلا يزال يؤمن زماناً ويكفر زماناً حتى إذا استحکم فيه هذه السجية كان ذلك منه ازدياداً في الكفر، والله أعلم^١.

﴿ثُمَّ أزدَادُوا﴾ عطف ومعطوف.

﴿كُفْرًا﴾ تمييز. وهذا «كمال البعد عن الحق وتماديهم في الغي، وإصرارهم على الطغيان، وأنسهم بالكفر وانهاكهم فيه، ومن آثاره كفرهم بمحمد ﷺ مع وضوح الحق فيه»^١.

﴿لَمْ﴾ حرف نفى وجزم وقلب. ﴿يَكُن﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم.
﴿اللَّهُ﴾ اسمه ﴿يَكُن﴾.

﴿لِ﴾ حرف جر للجحود وهي «اللام» التي تأتي بعد «ما كان» أو «لم يكن» لتوكيده ولا تدخل إلا على الفعل المضارع فينصب بأن مضمرة وجوباً بعدها^٢.
﴿يَغْفِرَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد «لام» الجحود وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.

﴿هُم﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾. لعنادهم ولجاجهم وجحودهم.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿لِيَهْدِي﴾ معطوف على ﴿لِيَغْفِرَ﴾ وتعرب إعرابها. ﴿هُم﴾ مفعول به أول.
﴿سَيِّئًا﴾ مفعول به ثانٍ. يصلونهم إلى الله وتقربه ومغفرته ودخول رحمته.

«ونفي المغفرة والهداية إنما ثبت لعدم وجود المقتضي لهما، وهو الإيمان الخالص المستقر في القلوب، وهذا وإن كان مطلقاً إلا أنه لا يأبى الاستثناء لو تحققت الاستتابة واتفق الإيمان الواقعي والاستقامة عليه»^٣.

شأن نزولها

«نزلت في الذين آمنوا برسول الله ﷺ إقراراً تصديقاً، ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الأمر إلى أهل بيته أبداً، فلما نزلت الولاية وأخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم لأmir المؤمنين علياً آمنوا إقراراً، لا تصديقاً، فلما مضى رسول الله ﷺ كفروا وازدادوا كفراً،

١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٣٧.

٢. موسوعة النحو والصرف والإعراب / ٥٦٣.

٣. مواهب الرحمن / ١٠ / ٣٨.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ١.

وإنما نزلت: (ألم تر إلى فلانٍ وفلانٍ لقيا علياً وعماراً فقالوا: إن أباسفيان وعبدالله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاحشواهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل) وهما اللذان قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآية، فهذا أول كفرهم. والكفر الثاني قول النبي عليه وآله السلام: «يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الشَّعْبِ رَجُلٌ، فَيَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ بِوَجْهِهِ، فَمِثْلُهُ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ عِيسَى». لم يبق منهم أحدٌ إلا تمنى أن يكون بعض أهله، فإذا بعليٌّ عليه السلام قد خرج، وطلع بوجهه، قال: هو هذا، فخرجوا غضاباً وقالوا: ما بقي إلا أن يجعله نبياً، والله الرجوع إلى ألفتنا خيرٌ مما نسمع منه في ابن عمه، وليصدنا عليٌّ إن دام هذا، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ٢ إلى آخر الآية، فهذا الكفر الثاني.

وزاد الكفر ٣ حين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ٤، فقال النبي ﷺ: «يا عليُّ، أصبحت وأمسيت خير البرية». فقال له الناس: هو خيرٌ من آدم ونوح، ومن إبراهيم، ومن الأنبياء! فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٥.

قالوا: فهو خير منك يا محمد؟ قال الله: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ٦ ولكنه خيرٌ منكم، وذريته خيرٌ من ذريتكم، ومن أتبعه خيرٌ ممن أتبعكم. فقاموا غضاباً وقالوا زيادة: الرجوع إلى الكفر أهون علينا مما يقول في ابن عمه، وذلك قول الله ﴿ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾ ٧.

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، في قول

١. سورة آل عمران / ١٧٣ و ١٧٤.

٢. سورة الزخرف / ٥٧.

٣. في نسخة: وزاد بالكفر، وفي بحار الأنوار ٣٠ / ٢١٧، ح ٨١: وزيادة الكفر.

٤. سورة البينة / ٧.

٥. سورة آل عمران / ٣٣ و ٣٤.

٦. سورة الأعراف / ١٥٨.

٧. تفسير العياشي ١ / ٤٤٨، ح ٢٨٩.

الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا﴾.

قال: نزلت في عبدالله بن أبي سرح^١، الذي بعثه عثمان إلى مصر، قال: وازدادوا كُفراً حين لم يبق فيه من الإيمان شيء^٢.
 عن أبي بصير، قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ من زَعَمَ أن الخمر حرام ثم شَرِبَهَا، ومن زَعَمَ أن الزنا حرام ثم زنى، ومن زَعَمَ أن الزكاة حق ولم يُؤدِّهَا^٣.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قد وصف الله تعالى المذكورين في الآية السابقة بـ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ لأنهم مذنبين ومتزلزين ومتلاعبين ومتقلبين بين الكفر والإيمان فلا يكونوا مؤمنين لأن «المؤمن هو الذي يثبت على إيمانه مهما تقلبت الظروف واختلفت الأحوال»^٤ لأنه كالجبل الراسخ لا يحركه العواصف.

﴿بَشِّرِ﴾ فعل أمر وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ. «أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن

١. هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، يكنى أبا يحيى، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي عليّ عزيز حكيم، فأقول: عليهم حكيم، فيقول: نعم كل صواب، فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله وقتل عبدالله بن خطل ومقيس بن صبابه، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففرّ عبدالله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ بعد ما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: نعم، فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلاً أو مات إليّ يا رسول الله، فقال: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين، وولاه عثمان على مصر سنة ٢٥هـ، والتحق بمعاوية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتوفي سنة ٣٧هـ. أسدالغاية ٣/ ١٧٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٥٠، ح ٢٩٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥١، ح ٢٩١.

٤. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٢.

يشير ﴿الْمُنْفِقِينَ﴾^١.

و «أصل البشارة الخبر السار الذي يظهر به السرور في بشرة الوجه، فإذا قال شخص لآخر: بشارة، أو أبشرك دون أن يذكر شيئاً فهم منه على سبيل الاجمال أن هناك شيئاً محبوباً، ولا يستعمل في المكروه إلا مع القرينة»^٢. فلم يستعمل الله سبحانه البشارة في العذاب بالاستعارة التهكمية وهي كمنقولة العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، لأن «أسلوب القرآن أبعد ما يكون عن التهكم والأقرب أن المراد بالبشارة مجرد الإخبار، وجاز استعمالها في المكروه لوجود القرينة»^٣.

﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ مفعول به. «تهديد للمنافقين، وقد وصفهم بموالات الكافرين دون المؤمنين، وهذا وصف اعمّ مصداقاً من المنافقين الذين لم يؤمن قلوبهم، وإنما يتظاهرون بالإيمان فإن طائفة من المؤمنين لا يزالون مبتلين بموالات الكفار، والانقطاع عن جماعة المؤمنين، والاتصال بهم باطناً واتخاذ الوليجة منهم حتى في زمن الرسول ﷺ.

وهذا يؤيد بعض التأييد أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين طائفة من المؤمنين [الذين] يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين، ويؤيده ظاهر قوله في الآية اللاحقة ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ فإن ذلك تقرير لتهديد المنافقين، والخطاب فيه للمؤمنين، ويؤيده أيضاً ما سيصف تعالى حالهم في نفاقهم بقوله ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٤ فأثبت لهم شيئاً من ذكر الله تعالى، وهو بعيد الانطباق على المنافقين الذين لم يؤمنوا بقلوبهم قط^٥.

﴿بِ﴾ حرف جر، ومجروره ﴿أَنَّ﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محل جر متعلق بـ ﴿بَشِّرْ﴾.

١. التبيان / ٣ / ٣٦١.

٢. التفسير الكاشف / ٢ / ٤٦١.

٣. التفسير الكاشف / ٢ / ٤٦٢.

٤. سورة النساء / ١٤٢.

٥. الميزان / ٥ / ١١٥.

﴿أَنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.
﴿هُمْ﴾ جار ومجرور في محل رفع متعلق بخبر ﴿أَنَّ﴾.
﴿عَذَابًا﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿أَلِيمًا﴾ نعت، أي مؤلماً موجعاً.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٦﴾

«تعليل لا تصافهم بصفة النفاق واستحقاقهم للعذاب الأليم، أي أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين المعاندين أولياء يحبونهم ويقتدون بهم، تاركين ولاية المؤمنين الذين أمر الله تعالى بموالاتهم والدخول في جماعتهم واتخاذ سبيلهم»^١.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب نعت آخر لـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ المذكورين في الآية السابقة. أو في محل نصب على الذم مفعولاً به بفعل محذوف تقديره: أذم ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿يَتَّخِذُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «الانتخاذ هو الأخذ مع الاعتماد والثقة والتعلم...»^٢.

﴿الْكَافِرِينَ﴾ مفعول به أول.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول به ثان. وقد مرّ ٣ معنى ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

والكافرون هم أولياء على سبيل الانتخاذ واختيار والانتخاب لا الواقع الحقيقي التكويني؛ لأنّ الولاية تنحصر في «ولاية الله» وشؤونه من ولاية رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

﴿مِنْ دُونِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

١. مواهب الرحمن ١٠/٣٩.

٢. كما مرّ في أجود البيان في تفسير القرآن ٣/٢٤٨.

٣. راجع أجود البيان في تفسير القرآن ٣/٢٤٨ و ٢٤٩.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه. ﴿أ﴾ استفهامية إنكارية تفيد التوبيخ والتقريع.
 ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال. أي يطلبون.
 ﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.
 ﴿هُمْ﴾ مضاف إليه. حرك بالضم لالتقاء الساكنين. والضمير يرجع إلى
 ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الْعِزَّةُ﴾ مفعول به والمراد بها هنا: «الشرف ورفعة القدر والمنفعة والغلبة التي
 يتعززون بها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَّابِ﴾^١ أي غلبني»^٢.
 «وأصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز ويقال: استعزز
 المريض إذا اشتد مرضه وتعزز اللحم: إذا اشتد ومنه قيل: عز علي أن يكون كذا، أي
 اشتد علي ومنه قولهم: «مَنْ عَزَّ بَزًّا» أي مَنْ غَلَبَ سَلَبًا. وقولهم: عز الشيء معناه
 صعب وجوده واشتد حصوله»^٣.

﴿فَ﴾ استئنافية واقعة في جواب استفهام أو شرط. ﴿إِنَّ﴾ مشبهة بالفعل، تأكيد.
 ﴿الْعِزَّةُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾.
 ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الْعِزَّةُ﴾. «لأن العزة من فروع الملك والمُلك لله وحده»^٤.
 العزة الأصلية لله تعالى وبتبعه قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
 الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٥. صدق الله العلي العظيم.

شأن نزولها

«نزلت في بني أمية، حيث خالفوا نبيهم على أن يردوا الأمر في بني هاشم، ثم
 قال: ﴿أَيَّبَتُّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يعني القوة»^٦.

١. سورة ص / ٢٣.

٢. مواهب الرحمن ١٠ / ٤٠.

٣. التبيان ٣ / ٣٦١.

٤. الميزان ٥ / ١١٥.

٥. سورة المنافقين / ٨.

٦. تفسير القمي ١ / ٢٢٩.

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ - إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

«أعلم الله تعالى في هذه الآية المؤمنين أن المنافقين يهزءون بكتاب الله الذي هو القرآن، وأمرهم أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا، يعني يأخذوا في حديث غير القرآن، ثم قال: إنكم إن جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به، فأنتم مثلهم، وإنما حكم بأنهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه، ولم ينكروا عليهم مع القدرة على الانكار، ولم يظهروا كراهية، فإنهم متى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفاراً، لأن الرضا بالكفر كفر. وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك، وزوال العذر عنه. وإن من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطئاً تماماً. وكذلك فيها دلالة على أنه لا يجوز مجالسة الفساق، والمبتدعين من أي نوع كان»^١.

﴿وَ﴾ استثنافية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿نَزَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، «قرأ عاصم ويعقوب ﴿وَقَدْ نَزَلَ﴾ بفتح النون والزاي وتشديده. الباقون بضم النون وكسر الزاي [نَزَلَ] والمُنزَل في الكتاب»^٢.

و ﴿أَنَّ﴾ مع اسمها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول ﴿نَزَلَ﴾، تقديره: ﴿نَزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ المنع من مجالستهم عند سماع الكفر منهم.
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف من فاعل ﴿نَزَلَ﴾. يريد ما نزله في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

١. التبيان ٣/٣٦٢.

٢. التبيان ٣/٣٦١.

حَدِيثٍ غَيْرِهِ - وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^١ لَأَنَّ
سورة الأنعام مكيّة وسورة النساء مدنية. «ويستفاد من اشارة الآية إلى آية الأنعام أنّ
بعض الخطابات القرآنية وجه إلى النبي ﷺ خاصة، والمراد بها ما يعم الأمة»^٢.

«أما سبب هذا التذكير فهو أنّ بعض المسلمين - كما جاء في التفاسير - كانوا
يجلسون في مجالس المشركين بمكة، وهم يخوضون في ذم محمد ﷺ، ويستهزئون
بالقرآن، والمسلمون ضعاف، لا يستطيعون الانكار عليهم... فنزلت آية الانعام تحذر
المسلمين من المشركين، وتأمّرهم أن يعرضوا عنهم وعن مجالسهم حين يسمعون
الكفر والاستهزاء بآيات الله.

وتمضي الأيام، ويهاجر المسلمون إلى المدينة، وفيها يهود ومنافقون أظهروا
الإسلام، وأضمروا الكفر، وأعاد بعض المسلمين السيرة الأولى، وجالسوا اليهود
والمنافيق بالمدينة، وهم يخوضون في ذم الإسلام ونبيه، فنزلت هذه الآية المدنية التي
نفسرها، لتذكّر المسلمين بآية الانعام السابقة، وتأمّرهم بمقاطعة الكافرين والمنافيق
المستهزئين بآيات الله»^٣.

﴿أَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن محذوف وتقديره: «أنّه» والشأن ما
أفادته الجملة بشرطها وجزائها، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محلّ رفع خبر ﴿أَنَّ﴾.
﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق
بجوابه.

﴿سَمِعْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله في محلّ جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف.
﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ مفعول به ﴿سَمِعْتُمْ﴾، ومضاف إليه وقد فُسر ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾
بالأئمة عليهم السلام^٤. وبالقطع هم عليهم السلام من أكابر ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ تعالى.
﴿يُكْفَرُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، في محلّ نصب حال من ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾.

١. سورة الأنعام / ٦٨.

٢. الميزان / ٥ / ١١٦.

٣. التفسير الكاشف / ٢ / ٤٦٥.

٤. كما في تفسير القمي / ١ / ٢٢٩.

﴿هَا﴾ جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل ﴿يُكْفَرُ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿يُسْتَهْزَأُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿هَا﴾ كسابقتها.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الفعلية بعدها جواب شرط غير جازم.
 ﴿لَا﴾ ناهية جازمة. ﴿تَقْعُدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله.
 ﴿مَعَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿تَقْعُدُوا﴾ يدل على الاجتماع والمصاحبة.
 ﴿هُمَّ﴾ مضاف إليه. والضمير عائد على محذوف وتقديره ﴿فَلَا تَقْعُدُوا﴾ مع الكافرين والمستهزئين.

﴿حَتَّى﴾ للغاية وحرف جرّ.

﴿تَحْوِضُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾. وفاعله.
 والمصدر المؤوّل من ﴿أَنْ﴾ و ﴿تَحْوِضُوا﴾ في محل جر بحرف جر ﴿حَتَّى﴾. تقديره: ﴿لَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى﴾ الخوض ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.
 ﴿فِي حَدِيثٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَحْوِضُوا﴾.
 ﴿غَيْرِهِ﴾ نعت لـ﴿حَدِيثٍ﴾ أو بدل منه، ومضاف إليه والضمير يرجع إلى الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

الآية «عامّة الدلالة على وجوب الاعراض عن كلّ مَنْ يخوض بالباطل»^١. و
 «المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية ما سمعه أو يراه»^٢.
 ﴿إِنْكُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمه. تعليل وتأکید للنهي
 الوارد في ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ ولما يأتي من الجمع في جهنم.
 ﴿إِذَا﴾ حرف جواب لا عمل له، وملغاة لتوسطها بين الاسم والخبر.
 ﴿مِثْلُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى الكفار والمستهزئين. لأنّ
 «الراضي بالكفر كافر وبالإثم آثمّ مهما كان نوعه باتفاق الفقهاء والعلماء»^٣.
 ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهِ﴾ اسمه. ﴿جَامِعٌ﴾ خبره.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٥.

٢. التبيان ٣/ ٣٦٢.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٥.

﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ مضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.
 ﴿الْكَافِرِينَ﴾ معطوفة. ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَامِعٌ﴾.
 ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾. أي «إن الله يجمع الفريقين من أهل الكفر، والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين، والمؤازرة عليهم»^١.
 لنا «أن نؤلف قياساً منطقياً، يتألف من مقدمتين ينتجان قضية حتمية بديهية، ونقول هكذا: كل من رضي بالكفر فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّهُمْ﴾، وكل كافر فهو في جهنم، لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾ إذن، كل من رضي بالكفر فهو كافر»^٢ يدخل في جهنم.

الروايات

صحيحة شعيب العقرقوفي قال، سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ إلى آخر الآية. فقال: إنَّما عنى بهذا: [إذا سمعتم] الرَّجُلَ [الَّذِي] يَجِدُ الْحَقَّ وَيَكْذِبُ بِهِ وَيَقَعُ فِي الْأَثْمَةِ فَمَنْ مِنْ عِنْدِهِ وَلَا تَقَاعُدَهُ، كائناً من كان.^٣
 رواها العياشي في تفسيره.^٤

صحيحة عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند النَّاسِ كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المرء على دين خليله وقرينه.^٥

خبر أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: وفرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله وأن يعرض عمّا لا يحلُّ له ممّا نهى الله تعالى عنه

١. التبيان ٣/٣٦٢.

٢. التفسير الكاشف ٢/٤٦٥.

٣. الكافي ٤/١٢٧، ح ٨ (٢/٣٧٧).

٤. تفسير العياشي ١/٤٥١، ح ٢٩٤.

٥. الكافي ٤/١٢٢، ح ٣ (٢/٣٧٥).

والاصغاء إلى ما أسخط الله ﷻ فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ثم استثنى الله ﷻ موضع النسيان فقال: ﴿وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^١ وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^٢ وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^٣ وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾^٤ وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^٥ فهذا ما فرض الله على السمع من الإيذان أن لا يصغي إلى ما لا يحلُّ له وهو عمله وهو من الإيذان وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه، ممَّا لا يحلُّ له وهو عمله وهو من الإيذان، الحديث ٦.

رواها العياشي في تفسيره^٧ والصدوق في الفقيه^٨.

خبر محمد بن عاصم، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: يا محمد بن عاصم، بلغني أنك تجالس الواقعة؟ قلت: نعم، جعلت فداك أجالسهم وأنا مخالف لهم.
قال: لا تجالسهم فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ^٩ يعني بالآيات: الأوصياء الذين كفروا بها الواقعة.
عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَلَ

١. سورة الأنعام / ٦٨.

٢. سورة الزمر / ١٧ و ١٨.

٣. سورة المؤمنون / ٤-١.

٤. سورة القصص / ٥٥.

٥. سورة الفرقان / ٧٢.

٦. الكافي ٣/ ٩٤، ح ١ (٣٥/٢).

٧. تفسير العياشي ١/ ٤٥١، ح ٢٩٥.

٨. الفقيه ٢/ ٦٢٦، ح ٣٢١٥.

٩. رجال الكشي / ٤٥٧، ح ٨٦٤.

عَلَيْكُمْ فِي الْكِنْتَبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾، قال: إذا سَمِعْتَ الرجلَ يَجْحَدُ الحَقَّ وَيَكْذِبُ بِهِ وَيَقَعُ فِي أَهْلِهِ، فُقِمَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَا تُقَاعِدْهُ. ١.
رواه الطبرسي في مجمع البيان ٢.
والروايات الواردة حول المجالسة كثيرة جداً ذكرت بعضها في موسوعي ٣ فراجعها.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ لِقَاءٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٤١﴾

«أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين أي ينتظرون بهم فإن فتح الله على المؤمنين فتحاً من عدوهم، فأفاء عليهم فيئاً من الغنائم، قالوا لهم ألم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم، فاعطونا نصيبنا من الغنيمة، فإننا شهدنا القتال، وإن كان للكافرين نصيب أي حظاً باصابتهم من المؤمنين، وليس المراد بذلك أن لهم نصيباً من الله، لأنه تعالى لم يجعل لهم غلبة المسلمين، ولا أباح لهم شيئاً من أموالهم، بل حظر ذلك عليهم» ٤.

وبعبارة أخرى: «هذا وصف آخر لهؤلاء المنافقين فإنهم إننا حفظوا رابطة الاتصال بالفريقين جميعاً: المؤمنين والكافرين، يستدرّون الطائفتين ويستفيدون ممن حسن حاله منهما، فإن كان للمؤمنين فتح قالوا: أنا كنا معكم فليكن لنا سهم مما أُوتيتموه من غنيمة ونحوها، وإن كان للكافرين نصيب قالوا: ألم نغلبكم ونمنعكم من المؤمنين؟ أي من الإيذان بما آمنوا به والاتصال بهم فلنا سهم مما أُوتيتموه من

١. تفسير العياشي ١/٤٥١، ح ٢٩٣.

٢. مجمع البيان ٣/١٢٧.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت ١٠/١٣٨.

٤. التبيان ٣/٣٦٣.

النصيب أو منة عليكم حيث جررنا إليكم النصيب»^١.

وبعبارة ثالثة: «ترسم هذه الآية صورة لحال المنافقين إذا وقعت الحرب بين المسلمين والمشركين، وتتلخص هذه الصورة بأنَّ المنافقين كانوا يخرجون مع المسلمين في حروبهم للذس والتشيط وتفتيت الصفوف، وفي الوقت نفسه يتظاهرون بأنهم خرجوا لنصرة المسلمين، ويتظنون: فإن كان الظفر للمسلمين قالوا لهم: كنا معكم، فنحن وأنتم شركاء في الغنيمة، وإن كان للمشركين قالوا لهم: نحن الطابور الخامس، فأين الأجر؟ وهكذا يمسكون العصا من وسطها....»

وهؤلاء موجودون في كلِّ عصرٍ، وتضاعف عددهم في البلاد العربية يوماً بعد يوم منذ أن ظهر فيها الذهب الأسود، واتخذوا الوطنية شعاراً لهم، تماماً كما تظاهر المنافقون بالإسلام في عهد الرسول ﷺ... فإن تغلب الأحرار المناضلون على المحتكرين والمستغلين قال لهم منافقو العصر: ألم نكن معكم؟ وإن نجا المستغلون بفريستهم قالوا لهم: ألم نمنع عنكم الأحرار؟»^٢.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلِّ جر صفة للمنافقين والكافرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾^٣، أو في محل نصب بدلاً من الاسم الموصول في: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾^٤.

﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. التريص: الانتظار. ولم يذكر متعلقه ليشمل كل أمرٍ، فهم ينتظرون وقوع أمرٍ ما بالمؤمنين من الشر أو الخير. ﴿بِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين المجاهدين.

﴿فَ﴾ استئنافية أو تفرعية لبيان التفصيل بعد الاجمال.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

١. الميزان ٥/ ١١٦.

٢. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٦.

٣. سورة النساء / ١٤٠.

٤. سورة النساء / ١٣٩.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم لأنه فعل الشرط.
 ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿كَانَ﴾.
 ﴿فَتَحَّ﴾ اسم مؤخر ﴿كَانَ﴾. أو ظرف أو غلبة على أعدائكم، والفتح موعود للمؤمنين.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿فَتَحَّ﴾.
 ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله في محل جزم لأنه جواب الشرط. والضمير الفاعلي يرجع إلى المنافقين حيث ﴿قَالُوا﴾ للمؤمنين. والجملة الفعلية بعدها في محل نصب مفعول به - مقول القول - .

﴿أَ﴾ حرف استفهام. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
 ﴿نَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم واسمها ضمير مستتر فيه «نحن».
 ﴿مَعَ﴾ ظرف يدل على المصاحبة والاجتماع متعلق بخبر ﴿نَكُنْ﴾.
 ﴿كُمُ﴾ مضاف إليه. الضمير يرجع إلى المؤمنين الذين أصابهم ﴿فَتَحَّ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ﴾ معطوفة على ﴿إِنْ كَانَ لَكُمْ فَتَحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ﴾ وتعرب مثلها. التعبير بالنصيب وعدم انتسابه إلى الله تحقير منه تعالى له.
 ﴿نَسْتَحِذُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر: «نحن».
 الاستحواذ: الغلبة والتسلط، ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ أي: ﴿أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ﴾ أي: ﴿أَلَمْ نَكُنْ﴾ سبباً في غلبتكم على المؤمنين.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَمَنَعُكُمْ﴾ معطوفة على ﴿نَسْتَحِذُ﴾.
 ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَمَنَعُكُمْ﴾. يعني يقول المنافقون للكافرين: «منعنا المؤمنين منكم بتخذيلنا إياهم، وإطلاعنا إياكم على أخبارهم، وكوننا عيوناً لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم»^١.
 ﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿تَحَكَّمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. خبر.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿تَحَكَّمُ﴾.

﴿كُمُ﴾ مضاف إليه. والضمير يرجع إلى المؤمنين تغليباً عليهم بالنسبة على المنافقين والكافرين وبجهة عدم مخاطبتها أي الكافرين والمنافقين تنبيهاً على دناءة منزلتهم عند الله تعالى.

﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿تَحَكَّمُ﴾. ﴿الْقِيَمَةِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَنْ﴾ حرف نفي واستقبال ونصب.

﴿تَجْعَلُ﴾ فعل مضارع منصوب. ﴿اللَّهُ﴾ فاعل.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَجْعَلُ﴾.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿سَبِيلًا﴾ لأنه صفة مقدمة عليه.

﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به. أي بالغلبة والقهر كما عن علي عليه السلام ١. أو بالحجة والدلالة.

«ويمكن أن يكون نفي السبيل أعم من النشأتين: الدنيا والآخرة، فإن المؤمنين

غالبون بإذن الله دائماً ما داموا ملتزمين بلوازم إيمانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٢٣.

تنبيه: قاعدة نفي السبيل

من الأمور التي تُستفاد من الآية الشريفة قاعدة تُسمى عند الفقهاء بقاعدة نفي

السبيل والمراد بها نفي السبيل للكافر على المسلم ولها فروع كثيرة وتعدّ من مبطلات

العقود وإن لم تنحصر فيها - أي في المبطلات - ومن جملة فروعها: «عدم ثبوت الولاية

للكافر، حيث ترجع الولاية على المسلم والتحكم عليه، فلا عبرة بإذنه في أحكام

الأموات، لأنه لا ولاية له، ولا أولوية له في الميراث.

وعدم ثبوت حقّ له في ذمّة المسلم من جانب الله تعالى - من زكاة أو خمس أو

كفارة أو نحو ذلك؛ وهذا سرّ اشتراط الإسلام في المستحقين.

١. كما في التبيان ٣/ ٣٦٤.

٢. سورة آل عمران / ١٣٩.

٣. الميزان ٥/ ١١٦.

وعدم اشتراط صحّة نذر الولد ونحوه من العهد واليمين على إذن الوالد الكافر في وجهه؛ وكذا كلّ من يشترط إذنه في عبادة - كالزوج ونحوه - وفي الماليّات مسألة أخرى.

وعدم لزوم إطاعة الكافر في مقامات لو كان مسلماً لوجب.

وعدم نفوذ قضاء الكافر وإن جمع سائر الشرائط.

وعدم جواز تولّيه للوقف المتعلّق بالمسلمين.

وعدم جواز تملكه للمسلم بشرائه أو صلح وهبة وإصدق، أو نحو ذلك من

دفع عوض دين أو ضمان.

وبعبارة أخرى: كلّ سبب اختياريّ ناقل للملك إلى الكافر، فإنّه غير صحيح.

كما أنّه لو ملك بسبب قهريّ - كالإرث لو قلنا به - أو كان المملوك كافراً عند كافر فأسلم المملوك يُباع على مالكة قهراً ولا يقترّ يده عليه.

وعدم جواز إعارة المسلم للكافر ورهنه عنده ولا إيداعه في وجه مبنيّ على أنّ

الاستنابة في الحفظ السبيل.

وعدم ولايته كافراً على صغير أو مجنون أو سفية في نكاح أو مال.

وعدم جواز إجارة العبد المسلم له.

وعدم جواز وكالته كافراً على مسلم لكافر أو مسلم.

وعدم جواز وكالته في بيع عبد مسلم مرهون أو غيره.

وعدم ثبوت شفعة له إذا كان المشتري مسلماً وإن كان البائع كافراً.

وعدم جواز وصايته على مال مسلم أو مولى عليه محكوم بإسلامه ولو

بالاشتراك.

وعدم جواز نكاحه للمسلمة ابتداءً وكذا استدامةً، فإنّ بإسلامها زوجة يبطل

النكاح لو لم يسلم الزوج في العده.

وعدم العبرة بالتقاطه إذا كان اللقيط محكوماً بإسلامه بأحد الطرق المذكورة في

محلّها.

وفي عدّد عدم استحقاقه الإرث مع الوارث المسلم وعدم جواز القصاص من

المسلم بالكافر من هذا الباب إشكال.

وغير ذلك من المواضع التي لم نذكرها يتبّه عليها المتدرب بمعونة ما ذكرناه^١.

أدلة قاعدة نفي السبيل

يمكن استفادة حكم هذه القاعدة من الأمور التالية:

«أحدها: الإجماع المحصل القطعي الحاصل من تتبّع كلمات الأصحاب في المقامات التي ذكرناها في الباب، فاتهم متسلمون على عدم وجود السبيل للكافر على المسلم ويرسلونه إرسال المسلمات من دون نكير، وهذا كاشف عن رضا الشرع بذلك وحكمه به.

وثانيها: الإجماعات المنقولة حدّ الاستفاضة، بل التواتر من الأصحاب - كما لا يخفى على المتتبّع - المؤيّدة بالشهرة العظيمة البالغة حدّ الضرورة.

وثالثها: الاعتبار العقلي، فإن شرف الإسلام قاضي بأن لا يكون صاحبه مقهوراً تحت يد الكافر ما لم ينشأ السبب من نفسه، فإنه حينئذٍ أسقط احترام نفسه. وهذا وإن لم يكن في حدّ ذاته دليلاً، لكنّه مؤيد قويّ مستند إلى فحوى ما ورد في الشرع.

ورابعها: ما دلّ من الأدلة الخاصّة في بعض الموارد، كباب النكاح، فإنّ النصوص قضت بعدم جواز تزويج المؤمنة للكافر.

وغير ذلك ممّا دلّ على اشتراط الإسلام في الوليّ على المسلم، فإنّ المستفاد منها: أنّ العلة في ذلك كلّها عدم رضا الشارع بتسلّط الكافر على المسلم فيتسرّى إلى سائر المقامات بتنقيح المناط، أو بالعلة المنصوصة المستفادة من كلام الشرع وإن كان من حيثيّة تعليق الحكم على الوصف. وأظنّ ورود التعليل صريحاً في روايات النكاح، فينبغي الرجوع إليها.

وخامسها: الخبر المشهور في السنة الفقهاء المتلقّى بحيث يغني عن ملاحظة سنده، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» فإنبه من الكلمات الجارية مجرى القاعدة، كـ«لا ضرر ولا ضرار» ونحوه، فلا وجه للبحث في سنده، وإنّما

الكلام في الدلالة.

فإن قلنا: إن دلالة على نفي السبيل مما يكشف عنها فهم الفقهاء - لأنهم يستدلون به في هذه المقامات من دون نكير، وهو من أعظم القرائن على معرفة المراد - فلا بحث، إذ مقتضاه كون المراد من الخبر: عدم تسلط الكافر على المسلم»^١.

شأن نزولها

قال القمي: «نزلت في عبدالله بن أبي وأصحابه الذين قعدوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فكان إذا ظفر رسول الله ﷺ بالكفار، قالوا له: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ وإذا ظفر الكفار، قالوا: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أن نعينكم ولن نعن عليكم! قال الله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْفَيْمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^٣.

رواية

خبر أبي الصلت الهروي في حديث: قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله وفيهم؟ قوماً يزعمون إن الحسين بن علي عليه السلام لم يقتل وأنه القى شبهه على حنظلة بن أسعد الشامي وأنه رُفِعَ إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام ويحتجون بهذه الآية ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبي الله ﷺ في أخباره بأن الحسين بن علي عليه السلام سيقتل والله لقد قتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسن بن علي عليه السلام، وما منا إلا مقتول وأني والله لمقتول بالسّم باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إلي من رسول الله ﷺ أخبره به جبرئيل عن رب العالمين ﷻ، وأما قول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فإن يقول: لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة، ولقد أخبر الله ﷻ عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق ومع قتلهم إياهم لن

١. العناوين ٢/ ٣٥٢.

٢. الآراء الفقهية ٧/ (٤٠٣-٤٠٠) للمؤلف.

٣. تفسير القمي ١/ ٢٢٩.

٤. والضمير يرجع إلى قوم من سواد الكوفة.

يجعل الله لهم على أنبيائه ﷺ سبيلاً من طريق الحجة. ١

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٢﴾

يبين الله تعالى صفات متعددة من صفات المنافقين في هذه الآية الشريفة.
﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد، وما بعدها صفة من صفاتهم.
﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ اسمه.

﴿يُخَدِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «المخادعة: هي شدة الخديعة والإكثار منها، وهي تمويه الحقيقة وإبهامها، وإظهار خلاف ما يخفيه...»

ومخادعة الله هي مخادعة الرسول والمؤمنين تعظيماً لشأنهم، تنبيهاً على فطاعة فعل المنافقين وشناعته لكونه مبعوضاً عنده جل شأنه، وأن المعاملة مع الرسول معاملة مع الله تعالى، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ٢.
ومخادعة الله تعالى إنما تتحقق بالاستهزاء بدينه، والغش في تعاليمه المقدسة، فإنهم يظهرون الإيمان بذلك، ويبطنون الإعراض عنها ومخالفتها وتكذيبها، ويتقربون إلى الرسول والمؤمنين كيداً بهم» ٣.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، جملة ﴿يُخَدِعُونَ اللَّهَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.
﴿وَ﴾ حالية أو استئنافية، وعلى الثاني «لا محل لها من الاعراب، كأن سائلاً يسأل: ما هو جزاء المخادعين؟ فأجيب بأن وبال خداعهم يرجع عليهم» ٤.
﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿خَدِعُهُمْ﴾ خبر ومضاف إليه. «ومعنى الخداع من الله يحتمل أمرين:

١. عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/ ٢٠٣، ح ٥.

٢. سورة الفتح / ١٠.

٣. مواهب الرحمن ١٠/ ٤٨.

٤. التفسير الكاشف ٢/ ٤٦٧.

أحدهما: أن يجازيهم على خداعهم فسمّى الجزاء باسم الشيء، للازدواج، كما قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^١ والجزاء ليس بسيئة. وقال: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرٌ لِلَّهِ﴾^٢ والله لا يمكر، غير أنه يجازي عليه.

والثاني: ما حكم الله فيهم من منع دمائهم بما أظهروه من الإيثار بلسانهم مع علمه بباطنهم، واعتقادهم الكفر استدراجاً منه لهم في الدنيا حتى يلقوه يوم القيامة، فيوردهم بما ابطنوا نار جهنم^٣.

بل يحتمل أمراً آخر وهو «يخادعون الله في حال هو يخدعهم ويؤول المعنى إلى أن هؤلاء يريدون بأعمالهم الصادرة عن النفاق من إظهار الإيثار، والاقتراب من المؤمنين، والحضور في محاضرهم ومشاهدتهم أن يخادعوا الله أي النبي ﷺ والمؤمنين فيستدروا منهم بظاهر إيمانهم وأعمالهم من غير حقيقة، ولا يدرون أن هذا الذي خلى بينهم وبين هذه الأعمال ولم يمنعهم منها هو الله سبحانه، وهو خدعة منه لهم ومجازاة لهم بسوء نيّاتهم وخبائث أعمالهم، فخدعتهم له بعينها خدعته لهم»^٤.

وقد ورد: «الخدعة من الله العذاب»^٥.

﴿وَ﴾ استثنائية، وما بعدها صفة أخرى من صفات المنافقين.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان للمستقبل متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق

بجوابه.

﴿قَامُوا﴾ فعل ماض وفاعله. في محلّ جرّ بالإضافة لوقوعها بعد الظرف.

﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قَامُوا﴾.

﴿قَامُوا﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط، لا محلّ لها من الإعراب.

﴿كُسَالَى﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿قَامُوا﴾. ﴿كُسَالَى﴾ جمع كسلان وهو

١. سورة الشورى / ٤٠.

٢. سورة آل عمران / ٥٤.

٣. التبيان / ٣ / ٣٦٥.

٤. الميزان / ٥ / ١١٧.

٥. تفسير القمي / ١ / ٢٣٠.

المتباطى المتناقل.

«يعني إن المنافقين لا يعملون شيئاً من أعمال العبادات التي أوجبها على المؤمنين على وجه القربة إلى الله، لأنهم غير موقنين بها، ولا أن لهم عليها ثواباً أو عقاباً وإنما يفعلون ذلك إبقاءً على أنفسهم، وحرماً من المؤمنين أن يقتلوهم، ويسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة، قاموا كسالي إليها رياء للمؤمنين، ليحسبواهم المؤمنون منهم، وليسوا منهم، لأنهم لا يعتقدون فرضها»^١.

وبعارة أخرى: «الصلاة أفضل عبادة يذكر فيها الله، ولو كانت قلوبهم متعلقة برهبهم مؤمنة به لم يأخذهم الكسل والتواني في التوجه إليه وذكره، ولم يعملوا عملهم لمراعاة الناس، ولذكروا الله تعالى كثيراً على ما هو شأن تعلق القلب واشتغال البال»^٢.

﴿يُرَاءُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال ثانية من الضمير الفاعلي في ﴿قَامُوا﴾ وهذه صفتهم الثالثة. «والمراعاة مشاركة في الرؤية، أي يكون المرء في مشهد من الناس، بحيث يراه الناس وهو يراهم قصداً منه رؤية الناس لأعماله فيحسبونه من المؤمنين»^٣.

﴿النَّاسَ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها صفة رابعة لهم. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَذْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف وتقديره: ﴿إِلَّا﴾ ذكراً ﴿قَلِيلًا﴾. لأنهم لا يقصدون به الله والتقرب إليه، بل ﴿لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا﴾ «حين يراهم الناس، أما إذا انفردوا فلا يذكرونه إطلاقاً»^٤. أو لعدم مراعاتهم تقوى الله وكل عمل بلا تقوى يكون قليلاً مهملها عظم لعدم مقبوليته لله تعالى لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^٥.

الروايات

خبر أبي المغراء الخصاف، رفعه، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله تعالى في

١. التبيان ٣/٣٦٥.

٢. الميزان ٥/١١٧.

٣. مواهب الرحمن ١٠/٤٩.

٤. التفسير الكاشف ٢/٤٦٨.

٥. سورة المائدة/٢٧.

السِّرُّ فقد ذكر الله كثيراً، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَلَانِيَةً وَلَا يَذْكُرُونَهُ فِي السِّرِّ، فقال الله ﷻ: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١.

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تَقُمُ إلى الصلاة مُتَكَاسِلًا، ولا مُتَنَاعِسًا ولا مُتَتَافِلًا، فَاتِّهَا مِنْ خِلَالِ النَّفَاقِ، قال للمنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢.

عن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: أن رسول الله ﷺ سئل فيما النجاة غداً؟ فقال ﷺ: النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيوان، ونفسه يخدع لو يشعر.

فقيل: فكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمره الله، ثم يريد به غيره، فاتَّقوا الرياء فإنه شريك بالله، إن المرثي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حَبِطَ عَمَلُكَ، وَبَطَلَ أَجْرُكَ، وَلَا خَلَقَ لَكَ الْيَوْمَ، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له ٣.

حسنة الحسن بن علي بن فضال قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿كَأَلَّا إِهْمَمَ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾ ٤ فقال: إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محجوبون، قال: وسألته عن قول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٥ فقال: إن الله تعالى لا يوصف بالمجيب والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنما يعني بذلك ﴿وَجَاءَ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٦، قال: وسألته عن قول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ٧ قال: يقول: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بالملائكة ﴿فِي ظُلَلٍ

١. الكافي ٤/ ٣٧١، ح ٢ (٥٠١/٢).

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٥٢، ح ٢٩٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٣، ح ٢٩٨.

٤. سورة المطففين / ١٥.

٥. سورة الفجر / ٢٢.

٦. سورة الفجر / ٢٢.

٧. سورة البقرة / ٢١٠.

٤٠٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

مَنْ الْغَمَامِ ﴿١﴾ وهكذا نزلت، قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^١ وعن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^٢ وعن قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^٣ وعن قوله: ﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾: فقال: إنَّ الله تعالى لا يسخر ولا يستهزىء ولا يمكر ولا يخادع، ولكنَّه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.٤

صحيحة عبدالله بن سنان قال: كنَّا جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذ قال [له] رجلٌ من الجلوساء: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتُخَافُ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ مُنَافِقًا؟ فقال له: إذا خلوت في بيتك نهاراً أو ليلاً أليس تصلي؟ فقال: بلى. فقال: فلمن تصلي؟ فقال: لله تعالى. قال: فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله تعالى لا لغيره؟^٥

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُّولَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُّولَاءٍ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ

سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

صفة أخرى من صفات المنافقين وهي حالتهم النَّفْسِيَّةُ المترددة بين الإيمان والكفر «فلم يستقرُّوا على أحدهما، فلا هم مؤمنون حقيقة ولا كافرون محضاً، وإنما كانوا كذلك لترددهم بين مجتمع المؤمنين والصلاة معهم رياءً، وبين موالاة الكافرين ومجالستهم»^٦.

﴿مُذَبِّبِينَ﴾ حال من المنافقين، أصل التذبذب: التحرك والاضطراب، والمذبذب: مَنْ يتردّد بين جانبيين ويتكرر منه ذلك. والقهر الإلهي جعلهم ﴿مُذَبِّبِينَ﴾

١. سورة التوبة / ٧٩.

٢. سورة البقرة / ١٥.

٣. سورة آل عمران / ٥٤.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٢٥، ح ١٩.

٥. معاني الأخبار / ١٤٢، ح ١.

٦. مواهب الرحمن / ١٠ / ٥١.

بحيث لا ينتهي تحركهم إلى غاية ثابتة مطمئنة. وهم ﴿مُذَبِّبِينَ﴾ بين الإيمان والكفر وأهلها.

وقال الوزير المغربي: «مذبذبين: مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء، من الذب الذي هو الطرد. وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بالخير في دينهم، وأثم لا يرجعون إلى صحة فيه، لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع الكفار على جهالة»^١.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلِّق بـ ﴿مُذَبِّبِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ مضاف إليه. جمع به بيان الإيمان والكفر. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بفعل محذوف تقديره: يتسبون.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ معطوفة على مثلها في القبل. بل هم يذهبون «إلى منافعهم ومطامعهم... يقبلون كل يد تقبض على منفعتهم، أو على شيء منها، قدرة كانت اليد، أو طاهرة»^٢.

﴿وَ﴾ استثنائية والجملة بعدها في مقام التعليل لما قبله من التذذب.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ﴿يُضَلِّلِ﴾.

﴿يُضَلِّلِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَجِدَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لَنْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «أنت».

﴿لَهُرَّ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ ﴿تَجِدَ﴾ أو بـ ﴿سَيِّلاً﴾.

﴿سَيِّلاً﴾ مفعول به. لأن الله أضلَّهم بنفاقهم الاختياري، واضلال الله لا تنافي

الاختيار كما قرَّر في محله فهم محرومون عن الهداية بسوء اختيارهم لا بالإضلال

١. نقل عنه الشيخ في التبيان ٣/ ٣٦٦. واسم الوزير المغربي: الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم المغربي (٣٧٠-٤١٨) وكان عالماً أديباً وله السياسة واختيار شعر أبي تمام واختيار شعر البحري واختيار شعر المتنبي والطعن عليه ومختصر اصلاح المنطق في اللغة وأدب الخواص والمأثور في ملح الخدور والإيناس وديوان شعر ونثر، وهو ابن أخت النُعَافِيّ صاحب كتاب «الغبية» راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ١٥٥؛ والأعلام ٢/ ٢٤٥؛ وغيره من المصادر.

٢. التفسير الكاشف ٢/ ٤٧٠.

التكويني الجبري كما هو واضح.

رواية

حسنه محمد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسألة فكتب إلي: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين، يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله. ١.
رواها الحسين بن سعيد الأهوازي في كتاب الزهد^٢ والعياشي في تفسيره^٣.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ
تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَنَا مُبِينًا﴾

هذه الآية الشريفة: كالنتيجة المستنتجة مما تقدم أو الفرع المتفرع عليه، وهذا كالصريح في أن الآيات السابقة إنما تتعرض لحال مرضى القلوب وضعفاء الإيمان من المؤمنين ويسميهم المنافقين ولا أقل من شمولها لهم، ثم يعظ المؤمنين أن لا يقربوا هذا الحمى ولا يتعرضوا لسخط الله، ولا يجعلوا الله تعالى على أنفسهم حجة واضحة فيضلهم ويخدعهم ويذبذبهم في الحياة الدنيا، ثم يجمع بينهم وبين الكافرين في جهنم جميعاً، ثم يسكنهم في أسفل درك من النار، ويقطع بينهم وبين كل نصير ينصرهم، وشفيع يشفع لهم^٤.

ويظهر منها: «إِنَّ الإِضْلَالَ وَالْخُدْعَةَ وَكُلَّ سَخَطِ الْهَيِّ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِنَّمَا عَنْ حِجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَعْطِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، فَهِيَ إِخْزَاءٌ عَلَى طَرِيقِ الْمَقَابَلَةِ وَالْمَجَازَاةِ، وَحَاشَا

١. الكافي ٤/١٦٠، ح ٢ (٣٩٥/٢).

٢. كتاب الزهد/٦٦، ح ١٧٦.

٣. تفسير العياشي ١/٤٥٣، ح ٢٩٧.

٤. الميزان ٥/١١٨.

الجناب الإلهي أن يبدهم بالشرِّ والشقوة من غير تقدّم ما يوجب ذلك من قبلهم، فقلوه ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾؟ يجري مجرى قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢٦١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين الذين كانوا ضعفاء الإيمان كما مرّ. ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ فعل نهي وفاعله. وقد مرّ أنّ ولاية غير الله واوليائه تكون ولاية اتخاذياً لا حقيقياً ونهى الله المؤمنين عن الاتصال بولاية الكفار وترك ولاية المؤمنين وقد مرّ نظيرها في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ فراجع ما حررته هناك. ٤.

﴿الْكَافِرِينَ﴾ مفعول به أول. ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول به ثان.

﴿مِنْ دُونِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة لـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه. «وتؤكد الآية الكريمة النهي السابق عن موالاتة الكافرين التي هي حبّهم والاعتماد عليهم وطلب المعونة منهم، فتكون الولاية المنهي عنها هي نفس الولاية المأمور بها للمؤمنين من دون فرق، فإنّ الله تعالى يأمرنا بولاية المؤمنين، وهي حبّهم والدخول في زميرتهم والاعتماد عليهم وطلب المعونة منهم ونصرتهم، وهذه هي التي نهى المؤمنين أن يتخذوها مع الكافرين.

ولعلّ السرّ في التأكيد على هذا الأمر، أنّ ولاية الكافرين تستلزم كلّ تلك الصفات الذميمة التي اتّصف بها المنافقون، فأوجب إضلال أنفسهم وتخيّرهم وعدم اهتدائهم السبيل الذي تنجيهم من الشقاء والهلاك، وأنّ فيها محو أثر الإسلام، وإطفاء نور الإيمان في القلوب، وتضعيف الروح المعنوية في النفوس المؤمنة بالآخرة والمنقطعة إليه ﷻ، وهدم كيان المجتمع النبيل عن شريعة الله تعالى وتعاليمه المقدسة والدخول في

١. سورة البقرة / ٢٦.

٢. الميزان / ٥ / ١١٨.

٣. سورة آل عمران / ٢٨.

٤. أجود البيان في تفسير القرآن / ٣ / ٢٤٨.

سخطه ﷻ» ١.

﴿أ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ وتأکید للنهي السابق في عدم اتخاذ الكافرين أولياء. ﴿تُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «باتخاذكم الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من دُونَ الْمُؤْمِنِينَ» ٢.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة، وهي مع ما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿تُرِيدُونَ﴾.

﴿تَجَعَّلُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَجَعَّلُوا﴾.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور بمنزلة مفعول به ثانٍ لـ ﴿تَجَعَّلُوا﴾، والضمير يرجع إلى

المؤمنين الذين يضعف إيمانهم.

﴿سُلْطَنًا﴾ مفعول به أول ﴿تَجَعَّلُوا﴾، السلطان: الحجة «وقيل للأمر سلطان،

لان معناه ذو الحجة ومعنى الآية النهي عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. فمن فعل ذلك، فقد جعل الله على نفسه الحجة، وتعرض لغضبه وعقابه وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز أن يبتدىء الله الخلق بالعذاب، ولا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء... وأنه لا كان له حجة على الخلق لولا معاصيهم ومخالفتهم له تعالى» ٣.

﴿مُيَبَّنًا﴾ نعت. أي حجة ظاهرة واضحة.

«الآية المباركة تشير إلى أمرين:

أحدهما: أن الله تعالى نهي المؤمنين عن موالاته الكافرين، وهذه حجة.

الثاني: أن موالاته الكافرين أوضح دليل على النفاق، وهذه حجة ثانية، وكلتا

الحجتين قد ذكرهما ﷻ في الآيات السابقة، وإحداهما تكفي في استحقاق العذاب» ٤.

ونقول بصراحة للربّ الجليل: «اللهم انا نعترف بأنك لا تعاقب إلا بعد قيام


١. مواهب الرحمن / ١٠ / ٥٣.

٢. التبيان / ٣ / ٣٦٧.

٣. التبيان / ٣ / ٣٦٧.

٤. مواهب الرحمن / ١٠ / ٥٤.

الحجة، وأيضاً نقر ونعترف بقيام الحجة علينا، بل نهتز ونرتجف خوفاً من بطشك، ونعوذ منه بعفوك وكرمك... إذن لا داعي لأن توقفنا بين يديك للمحاكمة والحساب، والتحقيق والتدقيق»^١.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ 

«تدل الآية المباركة على وجود طبقات ومنازل للنار، وهي سبع: تسمى الأولى جهنم، والثانية لظى، والثالثة الحطمة، والرابعة السعير، والخامسة سقر، والسادسة الجحيم، والسابعة الهاوية، وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى كما يسمي بعض الطبقات باسم الطبقة الأخرى، ولفظ النار يجمعها، أعاذنا الله تعالى بلطفه ورأفته وجميع المؤمنين برحمته وكرمه منها بحق محمد وآله الأطهار»^٢.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ اسمه.

﴿فِي الدَّرَكِ﴾ جار ومجرور في محل رفع متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾.

قال الراغب الأصفهاني: «الدَّرَكُ كالدَّرَجِ لَكُنْ الدَّرَجُ يُقَالُ اعْتَبَرًا بالصُّعُودِ وَالدَّرَكُ اعْتِبَارًا بالنُّزُولِ، ولهذا قِيلَ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتُ النَّارِ، ولتصوُّر النزول في النار سُمِّيَتْ هاوية»^٣.

ف«الدرك بسكون الراء وفتحها عبارة عن الطبقة أو الدرجة من الجانب الأسفل من الشيء»^٤.

﴿الْأَسْفَلِ﴾ نعت لـ ﴿الدَّرَكِ﴾. «السُّفْلُ: ضِدُّ الْعُلُوِّ»^٥.

﴿مِنَ النَّارِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الدَّرَكِ﴾، و ﴿مِنَ﴾ بياني.

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٧٢.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٥٤.

٣. المفردات / ١٧٠ للراغب الأصفهاني وفي تعبير مُقَارِبٍ: الجنة درجات، والنار دركات.

٤. التفسير الكاشف ٢/ ٤٧١.

٥. المفردات / ٢٤٠.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿لن﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.
 ﴿تَجِدْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». مخاطباً للرسول
 الأعظم ﷺ. وأعرض الله عن مخاطبة المنافقين تحقيراً لهم.
 ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَجِدْ﴾. والضمير يرجع إلى المنافقين.
 ﴿نَصِيراً﴾ مفعول به، أي «ناصراً ينصرهم، فينقذهم من عذابه، ويدفع عنهم
 أليم عقابه»^١.
 «إِنَّ فِي النَّارِ لَأَهْلَهَا مَرَاتِبَ تَخْتَلَفُ فِي السَّفَالَةِ، وَلَا مَحَالَةَ يَشْتَدُّ بِحَسَبِهَا عَذَابُهُمْ
 يَسْمِيهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالدَّرَكَاتِ»^٢.

شأن نزولها

«نزلت في عبدالله بن أبي [بن سلول] وجرت في كل منافق ومشرك»^٣.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ
 مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٤

استثناء من الآية السابقة «ولازم ذلك خروجهم من جماعة المنافقين، ولحوقهم
 بصف المؤمنين، ولذلك ذيل الاستثناء بذكر كونهم مع المؤمنين، وذكر ثواب المؤمنين
 جميعاً فقال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا
 عَظِيمًا﴾»^٤.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾ من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾

ثم ذكر الله تعالى شروط أربعة للمستثنى وهي:

١. التبيان ٣/ ٣٦٨.

٢. الميزان ٥/ ١١٨.

٣. تفسير القمي ١/ ٢٣٠.

٤. الميزان ٥/ ١١٨.

﴿تَابُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. التوبة: هي الرجوع إلى الله تعالى وهنا الدخول في ولاية الله وولاية أوليائه وهي الشريعة الأولى.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْلَحُوا﴾ معطوف على ﴿تَابُوا﴾ وتعرب مثله. وحُذِفَ مفعوله اختصاراً وهو «ما أفسدوه». «ولا ينفع الرجوع والتوب وحده حتى يصلحوا كل ما فسد منهم من نفس وعمل»^١. وهي الشريعة الثانية.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَعْتَصَمُوا﴾ معطوف مثل سابقه. «ولا ينفع الإصلاح إلا أن يعتصموا بالله أي يتبعوا كتابه وسنة نبيه ﷺ إذ لا سبيل إلى الله إلا ما عينه وما سوى ذلك فهو سبيل الشيطان»^٢.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْتَصَمُوا﴾. والاعتصام ﴿بِاللَّهِ﴾ هو التمسك بكتاب الله وتصديق نبيه ﷺ وهي الشريعة الثالثة.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَخْلَصُوا﴾ مثل سوابقه. ولا ينفع الاعتصام إلا إذا ﴿أَخْلَصُوا﴾ لأنَّ الشرك ظلم لا يغفر ولا يعفي عنه.

﴿دِينُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه وهي الشريعة الرابعة.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَخْلَصُوا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب ﴿الَّذِينَ﴾ المتضمن معنى الشرط.

﴿أَوْلَيْتِكَ﴾ اسم إشارة في محل رفع مبتدأ.

﴿مَعَ﴾ ظرف مكان للاجتماع والمصاحبة مبنيٌّ على الفتح في محل رفع خبر لا يستعمل ﴿مَعَ﴾ بدلاً من لفظة (مِنْ) «لأنَّهم بتحقيق هذه الأوصاف فيهم أول تحققها يلحقون بهم، ولن يكونوا منهم حتى تستمر فيهم الأوصاف على استقرارها، فافهم

١. الميزان ٥/ ١١٨.

٢. الميزان ٥/ ١١٨.

ذلك» ١.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم المؤمنون حقيقة وفي المراتب العالية من الإيمان و «هذا هو مراد القرآن بالمؤمنين إذا أطلق اللفظ إطلاقاً من غير قرينة تدل على خلافه» ٢.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال وتسويق.

﴿يُؤْتِ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضممة المقدرة للثقل على آخره الياء المحذوفة.

أي: يعطي.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعول به أول ﴿يُؤْتِ﴾. التائبين منهم والباقيين على إيمانهم.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان ﴿يُؤْتِ﴾. أي ثواباً.

﴿عَظِيمًا﴾ نعت ﴿أَجْرًا﴾. أي لا يعلم كنهه وقدره إلا الله تعالى.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿٤٧﴾

ظاهره خطاب للمؤمنين ويمكن أن يكون عاماً لجميع الناس «وهو كناية عن عدم حاجته تعالى إلى عذابهم، وأثمهم لو لم يستوجبوا العذاب بتركهم الشكر والإيمان لم يكن من قبله تعالى ما يوجب عذابهم، لأنه لا ينتفع بعذابهم حتى يؤثره، ولا يستضر بوجودهم حتى يدفعه عن نفسه بعذابهم» ٣.

﴿مَا﴾ اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم ﴿يَفْعَلُ﴾.

﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع، أي يصنع أو ينال أو يربح.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿بِعَذَابِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَفْعَلُ﴾. أي لا موجب

١. الميزان ٥/ ١١٩.

٢. الميزان ٥/ ١١٩.

٣. الميزان ٥/ ١١٩.

لعذابكم أو لا حاجة لله إلى عذابكم.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم، وحذف جواب الشرط لتقدم معناه.
 ﴿شَكَرْتُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله في محلِّ جزمٍ لأنَّه فعل الشرط. أي ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ﴾
 نعم الله تعالى عليكم بأداء واجب حقِّه وشكره. وحُذِفَ مفعوله اختصاراً. «والشكر
 هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من تعظيم المنعم»^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَامَنْتُمْ﴾ معطوف على ﴿شَكَرْتُمْ﴾. أي ﴿ءَامَنْتُمْ﴾ بالله تعالى ونيبِهِ ﷺ
 وأوصياء نبيِّهِ ﷺ.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقصٌ. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.
 ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. «يعني لم يزل الله مجازياً للشاكر على شكره في
 جميع عبادته عليماً بما يستحقونه على طاعاته من الثواب»^٢.
 وبعبارة أخرى: «﴿كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لمن شكره وآمن به ﴿عَلِيمًا﴾ لا يجهل
 مورد»^٣. ويعلم من أطاع وشكر ويوفيه أجره.

«وفي الآية دلالة على أنَّ العذاب الشامل لأهله إنَّما هوَ مِنْ قِبَلِهِمْ لا مِنْ قِبَلِهِ،
 وكذا كلُّ ما يستوجب العذاب مِنْ ضلال أو شرك أو معصية، ولو كان شيءٌ مِنْ ذلك
 مِنْ قِبَلِهِ تعالى لكان العذاب الذي يستتبعه أيضاً مِنْ قِبَلِهِ لأنَّ المسبَّب يستند إلى من
 استند إليه السبب»^٤.

ثم أتبرك في ختام هذا الجزء بنقل دعاء زين العابدين وسيد الساجدين علي بن
 الحسين السجاد عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ
 إِزَادَتَكَ أَوْزَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَحَلْطَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي تَوْبَةً
 تَسْلُمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ وَتَأْمَنُ بِمَا يُخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيمٍ

١. التبيان ٣/ ٣٧٠.

٢. التبيان ٣/ ٣٦٩.

٣. الميزان ٥/ ١٢٠.

٤. الميزان ٥/ ١٢٠.

سَطَوَاتِكَ. اَللّٰهُمَّ فَارْحَمْ وَحَدِّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ وَاضْطِرَابِ
اَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ فَقَدْ اَقَامْتَنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامُ الْحَزِي بِفِنَائِكَ فَاِنْ سَكَتُ لَمْ يَنْطِقْ
عَنِّي اَحَدٌ وَاِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِاَهْلِ الشَّفَاعَةِ» الدعاء. ١.

وإلى هنا انتهى الجزء الخامس من كتاب أجود البيان في تفسير القرآن على يد
مؤلفه الفاني العبد هادي النجفي في يوم الجمعة العشرين من شهر جمادي الآخرة سنة
١٤٣٦ق، يوم ولادة سيدتنا ومولاتنا وشفيعتنا في يوم الجزاء الصديقة الشهيدة
فاطمة الزهراء سلام الله عليها بمدينة اصفهان صانها الله تعالى عن الحدثان وسائر بلاد
المسلمين.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله الطيبين
الطاهرين المعصومين وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس

- ٣ تقرسز المرجع الءلنل آفة الله العظمى الشلخ فءالله الءوزءوزانى الءبرفزل ءمظله
٥ ءارفل ءكمال هءا الءزل من نظم العلامة الءة السفء عبدالسءار الءسنف ءمظله
٦ ءارفل ءان لأكمال هءا الءزل له ءمظله

ءمة سورة النساء

الآفة (٢٤)	٧	الآفة (٣١)	٣٠
الروافاء	١٢	الروافاء	٣٤
الآفة (٢٥)	١٤	الآفة (٣٢)	٣٦
ءنفة	١٨	شأن نزولها	٣٦
الروافاء	١٨	الروافاء	٣٨
الآفة (٢٦)	٢١	الآفة (٣٣)	٤٠
الآفة (٢٧)	٢٢	الروافاء	٤٣
الآفة (٢٨)	٢٣	الآفة (٣٤)	٤٤
روافاء	٢٤	الروافاء	٤٨
الآفة (٢٩)	٢٥	الآفة (٣٥)	٥٠
الروافاء	٢٧	اشارة	٥٢
الآفة (٣٠)	٢٩	الروافاء	٥٣

٤٢٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

٩٩ الآية (٥٠)	٥٤ الآية (٣٦)
١٠٠ الآية (٥١)	٥٨ الروايات
١٠٢ الروايات	٥٩ الآية (٣٧)
١٠٣ الآية (٥٢)	٦١ الروايات
١٠٤ الآية (٥٣)	٦١ الآية (٣٨)
١٠٥ تنبيه	٦٣ الآية (٣٩)
١٠٧ الآية (٥٤)	٦٤ رواية
١٠٩ الروايات	٦٥ الآية (٤٠)
١١١ الآية (٥٥)	٦٦ الآية (٤١)
١١٢ رواية	٦٧ الروايات
١١٣ الآية (٥٦)	٦٩ الآية (٤٢)
١١٤ الروايات	٧٠ رواية
١١٥ الآية (٥٧)	٧٠ الآية (٤٣)
١١٦ الآية (٥٨)	٧٤ تنبيهان
١١٩ الروايات	٧٧ الروايات
١٢١ الآية (٥٩)	٨٠ الآية (٤٤)
١٢٤ الروايات	٨٢ الآية (٤٥)
١٣١ الآية (٦٠)	٨٣ الآية (٤٦)
١٣٤ الروايات	٨٦ رواية
١٣٧ الآية (٦١)	٨٨ الآية (٤٧)
١٣٩ الآية (٦٢)	٩١ الروايات
١٤٠ رواية	٩٢ الآية (٤٨)
١٤١ الآية (٦٣)	٩٤ الروايات
١٤٢ روايتان	٩٦ الآية (٤٩)
١٤٢ الآية (٦٤)	٩٩ رواية

١٩٥	الآية (٧٨)	١٤٧	الآية (٦٥)
١٩٧	الآية (٧٩)	١٥٠	الروايات
١٩٩	الروايات	١٥٣	الآية (٦٦)
٢٠١	الآية (٨٠)	١٥٦	الروايات
٢٠٣	تنبيه	١٥٧	الآية (٦٧)
٢٠٣	الروايات	١٥٨	الآية (٦٨)
٢٠٥	الآية (٨١)	١٥٨	الآية (٦٩)
٢٠٧	رواية	١٦٣	الروايات
٢٠٧	الآية (٨٢)	١٦٥	مغالطة
٢١١	رواية	١٦٦	تذكرة
٢١٢	الآية (٨٣)	١٦٦	الآية (٧٠)
٢١٤	الروايات	١٦٧	الآية (٧١)
٢١٦	الآية (٨٤)	١٦٩	تنبيه
٢١٨	الروايات	١٧١	الآية (٧٢)
٢٢٠	الآية (٨٥)	١٧٢	الروايات
٢٢١	رواية	١٧٣	الآية (٧٣)
٢٢١	الآية (٨٦)	١٧٥	رواية
٢٢٢	مسألة فقهية	١٧٥	الآية (٧٤)
٢٢٣	الروايات	١٧٨	الروايات
٢٢٤	الآية (٨٧)	١٨١	الآية (٧٥)
٢٢٧	الآية (٨٨)	١٨٤	الروايات
٢٢٩	الآية (٨٩)	١٨٥	الآية (٧٦)
٢٣٢	شأن نزولها وما بعدها	١٨٨	رواية
٢٣٤	سؤالان وجوابهما	١٨٩	الآية (٧٧)
٢٣٥	رواية	١٩٤	الروايات

٢٧٥	الآية (٩٩)	٢٣٦	الآية (٩٠)
٢٧٦	الآية (١٠٠)	٢٣٩	تذكير
٢٧٨	شأن نزولها	٢٤٠	الروايات
٢٧٩	الروايات	٢٤٠	الآية (٩١)
٢٨١	الآية (١٠١)	٢٤٣	تنبيه
٢٨٣	الروايات	٢٤٣	تذكير
٢٨٥	الآية (١٠٢)	٢٤٤	رواية
٢٨٨	تذكرة	٢٤٤	الآية (٩٢)
٢٨٨	الروايات	٢٤٨	شأن نزولها
٢٩٠	الآية (١٠٣)	٢٤٩	الروايات
٢٩٢	الروايات	٢٥٢	الآية (٩٣)
٢٩٤	الآية (١٠٤)	٢٥٤	الروايات
٢٩٧	شأن نزولها	٢٥٧	الآية (٩٤)
٢٩٨	الآية (١٠٥)	٢٦٠	شأن نزولها
٢٩٩	الروايات	٢٦١	حكمان فقهيان
٣٠١	الآية (١٠٦)	٢٦٢	الآية (٩٥)
٣٠٢	الآية (١٠٧)	تنبيه: أمير المؤمنين علي <small>عليه السلام</small> وأبو بكر	
٣٠٣	الآية (١٠٨)	٢٦٥	
٣٠٥	الروايات	٢٦٧	شأن نزولها
٣٠٥	الآية (١٠٩)	٢٦٧	الآية (٩٦)
٣٠٧	الآية (١١٠)	٢٦٩	الآية (٩٧)
٣٠٨	الروايات	استدلال الفقهاء على وجوب الهجرة	
٣٠٩	الآية (١١١)	٢٧١	
٣١٠	الآية (١١٢)	٢٧٢	الآية (٩٨)
٣١١	روايتان	٢٧٣	الروايات

٣٥٠	الآية (١٢٦)	٣١٢	الآية (١١٣)
٣٥٢	الآية (١٢٧)	٣١٦	الآية (١١٤)
٣٥٦	رواية	٣١٩	الروايات
٣٥٦	الآية (١٢٨)	٣٢٠	الآية (١١٥)
٣٥٦	شأن نزولها والآية اللاحقة ..	٣٢٣	شأن نزولها
٣٦٠	الروايات	٣٢٣	تنبيه
٣٦٢	الآية (١٢٩)	٣٢٤	الروايات
٣٦٤	الروايات	٣٢٥	الآية (١١٦)
٣٦٥	الآية (١٣٠)	٣٢٧	الآية (١١٧)
٣٦٦	رواية	٣٢٨	رواية
٣٦٧	الآية (١٣١)	٣٢٨	الآية (١١٨)
٣٦٩	الروايات	٣٢٩	الروايات
٣٦٩	الآية (١٣٢)	٣٣٠	الآية (١١٩)
٣٧١	الآية (١٣٣)	٣٣٣	الروايات
٣٧٢	رواية	٣٣٣	الآية (١٢٠)
٣٧٢	الآية (١٣٤)	٣٣٤	رواية
٣٧٤	الآية (١٣٥)	٣٣٥	الآية (١٢١)
٣٧٧	الروايات	٣٣٦	الآية (١٢٢)
٣٧٩	الآية (١٣٦)	٣٣٨	الآية (١٢٣)
٣٨٢	تنبيه	٣٤٠	الروايات
٣٨٣	الآية (١٣٧)	٣٤١	الآية (١٢٤)
٣٨٥	شأن نزولها	٣٤٤	تنبيه
٣٨٦	الروايات	٣٤٤	رواية
٣٨٨	الآية (١٣٨)	٣٤٥	الآية (١٢٥)
٣٩٠	الآية (١٣٩)	٣٤٧	الروايات

٤٢٤ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الخامس

٤٠٦	الروايات	٣٩١	شأن نزولها
٤٠٨	الآية (١٤٣)	٣٩٢	الآية (١٤٠)
٤١٠	رواية	٣٩٥	الروايات
٤١٠	الآية (١٤٤)	٣٩٧	الآية (١٤١)
٤١٣	الآية (١٤٥)	٤٠٠	تنبيه: قاعدة نفي السبيل
٤١٤	شأن نزولها	٤٠٢	أدلة قاعدة نفي السبيل ...
٤١٤	الآية (١٤٦)	٤٠٣	شأن نزولها
٤١٦	الآية (١٤٧)	٤٠٣	رواية
		٤٠٤	الآية (١٤٢)